

Ministère de L'enseignement supérieur et de La Recherche Scientifique
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



جامعة الجليلي ليايس سيدي بلعباس
Université Sidi Belabes

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

Faculté des Sciences Humaines et Sociales

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي

الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين

6-7 الهجريين (12-13م)

تحت إشراف:

أد. بلعربي خالد

إعداد الطالب:

ليبدري بلخير

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أد. مجاود محمد
مشرفا و مقررا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أد. بلعربي خالد
عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر -أ-	د. شخوم سعدي
عضوا مناقشا	جامعة البليدة 2	أستاذ محاضر -أ-	د. محمد الشريف سيدي موسى
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر -أ-	د. بن داود نصر الدين
عضوا مناقشا	جامعة معسكر	أستاذ محاضر -أ-	د. بوشريط محمد

السنة الجامعية: 1437-1438 هـ / 2015-2016م

الإهداء

إلى أمي مملكة الحب والحنان.

إلى والدي الذي علمني الصبر والقناعة وحب الناس.

إلى زوجتي الوفية والمخلصة التي أعانتي طيلة فترة هذا العمل.

إلى أبنائي ياسين - هارون - محمد - مريم

إلى كل العائلة والأصحاب والأصدقاء، ومن ساهم في هذا العمل، وإلى كل من علمني حرفاً.

أهدي هذا العمل حباً ووفاءً.

ليبدري بلخير

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله تعالى الذي أعانني على إتمام هذا العمل.

أقدم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى أسناذي الفاضل الدكتور خالد بلعربي، الذي منحني

النصح والتوجيه ولم يدخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته.

كما أتوجه بخزير النقدين إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد.

كما أقدم شكري الخالص إلى عمال مكينات جامعات سيدي بلعباس، تلمسان، وهران، وحنى

من خارج الوطن والأعضاء لجنة المناقشة الموقرة خالص تحياتي.

مقدمة:

لقيت الدراسات الحضارية في السنوات الأخيرة عناية واهتمام الكثير من الباحثين، نظرا لأهميتها في الوقوف على الإرث الحضاري للمغرب الأوسط وإمارة اللثام عن أهم الأحداث والقضايا الفكرية والعلمية التي ميزته، مع باقي بلدان العالم الإسلامي مشرقا و مغربا و الأندلس.

إن النهضة الفكرية و العلمية و الحضارية التي ميزت القرنين السادس و السابع الهجريين (12-13م)، والتي إرتبطت أساسا بدولة الموحدين ووريثتها الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط تعود جذورها إلى دور الرستمييين والفاطميين والحمادين والمرابطيين الذين وضعوا قواعد وأسس تلك النهضة العلمية . لقد حظي المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة بعناية واهتمام الخلفاء الموحدين وسلاطين بني زيان الأوائل الذين جعلوا منه أحد أهم الحواضر في المغرب الإسلامي، ومركزا هاما يحج إليه و يستوطنه أهل العلم والمعرفة، فدورالحكام وعنايتهم وكرمهم وكثرة إنفاقهم على أهل العلم والمعرفة كان وراء تطور تلك الحركة العلمية التي شهدها المغرب الأوسط.

وعلى الرغم من أهمية الموضوع الذي يؤرخ لهذا الجزء من المغرب الإسلامي، فالدراسات حوله قليلة، إذ ركزت هذه الدراسات في معظمها على الجوانب السياسية والعسكرية والإقتصادية و الإجتماعية، أكثر من إهتمامها بالجوانب الحضارية للمغرب الأوسط . وهو الأمر الذي دفعنا للبحث فيه و دراسته دراسة مستقلة.

يطرح هذا البحث مجموعة من التساؤلات و الإشكاليات التي فرضت نفسها علينا من أبرزها: ما هو دور الموحدين و الزيانيين خلال القرنين (6 و7هـ) (12-13 م) في رسم المكانة الحضارية العلمية و مظاهرها في المغرب الأوسط؟ ماهي عوامل تطور الحركة العلمية خلال هذه الفترة بالمغرب الأوسط ؟ ثم ماهي المظاهر والمجالات التي شملتها الحركة العلمية بالمغرب الأوسط ؟ و ماهي مكانة هذه المنطقة الحضارية ضمن بلدان المغرب

الإسلامي؟ هذه الأسئلة و أخرى سنحاول الإجابة عنها من خلال معالجتنا لهذا الموضوع الذي دفعنا إلى البحث فيه مجموعة من الدوافع، من بينها:

- مواصلة موضوعي الخاص بالحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين السادس و السابع الهجريين (12،13م) ، بعدما تناولت في رسالة الماجستير الحياة الثقافية ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، فوجدت أنه من الأنسب أن أتم هذه الدراسة حتى أعطي الفترة الزمنية الأخرى أي القرنين السادس و السابع الهجريين من تاريخ المغرب الأوسط.

- الميل الشخصي لمثل هذه المواضيع التي تؤرخ للحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة.

- إظهار وتبيان دورالموحدين والزيانيين في رسم المعالم الفكرية والحضارية للمغرب الأوسط، ورغبتي هنا في تأكيد أهمية هذه المنطقة الحضارية بين أقطار العالم الإسلامي من خلال عدد العلماء و الأدباء و الفقهاء و الشعراء الذين أقاموا بهذه المنطقة، أو العدد الكبير منهم الذي غادر المغرب الوسط باتجاه المشرق او الأندلس.

-إبراز الإنتاج الفكري الذي خلفه علماء المغرب الأوسط و مساهمتهم في تطور الحركة العلمية و ازدهارها في هذا الجزء من المغرب الإسلامي.

انطلاقا من ذلك فلم يحظ هذا الموضوع بدراسة عميقة ماعدا، رسالة الماجستير التي قام بإنجازها الباحث الطاهر بونابي من جامعة المسيلة و قام بطبعتها في كتاب تحت عنوان "التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس و السابع الهجريين،(12-13م) وكانت تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلاي، و الملاحظ أنها كانت دراسة قيمة غير أنها أغفلت الكثير من المصادر القيمة.

و من الدراسات كذلك، العمل الذي أنجزه الباحث الشتيوي أحمد، تحت عنوان "مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة و الأندلسيين و ثقافتهم بين القرنين السادس و السابع

الهجريين (12-13م)، وهي أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط نوقشت بكلية الآداب و العلوم الانسانية جامعة تونس 1988.

و للإجابة عن كل هذه التساؤلات اعتمدت على خطة شاملة بدأتها بمقدمة عرضت فيها الموضوع وبيّنت دوافع اختياري له، وطرحت الإشكالية بتساؤلاتها ثم ناقشت المصادر والمراجع التي اعتمدها في بحثي و إنتهيت بالإشارة إلى اهم الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا العمل .

وقد قسمت عملي هذا إلى خمسة فصول: جاء الفصل الأول بعنوان : عوامل تطور الحركة العلمية بالمغرب الأوسط في القرنين (6و7هـ) (13،12م)، وتناولت فيه نشأة الدولة الموحدية و الزيانية مبرزا سياسة الدولتين واهتمامهما بالحركة العلمية ومستعرضا الحركة التعليمية خلال نفس المرحلة.

وفي الفصل الثاني عالجت التيارات الفكرية بالمغرب الأوسط خلال القرنين (6و7هـ)، وحاولت ان أبرز أهم هذه التيارات الفكرية للمغرب الاوسط خلال القرنين (6و7هـ)، (12،13م). وقد ركزت فيه على تيار التصوف و أهميته، متطرقا الى عينات من المتصوفة الذين برزوا خلال هذه الفترة، مبينا العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة.

أما الفصل الثالث فكان عنوانه : المؤسسات العلمية في مجتمع المغرب الوسط خلال نفس الفترة .وقد حاولت من خلاله أن أفق على أهم المؤسسات العلمية التي سادت المغرب الاوسط وانتشرت في حواضره وبوادييه،إبتداءا من الكتاب والمسجد والرباط، موضحا دورها في دعم الحركة العلمية بالمغرب الاوسط.

و في الفصل الرابع تطرقت إلى العلوم الدينية بالمغرب الأوسط مبينا أهم تلك العلوم الدينية خلال نفس المرحلة، كعلوم القرآن و الحديث و الفقه وعلم الكلام،والتي أبرزت من خلالها أهم العلماء و الفقهاء والمحدثين و المتكلمين الذين برزوا بالمغرب الأوسط فكانوا شيوخا نشروا مختلف العلوم.

وفي الفصل الخامس تعرضت إلى العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال القرنين (7و6هـ)، مبينا مدى إهتمام أهل المغرب الأوسط بالعلوم العقلية من تاريخ وفلسفة وعلوم أدبية، حيث وجدت أن الإهتمام بها كان كبيرا جدا.

وقد إستعنت بمجموعة هامة من المصادر التي وظفتها حسب أهميتها وعلاقتها بعناصر البحث، منها كتب التاريخ و الجغرافيا و كتب النوازل والتراجم والسيرالي جانب كم هائل من المراجع التي لها علاقة مباشرة بالموضوع، والتي تتناول تاريخ الدولتين الموحدية والزيرية من القيام إلى السقوط، بالإضافة إلى المجالات والدراسات والملتقيات والرسائل الجامعية أهمها :

كتب التاريخ : فهي كثيرة ، لكنها لا تقدم لنا معلومات كافية عن الأوضاع الثقافية والعلمية لبلاد المغرب الأوسط، إنما أحيانا تقف عند ذكر الشخصيات من خلفاء و أمراء وكتاب و وزراء، كانت تتعرض إلى رسائلهم و خطبهم التي حملت في كثير من الأحيان إشارات ثقافية، و من هذه الكتب :

كتاب أخبار الهدي بن تومرت و ابتداء الدولة الموحدية للبيذق : (ت 550 هـ - 1165م) يبقى مصدر مهم بالنسبة لأي باحث في الدولة الموحدية، إعتمدت عليه في الفصل الأول فهو يقدم معلومات حول بداية نشأة هذه الدولة، باعتبار البيذق، أحد المرافقين لابن تومرت ، فقد تضمن هذا الكتاب معلومات و نصوص في غاية الأهمية حول فكر ومنهج ابن تومرت، و لكنه أحيانا يتضمن أخبارا أسطورية حول المهدي .

كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة : فهو مصدر موثوق به من حيث معلوماته الدقيقة ، فهو معاصر و قريب من الموحدين خاصة، و أنه أحد كتابهم فقره من البلاط الموحي سمح له بنقل معلومات و وثائق و تفاصيل هامة حول فترة معينة عن الدولة الموحدية .

كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لمؤلفه عبد الواحد المراكشي: (ت 647هـ - 1249م) ، باعتباره من المعاصرين للموحدين ، فالمعلومات التي يقدمها تبقى في غاية الأهمية خاصة فيما يتعلق بالخلفاء و دورهم في دعم الحركة العلمية في بلاد المغرب .

كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان لابن القطان: فهو مصدر يخص آخر فترة المرابطين و بداية عهد الموحيدين، فالجزء السادس تناول أحداث القرن السادس، فاعتمدت عليه في جمع أخبار بداية ظهور المهدي بن تومرت و مراحل دعوته، وأصحابه وطبقاته، وصراع المرابطين مع الموحيدين، فابن القطان يعد من المؤيدين للخلفاء الموحيدين و يبالح في تمجيدهم و مدحهم.

كتب التراجم و الطبقات فأمام بحث مثل هذا الذي يتناول الحركة العلمية و الثقافية بالغرب الأوسط، خلال قرنين من الزمن يكون الباحث مجبر على التوجه إلى كتب التراجم والطبقات من ذلك .

كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي: الذي ألفه التادلي المعروف بإبن الزيات (ت 628هـ - 1230م)، حيث عثرت فيه على الكثير من تراجم الصوفية و علماء من المغرب الأوسط في غاية الأهمية و المصادقية، بحكم منصبه في الدولة الموحدية .

كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (ت 658هـ - 1260م)، فهذا الكتاب يعد في حد ذاته من مظاهر الحركة العلمية بالمغرب الأوسط و أحد المصادر التي أفادتني في معرفة أهم العلوم والأداب التي برز فيها علماء المغرب الأوسط مع ذكر شيوخهم و موريديهم بين الأندلس و المغرب الأوسط .

كتاب وفيات الأعيان و انباء الزمان لأحمد بن خلكان : (ت 681هـ - 1282م) الذي لا يقل أهمي عن باقي المصادر الأخرى ، و قد استفدت منه في تراجم بعض خلفاء

الموحدين و سيرهم ، إلى جانب بعض العلماء الذين إستقروا بالمغرب الأوسط سواء ببجاية و تلمسان .

كتاب المغرب في حلي المغرب لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي
(ت 686 هـ - 1286م) كون صاحب هذا الكتاب من المعاصرين للفترة التي ندرسها، فقد أورد معلومات هامة خدمت بحثي .

كتاب الذيل و التكملة لكتابي الموصل والصلة لعبد الملك المراكشي (ت 703 هـ - 1303م) خاصة السفر الأول و الخامس و الثامن الذي استقدت منه كثيرا في تحديد اهتمامات و حياة بعض العلماء من المغرب الأوسط أو أولئك الذين انتقلوا من الأندلس إلى المغرب و الذين كان لهم دورا أساسيا في دعم الحركة العلمية بالمغرب الأوسط .

كتاب عنوان الدراية لصاحبه احمد الغبريني (ت 704 هـ - 1304 م)، فهو يترجم لمشاهير المائة السابعة ببجاية و ما أكثرهم، حيث ساعدني على رصد المتصوفة والقضاة و الأدباء والشعراء و شيوخهم و مجالات عملهم و مكانتهم الإجتماعية، فقد أثروا في الحركة العلمية بالمغرب الأوسط ،كما يكشف لنا هذا المؤلف عن الأوضاع العلمية والفكرية التي عرفها هذا القطر ، فهو إذن مصدر تاريخي و صورة حقيقية شاملة عن أحوال هذه المنطقة خلال القرن السابع الهجري ، فقد جمع بين أهل العلم و المعرفة الذين دخلوا المغرب الأوسط قادمين من المشرق و الأندلس و غيرها .

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون (ت 780 هـ - 1378 م)، و هو في جزأين ،إختص الأول في إقليم المغرب الأوسط وقد استقدت منه في عدّة تراجم لفئة من علماء المغرب الأوسط ، لكنه كان يتجاهل تاريخ ميلادهم ووفاتهم أحيانا.

فهذه الكتب التي سبق ذكرها عاصر أصحابها القرن السادس و السابع وهو ما يرجح أهمية أعمالهم مقارنة بمن سيأتي .

إلى جانب كتاب الإحاطة في إختيار غرناطة لإبن الخطيب الذي تضمن النزر القليل من علماء المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، و لكنه يحمل وثائق و نصوص هامة تخص تلك الفترة ، و كتاب الوفيات لإبن قنفذ القسنطيني الذي استعنت به على إبراز دور بعض العلماء و الفقهاء الذين مثلوا هذه الفترة .

وكتاب البستان في ذكر الأولياء بتلمسان لابن مريم ، فهو ثري بالتراجم لعلماء تلمسان والمغرب الأوسط ، حيث يعطي تفاصيل عن الشيخ المترجم له و تلاميذه والمؤلفات العلمية، ولكنه أحيانا يكتفي بسطور فقط.

كتاب جذوة الإقتباس فيمن حل من الإعلام مدينة فاس لأبي العباس أحمد بن القاضي المكناسي: (ت 1025 هـ - 1616 م)، في جزأين والذي استقدت منه في ترجمة كثير من الشخصيات الحاكمة و العلمية التي ساهمت في دعم الحركة العلمية ببلاد المغرب الأوسط ، فهو يقدم تفاصيل دقيقة و مفيدة حول من ترجم لهم .

كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بايا التنبكتي: (ت 1032 هـ - 1627م) الذي يعرفنا بعدد من مشاهير المغرب و الأندلس على المذهب المالكي .

كتاب نفح الطيب من غص الأندلس الرطيب في ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأبي العباس احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041 هـ - 1631 م) ، فقد حمل معلومات ثرية و متنوعة بين الأدب و النثر و التراجم و السياسة في كل الأجزاء فهو موسوعة تراجم وافية.

كتاب تعريف الخلف برجال السلف لابي القاسم محمد الحفناوي (ت 1361 هـ - 1942م) ، الذي حمل تراجم كثيرة لعلماء من المغرب الأوسط في جزأين حملت تفاصيل ذات أهمية .

ومن المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها :

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون: (732هـ، 818هـ)

(1332-1406م)، في عدة أجزاء فهو مصدر هام في تاريخ المغرب و ثري بالمعلومات التي تخص فترة دراستي خاصة الجزء السادس والسابع، فهو ثمرة جهود وعمل ابن خلدون سياسيا وفكريا واجتماعيا.

فكان له إهتمام كبير ببلاد المغرب ومراحل تشكل الدويلات، ومناطق إنتشار القبائل وقد سجل لنا كل الحوادث والأنشطة بكل تفاصيلها، وتبقى المقدمة التي تشكل الجزء الأساسي من تاريخ ابن خلدون من المصادر التي لا يمكن التخلي عنها، فقد إعتمدت عليها في التعريف بالعلوم التي تطرقت إليها في غالب الأحيان.

أما كتب التاريخ الأخرى التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل هي:

الكامل في التاريخ لابن الأثير الذي أتى بمعلومات تخص الموحدين و نظمهم إلى

جانب معلومات تخص الجوانب العسكرية و السياسية .

و كتاب البداية و النهاية لابن كثير (ت 744 هـ - 1372م)، عبارة عن تاريخ عام

مطول إحتوى على ترجمات لأعلام من المغرب و العالم الإسلامي خاصة بعض أجزائه .

تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقبان في شرف بني زيان

لمحمد بن عبد الله الننسي (ت 889هـ - 1494م) حققه محمد بوعياذ الذي يعد من أهم

مصادر الدولة الزيانية الذي يفيد في ما يخص نشأة الدولة الزيانية الذي يؤكد فيه على شرف بني زيان .

كما إستعنت بكتب النوازل، و أهما كتاب المعيار و الجامع المغرب عن فتاوى أهل

إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي (ت 914 هـ - 1509 م)، ولقد أعانني الجزء

السابع والثامن فيما يخص قضايا تخص التعليم بالمساجد والكتاتيب وأهم الأسئلة التي وردت عليه في هذا الغرض تخص الأطفال والشيوخ حول الأجرة والضرب والعقوبات والتدريس

بالمساجد وغيرها من القضايا، فكانت الإجابات في غاية الأهمية بالنسبة لي. فهذا المصدر يكشف لنا عن صور المغرب الإسلامي الإجتماعية والعلمية والإقتصادية وعن مختلف التعاملات بين أفراد المجتمع .

و كتاب **آداب المعلمين لمحمد سحنون (ت 256هـ - 869 م)**، الذي يبدو سابق للفترة التي أدرسها لكنه يبقى مصدرا مهما في طرق التعليم السائدة ذات الفائدة التي تفيدنا في طريقة التعامل مع الأطفال و المعلمين .

كتب الرحلات و الجغرافيا ، الرحالة و الجغرافيين تكتسي هذه المصادر أهمية لكونها وثائق مفيدة لمثل هذه الدراسات، فمعلوماتها كثيفة باعتبار أن أصحابها عايشوا الأحداث أو سمعوا عنها، فكانت أخبارهم عامة و خاصة عن البلدان و المناطق و الناس في مختلف الأقطار ، من ذلك **نزهة المشتاق في اختراق الأفتات للإدريسي (ت 560هـ - 1164م)** الذي يعطينا تفاصيل دقيقة عن المناطق التي زارها خصوصا و أنه من المعاصرين للدولة الموحدية، و كان إسماعيل العربي قد نقل عنه الكثير .

كتاب الروض المعطار للحميري (ت 727 هـ - 1327م)، فجزء منه تعرض فيه صاحبه إلى بعض الحواضر بالمغرب الأوسط، أفادنا بمعلومات اقتصادية وثقافية بالمناطق التي ذكرها .

كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي الذي توفي منتصف القرن العاشر الهجري والذي جاء في جزأين، فقد سجل هذا الرحالة معلومات قيمة عن مشاهداته اليومية، و قد تحدث كثيرا عن بجاية ومملكة تلمسان و هو ما إستفدنا منه .

وكتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك والممالك من تأليف : أبي عبيد الله البكري المتوفى سنة (487هـ - 1094هـ) ، و قد أفادني في معرفة بعض الواقع و الرباطات الموجودة في بلاد المغرب الإسلامي ، و التي كانت أحد عناصر بحثي .

وأما الرحلات فكانت عديدة وأهمها: رحلة العبدري ت (720 هـ - 1320 م) ، الذي زار عدّة حواضر بالمغرب الأوسط وذكر ملاحظاته بأسلوبه الخاص الناقد أحيانا ذاكراً لمميزات بعض المدن كتلمسان وقسنطينة وبجاية وغيرها، ومع ذكراً لهم أعلام المغرب الأوسط كابن خميس .

إلى جانب ذلك فقد استفدت من مصادر أخرى تصنف ضمن الحوليات و على رأسها ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي فهو مؤرخ عاش فترة الموحدين خاصة في الجزء الثالث ، فأسلوبه و طريقة تعامله مع الأحداث بعيداً عن الإنحياز أو المدح أو الذم، و قد عاصر أيضاً تشكل الدويلات التي ورثت الدولة الموحدية وهم بنومرين بالمغرب الأقصى، وبنوحفص بتونس، و بنوعبد الواد بتلمسان، وهي ظروف تكون قد أثرت في كتاباته و نقل و ضبط معلوماته .

و كتاب الأنيس المطرب يروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي (ت 726 هـ - 1325 م)، و كانت فائدته كبيرة شملت أهم فترات بحثي خاصة فيما يتعلق ببعض المعالم العمرانية ، و الأعلام الذين عاشوا خلال فترة القرنين (6 و 7 هـ) (12، 13م) فهو مصدر يبدأ بالأداسة و ينتهي خلال القرن السابع الهجري .

كتاب الحلل الموشية في ذكر الخبر المراكشية لمؤلف مجهول الذي تطرق فيه إلى تاريخ مراكش منذ التأسيس إلى سنة (783 هـ - 1380 م) أي إلى غاية وفاته وقد استفدت منه في بعض الترجمات في حياتهم ومساهماتهم الحضارية في بلاد المغرب الإسلامي ،كعبد المؤمن والمأمون وغيره ، حمل بعض الأشعار و النظم لهم.

الوثائق الرسمية و التي تمثلت في مجموع رسائل موحدية الذي اعتنى بها ليفي بروفنسال .

المراجع الحديثة: ومنها: كتاب الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى (ت 315هـ - 1897 م) ، و قد استفدت منه في الجزء الثاني و الخاص بالمرابطين والموحدين، فقد إحتوى على معلومات قيمة فكرية و سياسية منتقاة عن مصادر قديمة .

و كتاب المغرب عبر التاريخ لابراهيم حركات في عدّة أجزاء و الخاصة بالتاريخ العام أو الأجزاء الخاصة بمدخل إلى تاريخ العلوم، إذ نجده يطنب في التفاصيل حول الكثير من العلوم العقلية و النقلية و تطورها ببلاد المغرب الإسلامي .

وكتاب عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الندلس لعبد الله عنان الذي أفادنا بكثير من المعلومات تخص التاريخ العام للموحدين، و كتاب النبوغ المغربي لعبد الله كنون الذي حمل الكثير من التراجم و النصوص التاريخية و الأدبية .

وكتاب حركة الموحدين في المغرب لروحي لي تورنو الذي قدم لي معلومات هامة عن ظهور ونشأة الموحدين ببلاد المغرب الإسلامي، وكتاب عبد الله علي علام الدولة الموحدية بالمغرب الذي تضمن معلومات سياسية و فكرية في غاية الأهمية .

وكتاب التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية لأمبروسيو هويثي ميراندا المعروف بدقة معلوماته وكثرتها، و يحمل نصوصا ذات أهمية إستفدت منها كثيرا .

وكتاب باقة السوسان لرمضان شاوش الذي أعانني خاصة في الفصل الخامس في عدّة تراجم، وكتاب معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض إستقيت منه الكثير من التراجم التي كانت في غاية الدقة و الأهمية .

وكتاب عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية فيما بين القرنين (3-14هـ)، و هو كتاب قيم أرشدني إلى أسماء لعدد من علماء المغرب الأوسط الذين انتقلوا إلى بلدان عربية أخرى في الفترة المدروسة، وكتاب الجزائر العام لعبد الرحمن الجزائري ، وكتابي عمرو الطمار: تاريخ الأدب الجزائري و الروابط الثقافية و الذي عرفنا بأهم أدباء المغرب الأوسط خلال القرنين (6 و 7 هـ)، وكتاب عثمان الكمال و يحيى بوعزيز وغيرهم .

و أما الرسائل الجامعية التي إستعنت بها في هذا البحث كانت، الشعر الديني على عهد الموحدين للجيلالي سلطاني، رسالة دكتوراه و كتب أيضا في نفس الموضوع ، عبد العزيز بومهرة حول شعر الجهاد في المغرب الإسلامي من القرن (4 هـ - 7 هـ) وهي رسالة دكتوراه، ودراسة علي عشي حول الأوضاع الفكرية في المغرب الأوسط عند الموحدين، ودراسات أخرى التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي لعبد الحميد حاجيات ، التي جانب القواميس والموسوعات .

أما المنهج المتبع في هذا البحث، فلم يكن من السهل التحكم فيه نظرا لطبيعة الموضوع التي تشبعت بين الديني و الأدبي و العلمي، وبين دولتين مختلفتين في الطابع والأهداف و الأسس التي قامت عليها ومن أجلها، رغم التقارب الجغرافي والمكاني بينهما ، لذلك وجدت نفسي أجمع بين المنهج التحليلي والوصفي والتاريخي والمقارن والإحصائي وذلك لتضارب المعلومات و اختلافها في بعض الأحيان أو تشابهها في بعض الأوقات .

ومن الصعوبات التي واجهتني في انجاز هذا العمل ما تعلق بتواريخ الميلاد والوفاة لبعض رجالات العلم و الأدب، وقلة المصادر أو المراجع المتخصصة في التاريخ الحضاري للدولتين. التداخل بين وظائف وتخصصات العلماء في المغرب الأوسط حيث نجد الفقيه هو الأديب والمفسر والشاعر والطبيب، مما يصعب تصنيفه . وكانت أكبر صعوبة إعترضتني هي صعوبة الحصول على بعض المصادر التي تخدم الموضوع.

و ختمت عملي هذا بمجموعة من النتائج التي توصلت إليها وأتبعتها بملاحق رأيتها ضرورية و هامة خدمت بحثي .

1- الوضع السياسي بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6هـ و7هـ:

1) نشأة الدولة الموحدية:

قامت هذه الدولة على أساس دعوة إصلاحية دينية¹، أساسها التجديد والإصلاح ومؤسسها هو محمد تومرت²؛ ولد بقرية إيجلي بمنطقة السوس جنوب المغرب الأقصى أصله من هرغة من بطون المصامدة³. ويرجّح أنّه ولد سنة 484هـ⁴، وينحدر من أسرة

¹ المتتبع للتطور التاريخي للأمة العربية يجد أنها كثيرا ما تكون نهضتها نتيجة دعوة دينية وكذلك يقال في دعوة المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين. محمد الطنجي، التربية الدينية أساس فلاح الأمة العربية، مجلة دعوة الحق ع3 السنة 3، وزارة عموم الأفاق، الرباط، ديسمبر 1959، ص ص21-22.

² ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي: ينظر الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماصور، المكتبة العتيقة، تونس ص3. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان حققه احسان عباس ج5، دار بيروت 1968، ص45، ابن أبي زرع الفاسي: الأئيس المغرب بروض القراطيس في اختيار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة 1972، ص172.

³ عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر من عاصره من ذوي الشأن الأكبر مراجعة سهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 2000، ص300، عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1981، ص796.

⁴ لقد اختلف في تاريخ ميلاده إذ يذكر الزركشي أنه ولد عام 491 ينظر الزركشي: المصدر السابق ص4، أما ابن خلكان فيذكر سنة 485، ينظر المصدر السابق، ص57، في حين عبد العزيز سالم فيرى أن ولادته كانت عام 485، المرجع السابق ص769، ومن ذلك تكون ولادته ما بين 469 هـ 491 هـ ينظر عبد المجيد النجار المهدي بن تومرت دار الغرب الإسلامي ط1، 1981، ص130، أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لا خيار دول المغرب الأقصى، ص130، ج1، ويخصوص تاريخ ميلاده فإنه غير مضبوط وإن كنا نستطيع أن نرجح ذلك ما بين 471-474م، هويثي ميرندا: التاريخ السياسي للأمبراطورية الموحدية ترجمة عبد الواحد أكير، النجاح الجديدة الدار البيضاء 2004، ص31.

متواضعة عرفت بتدينها¹. ويبدو أنّه بدأ مشواره العلمي بالكتاتيب في قرينته، فتعلم القرآن الكريم على أهل منطقته، واهتم منذ طفولته² بالعلوم الشرعية كالفقه ودرس الأدب واللغة، فأحب العلم والتعلم، وكان باديا عليه منذ نشأته، فقد كان دائما منشغلا بطلب العلم³. ولم يكتف بذلك فواصل طلبه للعلم⁴ في رحلة قادته خارج قبيلته، فاختر المشرق للحصول والمعرفة. وعلى الأرجح أنّ سفره إلى المشرق كان في مطلع القرن 6هـ / 12م؛ أي حوالي 500 للهجرة⁵.

¹ - عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ج1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا 1995، ص57.

² - فالمصادر والمراجع لا تخبرنا بدقة عن طفولته وبداية شبابه إلا ترده على الكتاب حيث حفظ القرآن بدل الانشغال بالزراعة والرعي: امبروسيو هويثي ميرندا: التاريخ السياسي للأمبراطورية الموحدية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2004، ص29.

³ - أبي عبد الله الشيخ، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المعروف بابن أبي دينار المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية 1286هـ-1963م، ص107.

Charles André Julien: Histoire de l'Afrique du nord, des origines a 1830. Imprimerie darantière a dyom- Quetigny octobre 2000, p437.

⁴ - ابن قنفذ: الوفيات تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت ط4، 1983، ص274.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر المصدر السابق، ج6، ص300.

وقد بدأت رحلته العلمية¹ إلى الأندلس حيث زار قرطبة² التي كانت تمثل حاضرة العلم والمعرفة، وبعدها انتقل إلى الإسكندرية فقرأ على يد الإمام أبي الوليد الطرطوشي³. ومنها انطلق لأداء فريضة الحج فدخل العراق. ومن المحتمل جدا أنه التقى بالشيخ أبي حامد الغزالي وجالسه⁴، كما أنه لقي بالمشرق أئمة الأشعرية، ونهل منهم من عقائدهم، واقتنع بآرائهم⁵. وقد التقى أثناء رحلته هذه بعدد من العلماء والفقهاء، وأخذ عنهم مختلف العلوم والمعرفة من الفقه والتفسير⁶، والحديث، والفلسفة. ولا شك أن هذه الفترة التي قضاها بالمشرق

-
- ¹ - لقد دامت رحلته 15 سنة عاد على إثرها إلى مسقط رأسه: ينظر هويثي، المرجع السابق، ص335.
- ² - قرطبة التي كانت تمثل حاضرة العالم، قاعدة الأندلس وأم مدنها ومقر الخلافة الأمويين وبها نبغ عدد من العلماء، أعظم مدينة بالأندلس وليس بجميع المغرب لها شبيه ولا بالجزيرة والشام ومصر، فهي قاعدة الأندلس وأم مدائنها، كان فيها أعلام العلماء وسادات العقلاء. ينظر: أبي القاسم ابن حوقل: كتاب صورة الأرض: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1992، ص109. وأيضا محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه احسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، 1984، ص456.
- ³ - الزركشي، المصدر السابق، ص5، عبد المجيد النجار المرجع السابق ص59.
- ⁴ - عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص301، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد دينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع القاهرة، 1994، ص245، ينظر أيضا ابن خلكان المصدر السابق ص45، روجي لي تورنو: حركة الموحدين بالمغرب، ترجمة أمين طيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1982، ص18.

Charles Andre julien, op cit, p438.

- ⁵ - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص302، كما تتلمذ على يد أبو الحسن علي ابن محمد المعروف بأليكا الهراسي البغدادي، الشافعي المذهب، الذي كان عالما في الفقه والأصول والتفسير. مصطفى بن عبد الله، حاجي خليفة: كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 1982، ص132.

- ⁶ - حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية بالمغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الحتانجي مصر 1990، ص131.

بالمشرق مكنته من التحصيل الجيد والمتنوع، فقفل راجعا إلى موطنه بالمغرب بحرا متفجرا من العلم¹ متشعبا بأفكار ومتأثرا بأخرى عازما على تحقيق مشروعه من إصلاح وتغيير وبناء في بلاد المغرب بعد رجوعه. ويبدو أنه بدأ في تجسيد تلك الأفكار والمبادئ في المناطق والأماكن التي مر بها أو حل بها، كالإسكندرية، والمهدية، وبجاية، وتلمسان، حيث كان يجد الترحاب والتأييد والطاعة من قبل عامة الناس، ولكنه يصطدم بغضب ورفض الحكام. فرحلة عودته قد اختلفت عن رحلة الذهاب؛ لأن أهدافه تغيرت هي الأخرى، فكان كل ما نزل ببلد سواء قرية أو مدينة ينشر العلم وينهي عن المنكر، فيجلس الناس من حوله يسمعون إلى حديثه، فرسالته قد بدأت مع مغادرته المشرق.

فقد كان لسفره واطلاعه على ما يحدث في المشرق² من تدهور وتقهقر الخلافة العباسية والفاطمية معا أثر في حياته، كما مكنه استقراره وتنقله في تلك الأقطار لطلب العلم وملاقات العلماء ورجال الدين من التشخيص والتعرف على أحوال المسلمين، وأدرك أهمية تكوين خلافة إسلامية تواجه الصليبيين، ودفعته عقيدته إلى التفكير في الإصلاح والتغيير، وقد بدا ذلك جليا من خلال مواقفه وتصرفاته ورفضه لكل فساد أو منكر رآه وهو في طريق عودته كان يغير المنكرات، ويدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر³. وفي كثير من

¹ روجي لي تورنو: حركة الموحدين بالمغرب، المرجع السابق، ص15.

² رغم أن رحلته إلى المشرق دامت عشر سنوات لكن المعلومات عنها تبقى قليلة، ينظر: هويثي، المرجع السابق، ص345.

³ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د،ت)، ص105.

الأوقات، وأينما حل، كان الناس يجلسون للاستماع إليه فيحدثهم ويعلمهم أحيانا وبعضهم أحيانا أخرى¹.

وقد طرد من مصر الإسكندرية فخرج متوجها إلى طرابلس²، فالمهدية التي قضى بها بعض الوقت. ويبدو أن تواجده هناك جلب له معجبين³، لكنه سرعان ما غادر تونس فدخل بلاد المغرب الأوسط، ونزل ببجاية⁴، فمكث فيها بعض الوقت، وقد كان بها العزيز بن المنصور بن علفاس بن حماد الصنهاجي⁵ حيث رأى إقبال الناس عليه وتجمهرهم حوله؛ إذ كانت آنذاك بجاية من المراكز العلمية الهامة بالمغرب الإسلامي، وقد اتخذها الحماديون حاضرة لهم، بحيث كانت بمستوى القيروان والأندلس⁶، وبسبب موقف ابن تومرت من بعض المظاهر⁷ التي رفضها تعرض إلى الطرد، فتوجه إلى ملالة، وهناك لقي عبد المومن بن

¹ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص156، ينظر أيضا عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص773.

² - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص773.

³ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص274.

⁴ - نفسه، ص274.

⁵ - ابن خلكان المصدر السابق، ص47، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ص246، ينظر أيضا ابن القطان نظم الجمان، لترتيب ما سلف من اختبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي ط1، بيروت 1990، ص76.

⁶ - عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص773.

⁷ - حيث نزل بمسجدها وقد أغضبه ما شاهده خلال الشهر المبارك من مظاهر وثنية مثل إرتداء الصناديل المذهبة والعمامات على الطريقة التي كان يرتديها في الماضي عبادة الأوثان، وتزيين الشباب المخنث بالشعر المستعار والأقراط والملابس الحريرية المطرزة. - هويثي: المرجع السابق، ص44، ابن القطان: المصدر السابق، ص41.

علي¹، فأعجب به فبنا بها مسجدا لمواصلة نشاطه العلمي والديني²، فكان الطلبة يحيطون به لتلقي العلوم الدينية وخلال هذه الفترة كان ابن تومرت قد أثر في عبد المومن وأقنعه بصحبته ومرافقته فاستبقاه معه لمساعدته على الإصلاح والتغيير، واستطاع أن يقنعه بالعدول عن التوجه إلى المشرق لطلب العلم، وأن ما يريده سيجده عند ابن تومرت³، وبشره أن نصرته هذا الدين سيكون على يده فلما عرض عليه ابن تومرت أمره وافق عليه، وأبدى له الطاعة والإخلاص، فمكث إلى جانبه أشهراً تعلم فيها ما كان يريد طلبه من العلوم، وبعد ذلك اصطحبه معه إلى الونشريس، وهناك التحق بهم عبد الله بن محسن الونشريسي⁴، فرحلوا إلى تلمسان التي كانت من أهم حواضر المغرب الإسلامي فارتاحوا في مسجد يقال

¹ - الزركشي، المرجع السابق، ص 5 . ابن خلكان المصدر السابق، ص47، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص156، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص274. **Charles Andre Julien,op cit, p438.**

² - أورد البيهقي رواية مفادها: أن بنو العزيز هم من طلبوا من ابن تومرت بناء مسجد له فقال لهم إن شئتم، فبنوا له مسجداً، أبو بكر بن علي الصنهاجي: المكنى بالبيهقي، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ط2. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص32.

³ - يكون ابن تومرت قد اطلع على كتاب يسمى: الجفر من علوم أهل البيت ووقف على أن أمر هذا الدين سيقوم على يد رجل من ذرية الرسول وينصر هذا الأمر على يد رجل آخر جاء اسمه على شكل حروف هي ع ب د م و م ن وهذا عبد المومن بن علي. ابن خلكان، المصدر السابق، ص303، ينظر حسن علي الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين مكتبة الخانجي مصر 1980، ينظر أيضا ابن خلكان المصدر السابق، ج3، ص238.

⁴ - صاحب الطل الموسمية في ذكر الأخيار المراكشية تحقيق سهيل زكار عبد القادر رمامة دار الرشيد الرشيد الحديثة الدار البيضاء ط1، 1979، ص101، ينظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق ص303، هويثي، المرجع السابق، ص49.

له العباد¹، أو نزلوا بأجاديير عند ابن صاحب الصلاة². فمكث به يتعبد والناس يتقربون إليه ويعظمونه فاستمال أهلها³، وقد تسامع الناس بخبره، لكنه غادر ومن معه تلمسان، فقصدوا فاس، أين أظهر علمه وعقيدته على طريقة الأشعرية⁴ على خلاف أهل بلاد المغرب فعارضه فقهاء المدينة، وأينما حل كان يشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق والطرقات. ويبدو أنه وجد مضايقة من أهلها وحكامها فاتّجه نحو مراكش عاصمة المرابطين فكان يستفز أهل الفساد والبغاء حيث وصل خبره إلى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين⁵، الذي كان على قدر من العلم، وعرف بعدله وورعه⁶، ولما عظم شأن محمد بن تومرت والتف الناس حوله دعا الأمير المرابطي إلى مناظرته بعلماء وفقهاء دولته فظهرت قوة ابن تومرت وتأكد ضعف فقهاء المرابطين⁷، فكان كعادته لا يتوقف عن تغيير المنكر فعرضه ذلك إلى سخط العامة والحكام خاصة بعدما سخط على علماء المرابطين ونعتهم

¹ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص250، عبد العزيز سالم المرجع السابق، ص779، ينظر أيضا، حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت 1983، ص24.

² - البيهقي: المصدر السابق، ص39، هويثي، المرجع السابق، ص50.

³ - نفسه، ص251، ينظر أيضا الزركشي: المصدر السابق، ص5.

⁴ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص251.

⁵ - يوسف بن تاشفين: أمير المسلمين، السلطان أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني البربري يعرف أمير المرابطين كان كثير العفو مقربا للعلماء. الحلل الموشبة، المصدر السابق، ص24. أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، بيت الأفكار الدولية، لبنان 2004، ص4264.

⁶ - نفسه، ينظر أيضا: ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص11.

⁷ - ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص50.

بالمجسمين ولم يسلم من لسانه حتى أمراء المرابطين¹، وحتى ذلك الوقت كان ابن تومرت قد جمع حوله مؤيدين وأتباع. وهذا البروز الذي أكسبه مكانة بين أتباعه وأصحابه جعله يبدأ دعوته من مراكش، ولما زاد حقد المرابطين على ابن تومرت طرده ولاحقوه، فغادر مراكش إلى جهة آمنة تسمى "تينمل"²، وهي الأرض التي ذكرت في الجفر، فارتاح لذلك حيث وجد العناية والتقدير والتصديق والطاعة ما يكفي للاستقرار والشروع في ترتيب وتنظيم دولته، وقد بدأت هذه المهمة بمبايعة عبد المومن بن علي لصاحبه ابن تومرت سنة 515هـ³ وتبعه سائر أصحابه في المبايعة وأقبل عليه الأشياع والأتباع من سائر المغرب الأقصى فيما بعد، وأصبحت بذلك تتمل مقر وحجر أساس الدولة الموحدية خاصة وأنها مدينة حصينة وبعيدة عن مراقبة المرابطين⁴. ولتدعيم كيانه وزيادة مسانديه أنشأ رابطة يجتمع فيها مع أنصاره ومن ومن دخل في طاعته يحثهم على خير العمل وإصلاحه معتمدا في تبليغ رسالته على فصاحة لسانه العربي والبربري، فدخلت في طاعة قبائل عديدة فانتشر خبره فأصبح فيهم

¹ - ابن أبي زرع، المصدر السابق، 173، ابن خلدون المصدر السابق، ص304، عبد الواحد المراكشي المصدر السابق ص251.

² - ابن خلكان المصدر السابق، ص51. ينظر أيضا ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص176، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص61. حسن علي حسن، المرجع السابق، ص37، عبد العزيز سالم المرجع السابق ص779.

³ - عبد العزيز سالم المرجع السابق، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص177، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص161. الحلل الموشية، المصدر السابق، ص108.

⁴ - ابن خلكان، المصدر السابق، ص51.

السيد المطاع¹ والإمام المهاب فلقبوه بالمهدي وأطلقوا على أهل دعوته اسم الموحدين فكان
سنده عبد المومن بن علي وأصحابه العشرة²، ثم الخمسين فبايعته القبائل³.

ويبدو أن المصامدة كانوا أكثر ولاء وطاعته لابن تومرت، وكون من جموعهم جيشا
فاق العشرة آلاف⁴، وبعد أن تبع المهدي كثير من البربر صنف لأصحابه كتابا سماه
"التوحيد" بالبربرية، وألف لهم كتابا هو القواعد ثم الإمامة⁵، وكتب أخرى تتكلم عن المواعظ
والحكم والأمثال⁶، فصدقوا بأنه المهدي المنتظر⁷، الذي سيخلص الأرض والعباد من الظلم
والفساد وقد أقام ابن تومرت بجبل إيجليز ثلاثة أعوام يعلم ويوجه الطلبة الوافدين إليه
والمؤيدين له⁸. وبذلك ضمن ولائهم وطاعتهم واستمال قلوبهم وعقولهم ولما ازداد أتباعه وتأكد

¹ - ابن خلدون، المصدر السابق ص303، ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص177.

² - وهم: عبد المؤمن بن علي، عبد الله البشير، عمر أبو حفص، عمر بن علي أزنالك، سليمان بن
مخلف، ابراهيم ابن اسماعيل، عبد الواحد الحضري، موسى بن تمازي، أبو عثمان بن يخلف، أبو يحيى
أبو بكر بن تنجيت: عبد الواحد المراكشي، ص162. Charles, André julien, op cit, p440.

³ - أنظر الملحق ص ص 269-270.

⁴ - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص177.

⁵ - يبدو أنه كان محبا للعلم ويشجع على طلبه فقد صنف لهم تصانيف في العلم منها كتاب أعز ما
يطلب وعقائده في أصول الدين، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص254.

⁶ - عصام الدين، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة القاهرة 1990، ص265.

⁷ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 161-162. ابن أبي زرع، المصدر السابق،
ص177، الحلل الموشية المصدر السابق، ص110. عبد الرحمن بن خلدون المصدر السابق، ص304،
ينظر محمد بن تومرت مهدي الموحدين: أعز ما يطلب، تحقيق عمار طالبي عن وزارة الثقافة، الجزائر
2007، ص22. وتحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الفتى للنشر، الرباط، 1997، ص55، عبد
العزیز سالم المرجع السابق ص779، عبد الرحمن الجليلي تاريخ الجزائر العام ج2، شركة الأمة
للطباعة والنشر والتوزيع ط2010، ص29.

⁸ - ابن القطان المراكشي نظم الجمان، المصدر السابق، ص78.

وتأكد من طاعتهم واستمالة قلوبهم وعقولهم قوى نفوذه وانتشرت أخباره دخل في حرب مع المرابطين بعد أن جهز جيشا من المصامدة عام 517هـ، فأمرهم بمحاربة من سماهم المارقين المبدلين¹. فهزمت جيوش الموحدين في معركة البحيرة²، لكن المعارك ظلت متواصلة حول مراكش حتى توفي ابن تومرت عام 524 هـ بعد أن وضع أسس دولة الموحدين وأحكم أمورها وأسس قواعدها ورتب أحوالها³ فقرر القواعد ومهدّها.

لقد بايع المصامدة عبد المومن بن علي فوافقت على ذلك جماعة العشرة وأهل الخمسين واجتمع أمرهم عليه خاصة بعد وصية* ابن تومرت له، والذي جعله أميراً عليهم لقربه منه ولعلمه وشجاعته ورجاحة عقله⁴. وبعد مبايعته وإعلان الطاعة له من قبل الموحدين أكمل سيرة ابن تومرت في بناء دولة الإسلام وحاول أن ينهي ما بدأه معلمه⁵ ابن تومرت من تنظيم شؤون الموحدين وإقامة دولتهم فخضعت له البلاد وأطاعه العباد إذ قضى

¹ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 260.

² - "وفيها كانت ملحمة كبرى بين ابن تاشفين وبين جيش ابن تومرت، فقتل من الموحدين ثلاثة عشر ألف وقتل قائدهم عبد الله الونشريسي، وجاء خبر الهزيمة إلى ابن تومرت وهو مريض ثم مات في آخر السنة": شمس الدين ابن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي 1995، ج 36، ص 21. ينظر أيضا: البيهقي، المصدر السابق، ص 59.

³ - ابن خلكان، ج 5، المصدر السابق ص ص 53-55، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ص 260، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 180، ابن قنفذ، الوفيات، المصدر السابق، ص 273. * أنظر الملحق ص 268.

⁴ - ابن أبي زرع المصدر السابق، ص 183، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 274.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ص 270- ابن خلكان المصدر السابق ص 55. حسن علي حسن المرجع السابق ص 66.

عشرة سنوات في مواجهة المرابطين¹ في مراكش والمناطق المجاورة والقبائل المعارضة لسلطاته، فتمكن من كسر شوكة المرابطين، وجهاز حملات عسكرية لنصرة إخوانه في الأندلس وتخليصهم من النصارى الظالمين، في مالغة وغرناطة وقرطبة وإشبيلية²، فأصلح أمورها وامتد نفوذه إلى تلمسان، وهران، وبجاية، بونة، فأخضع المغرب الأوسط³ ووصلت حملاته إلى طرابلس.

وانتهت الدعوة الموحدية إلى تكوين إمبراطورية عظيمة جمعت أقطار المغرب الإسلامي لأول مرة إلى جانب الأندلس تحت قيادة مغربية⁴. وقد واجهت قوى الشر المسيحية في الأندلس وطردت النورمان من أطراف إفريقية محدثة بذلك وحدة سياسية واجتماعية متماسكة وقوة اقتصادية بالمنطقة.

¹ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص178، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، 779.

² عبد الرحمن بن خلدون المصدر السابق، ص313، عبد الواحد المراكشي المصدر السابق ص180، عصام الدين المرجع السابق ص268.

³ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص785، عصام الدين، المرجع السابق، ص267. ابن أبي زرع المصدر السابق، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون المصدر السابق، ص315 حسن علي حسن، المرجع السابق ص66، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص785، عصام الدين، المرجع السابق ص268.

* حيث لحق عبد المؤمن يحيى بن العزيز الحمادي الذي هرب بأمواله وأهله واضطر إلى قبول التفاوض وأن يسلم ما بيده صلحا فقبل عبد المؤمن وأمنه على نفسه وأهله وأمواله وأكرمه بان أنزله أحد قصور مراكش، محمد بن يوسف الزياني دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران تحقيق وتعليق المهدي بوعيدلي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1978، ص103، هشام أبو رميلة المرجع السابق، ص62.

⁴ وحتى مصر كانت تنتظر وصول هذه الدعوة الموحدية إليها، ينظر: رحلة ابن جبير، دار الصادر،

بيروت، د.ت، ص 59

(2) قيام دولة بني عبد الواد:

بعد أن توسع الموحدون وامتدت دولتهم من برقة¹ شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط والأندلس شمالا، إلى الصحراء جنوبا حيث كانت القوى السياسية والعسكرية المهيمنة على الجزء الغربي من البحر المتوسط على خلاف باقي العالم الإسلامي الذي كان يعاني من الهجمات الصليبية المتكررة من جهة، ومجموعات المغول الخطيرة² من جهة أخرى. لكن عوامل الضعف والانهييار سرعان ما بدأت تعصف بهذه القوة العسكرية والسياسية وكانت أخطرها معركة حصن العقاب* بالأندلس سنة 609هـ، 1212م ثم تلي ذلك ثورة بنو غانية³. وقد جسد ذلك كله بداية الضعف والانهييار عند الموحدين، والذي قضى عليها نهائيا عندما تضافرت عوامل⁴ أخرى داخلية وخارجية التي سمحت بظهور بني حفص الذين استطاعوا الانفصال عن الموحدين وأسسوا دولتهم وعاصمتها تونس

¹ - برقة: بلاد قاحلة وعرة لا ماء فيها ولا أرض تزرع كانت خالية من السكان قبل دخول العرب إلى إفريقية وتمتد شرقا حتى تخوم الإسكندرية. ينظر حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص112.

² - عبد العزيز الفيلاي، تلمسان في العهد الزياني ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية الجزائر 2002، ص13.

* أنظر الوثيقة رقم، ص

³ - ينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية التي ينحدر منها بنو تاشفين أمراء المرابطين لقد امتلكوا جزر البليار شرق الأندلس واستقلوا بها وأعلنوا ولاءهم للدولة العباسية ثم ثاروا على الموحدين فغزوا بجاية مليانة قسنطينة، ابن خلدون المصدر السابق ج6، ص508، محمد لعروسي المطوي: السلطة الحفصية، دار الغرب الإسلامي بيروت 1986، ص17، عبد العزيز الفيلاي المرجع السابق ص29، وما بعدها، عبد الحميد حاجيات، الجزائري للتاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ص305.

⁴ - من المعلوم أن الدولة الموحدية دخلت مسلسل التدهور بعد معركة العقاب ولم تعرف الاستقرار بعد هذا التاريخ. عبد الأحد سبتي: الأستوغرافيا والأزمة، كلية الآداب، الرباط، يوم دراسي، فبراير 1989، ص13.

عام 625هـ / 1227م¹، واستقر بنو الأحمر بالأندلس عام 629هـ/1231م²، وكانت عاصمتهم غرناطة، وبنو زيان بالمغرب الأوسط عام 633هـ - 1235م وعاصمتهم تلمسان³، ثم جاء دور بني مرين الذين قضاوا على الموحيدين، واتخذوا من فاس عاصمة لمملكتهم عام 658هـ-1295م⁴.

تنتسب دولة بني عبد الواد إلى قبيلة بني عبد الواد⁵ إحدى بطون زناتة⁶ الكبرى؛ وهم عدة بطون: بنو ياتكين، بنو وللو، بنو القاسم ومن هذا الفرع الأخير ينحدر بنو عبد الواد

¹ - عبد العزيز فيلالي المرجع السابق ص14. يحيى بو عزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ط4، 2007، ص201.

² - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص145. أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، ت781هـ، المناقب المرزوقية. تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء، ط1، 2008.

³ - تلمسان مدينتان متجاورتان مسورتان أحدهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها الملمثون ملوك المغرب واسمها تافرارت، فيما يسكن الجند وأصحاب السلطات وأصناف من الناس. واسم القديمة أقادير: -إسماعيل العربي نقلا عن ياقوت الحموي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984 ص135. حسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص7.

⁴ - عبد العزيز فيلالي المرجع السابق ص14. يحيى بو عزيز الموجز في تاريخ الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ط4، 2007، ص206.

⁵ - يعود أصل تسميتهم إلى جدهم الذي عرف باسم عابد الواد لرهبانيته، أبو حمو موسى الثاني: واسطة السلول، المصدر السابق، ص8.

⁶ - زناتة : تعد من القبائل البتر البربرية التي ينتهي نسبها إلى مادغيس بن بر كانوا عدة فروع منهم بنوا مرين، مغراوة بنو يفرن ..ابن حزم الأندلسي جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف مصر 1962 ص495 ابن خلدون المصدر السابق ج7، ص ص 4-10.محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص15=

حيث كانوا من القبائل¹ التي تستوطن المناطق الجنوبية من المغرب الأوسط تنتقل عبر الصحراء بالمواشي بحثا عن المراعي الخصبة بين سجلماسة² ومنطقة الزاب³. وتشير بعض الدراسات أن قبائل بني عبد الواد كان لها دور في مرحلة الفتح الإسلامي للمغرب وذلك بمساندتها لجيوش الفاتح عقبة بن نافع الفهري⁴ سنة 62هـ، 682م أثناء حملته الثانية التي قادها إلى المغربيين الأوسط والأقصى حيث شملت مناطقهم الدخول، أسهمت هي الأخرى في فتح باقي بلاد المغرب الإسلامي⁵، وكان بنو عبد الواد هم أول من أعلن الطاعة لعقبة

=وما بعدها. أبو حمو موسى الثاني الزياني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق، محمد بوترة، دار الشيماء للنشر والتوزيع، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر 2012، ص9.

¹- يحيى ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية 1980، ص186.

²- مدينة بنيت سنة 140هـ وهي سهلية أرضها سبخة وهي في أول الصحراء تقع ناحية تافليلات جنوب شرق مدينة فاس وتعد من أهم المناطق التجارية واقعة على طريق الذهب القادم من بلاد السودان العربي، أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي القاهرة (د،ت) ص148 ابن حوقل النصبي كتاب صورة الأرض ج1، ط2، ليدن 1938، ص91.

³- حيث يرى ابن خلدون أن هذه القبائل كانت تتردد على هذه المناطق التي تقع ما بين فجيح وجبل راشد: عبد الرحمن بن خلدون المصدر السابق، ص145، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص14.

⁴- شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص فاكنتسب من معارك فتح مصر ومن أساليب عمرو بن العاص في إدارة القتال بعثه عمرو بن العاص على رأس جيش إلى زويلة فافتتحها صلحا عام 21هـ ثم أعاده يزيد بن معاوية إلى إفريقيا سنة 62هـ كان أول من تغلغل في إفريقيا والمغرب الأوسط والأقصى استشهد عام 63 هـ، عبد الواحد دنوت طه: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار صادر الإسلامي، ليبيا 2004، ص ص 96-97.

⁵- يحيى بن خلدون المصدر السابق، ص186- حسن الوزان المصدر السابق، ص7، عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص14.

بن نافع عندما فتح إفريقية وأعانوا جيشه بألف فارس على جيش البربر فنصره الله عليهم¹، ولما دخل بنو هلال² المغرب الأوسط رحل بنو عبد الواد إلى ناحية وهران³ غرب المغرب الأوسط ولما وصل الموحدون إلى هذا الجزء من المغرب الإسلامي في 524هـ/ 558هـ-1130م/ 1163م اصطدموا بمواجهة بنو عبد الواد⁴ لكن سرعان ما دخلوا في طاعتهم وخدمتهم بل صاروا من أخلص العناصر لهم فمكّنهم الموحدون من تلمسان وبلاد زناتة⁵ في جهات بني يلومي⁶ وبني وامانو⁷ حتى قويت شوكتهم وسيطروا على القبائل

¹- أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص8

²- لقد كانت القبائل الهلالية أخلط من القبائل العربية بينهم سليم أقوى عناصر الهلالية وأغرقها وأغناها، وهلال الذي غلب اسمه على مجموع هذه القبائل والبطون كانوا كسائر العدنانيين يكرهون القحطانيين- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ص59.

³- وهران: أحد أهم موانئ المغرب الأوسط شمال شرق تلمسان، البكري المصدر السابق ص81، أحمد بن سحنون الراشدي الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني تحقيق: المهدي البوعبدلي ، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر 1973، ص59.

⁴- عبد العزيز الفيلاي المرجع السابق، ص14.

⁵- يحيى بن خلدون: المصدر السابق ص 198، عطا الله وآخرون، الجزائري في التاريخ ج3، العهد الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ص359.

⁶- بنو يلومي: من قبائل زناتة كانت مواطنهم على الضفة الغربية لواد مينا وسيق وجبل هواره وبني راشد، راشد، ابن خلدون المصدر السابق ج7، ص114.

⁷- بنو وامانو: وهم كذلك فرع من زناتة شرق وادي مينا أسفل شلف. ابن خلدون، نفسه، ص114. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص20.

المجاورة لهم كما أطلقوا يدهم في بني توجين¹ وبني راشد نواحي جبل عمور حالياً وبعض المناطق في إقليم وهران وتلمسان فأصبحوا بذلك من أكبر وأهم الموالين للموحدين² وساعدوهم على ضرب القبائل المناوئة لهم فكانت تدخلاتهم مستمرة للحفاظ على بقاء تلمسان بعيدة عن هيمنة بنو غانية الموالون للمرابطين الذين سقطوا تحت ضربات الموحديين ومكافأة لهم منحهم الموحدون تلمسان، وعين عليها يغمراسن بن زيان سنة 627هـ/1227م، واليا، وبذلك بدأ بنو عبد الواد بناء ملكهم وترتيب أمورهم خاصة مع بداية تدهور واضطراب أمر دولة الموحديين وتراجع قوتهم ولم تتمكن من المحافظة على استقرارها. إذ تعتبر معركة العقاب 609هـ، 1212م³ من أهم العوامل التي أدت إلى تفكك الدولة الموحدية الذي أنشأ صرحها ابن تومرت، ومن بعده وخلفاءهم الذين تصارعوا على الحكم فتأزم الوضع واشتدت الأزمة السياسية على العرش بعد وفاة العادل سنة 624هـ⁴. وبذلك ضعف شأنهم في سائر أنحاء المغرب الإسلامي ولم يبق لهم نفوذ في المغرب الأوسط إلا في تلمسان، وقد تدهورت أوضاعه أكثر بعد هجومات يحي بن غانية سنة 623هـ. وما نتج

¹ - بنو توجين: كانوا من أشد الأعداء لبني عبد الواد وهو الأمر الذي دفع الدولة العبادوية لتهاجم أراضيهم من حين لآخر وكانوا يقطنون على ضفاف وادي شلف وحالفوا المعز، بن باديس ضد حماد بن بلكين، نفسه ص ص 106-318.

² - عطا الله وآخرون، المرجع السابق، ص 359.

³ - معركة العقاب: لقد اجتمع مع الخليفة الموحد الناصر من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف مقاتل وكان الناصر قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده وأيقن بالظفر حتى اهتزت جميع بلاد الفرنجة لجوازه وتمكن رعبه من قلوبهم فأخذوا في تحصين بلادهم وكتب إليه أكثر أمرائهم يسألونه السلم ويطلبون منه العفو، لكن خيانة وزيره أبو سعيد بن جامع كانت من عوامل ضعف ووهن الدولة الموحدية فكانت سنة 609هـ، بداية نهاية دولة الاسلام من المغرب والأندلس، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954، ص 200. روجي لي تورنو: المرجع السابق، ص 96.

⁴ - عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 11.

عن ذلك من قتل ونهب وتخريب وانتشار الفوضى في مختلف الأنحاء، وكما أشار إلى ذلك ابن خلدون¹. وفي جميع الأحوال كان بنو عبد الواد متمسكين بخدمتهم وولائهم للموحدين، لكن بداية الخلاف بين بني عبد الواد والموحدين كان حوالي 627هـ أيام أبي سعيد عثمان الذي أغار صدره عامل تلمسان الحسن بن حيون الكومي ضد بني عبد الواد خوفاً من تزايد قوتهم فألقى القبض على شيوخهم وسجنهم لكن أمير حامية تلمسان أطلق سراحهم وقتل الحسن بن حيون الكومي واعتقل مكانه أبا سعيد عثمان والي تلمسان، ويكون أن هذا الحادث قد عكر صفو العلاقات بين بني عبد الواد والموحدين فاستقل جابر بن يوسف بحكم تلمسان².

ويبدو أن الإجراء كان اعترافاً من الموحدين بدورهم في مساندتهم لهم لذلك قام الخليفة المأمون الموحي عام 627هـ-1230م بتعيين جابر بن يوسف حاكماً على منطقة تلمسان³ لتصبح بذلك تحت نفوذهم كبداية لتأسيس الدولة الزيانية⁴، وفي هذه الأثناء جاءت

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق ج6، ص: 406. تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1951، سنة 2007 ص: 183. 184. عبد الحميد حاجيات المرجع السابق، ص12 خالد بلعربي الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية (633هـ. 681هـ) (1235. 1282) دار اللمعة للنشر والتوزيع ط1 2011، ص59 محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1984 ص79.

² - محمد عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص112. الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان 633-962هـ/1236-1554م. رسالة ودكتوراه قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2004، 2005، ص30

³ - بلعربي خالد، المرجع السابق، ص62، التنسي: المصدر السابق، ص113.

⁴ - Charles André Julien, histoire de l'Afrique du nord, TR. SNED. Alger1975, p154.

- Sidi Ahmed Bouali, les deux grand sièges de Tlemcen, ENAL, Alger1984, p27.

مبايعة نواحي تلمسان له ما عدا ندرومة* التي لم يتمكن جابر بن يوسف من إخضاعها حيث قتل دون ذلك سنة 629هـ فخلقه ابنه الحسن ثم أخاه عثمان 630هـ 631هـ ثم ابنه الحسن ثم أخاه عثمان 630هـ-631هـ ثم ابنه زيدان بن زيان 631هـ-633هـ لكنه وجد معارضة من بعض عناصر قبيلته فقتل عام 633هـ ليخلفه من بعده أخوه يغمراسن¹ الذي أعلن استقلال إمارة بني عبد الواد بتلمسان² واتخذوها عاصمة لهم لكن مع الاعتراف الجزئي أو الرمزي بالموحدين³. أن يغمراسن كانت له عزيمة وقدرة ومكانة سمحت له بإخضاع قبائل بنو مظهر وبنو راشد الخارجون من قبل على أخيه، وأكد من خلال ذلك قدرته على قيادة إمارته وتأمين حدودها التي لم تكن آمنة من خطر التواجد المريني على الجهة الغربية، وبنو حفص شرقا، إلا أنه مع ذلك ظل مقيدا برباط المودة والإخلاص مع الموحدين على الأقل في مرحلة التأسيس، وذلك حفاظا على ملكه، فقد تمسك يغمراسن بالرشيد بن المأمون

* مدينة قديمة أسسها الرومان، ومن المؤلم أن تشاهد مدينة بهذا القدر من الجمال واقعة في أجمل مكان بإفريقيا، ص 295، مرمول ج 2، أفريقيا: مطابع المعارف الجديدة 1984، مرمول كرخال: إفريقيا ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زبير، ج 2، مطابع المعارف الجديدة، الرباط 1989، ص 295. حسن الوزان: المصدر السابق، ص 13.

¹ عبد الحميد حاجيات المرجع السابق، ص 12 تاريخ الجزائر من خلال المصادر، المرجع السابق ص 185. التنسي: نفسه، ص 115. عبد الرحمن بن خلدون: المرجع السابق، ج 7، ص 106.

² نفسه ص: 185، خالد بلعربي المرجع السابق ص 62، عبد القادر بوحسون العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (1235 - 1236) رسالة ماجستير جامعة أبي بكر بلقايد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ تلمسان (2007-2008)، ص 9-عبد الرحمن الأعرج: العلاقات الثقافية بين دول بني زيان والمماليك رسالة ماجستير جامعة أبي بكر بلقايد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ 2007، 2008، ص 8- محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 80.

³ وفي هذا يقول ابن خلدون: "فظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة، فناذبوه العداة وشاقوه الطاعة وكبوا له ظهر الخلاف والعداوة فشمّر لحريهم..."، المصدر السابق، ج 7، ص 107.

الموحدى مما ساعده على وضع الأسس الأولى والمتينة لدولة الناشئة، كما كان عليه توسيع نفوذه وسلطته محليا وإقليميا، فبدأ بالقضاء على قبائل بني توجين ومغراوة¹ وضمهم إلى ملكهم فنظر إلى المرينيين فحاربهم مع أحلافهم دون أن ينتصر عليهم نهائيا لكنه تصدى لهم بكل ما كان يملك من قوة. كما أبدى شجاعة كبيرة في مواجهة الحفصيين. وعلى كل حال فإن جرأته وحزمه جعله يحافظ على المغرب الأوسط ويبعد عنه خطر الحفصيين والمرينيين المتواصل على هذا الإقليم في أكثر من مرة².

إنّ تلمسان في عهد يغمراسن قد عظم شأنها واتسعت أرجاءها وبتاقرارات³ كانت تقيم الأسرة المالكة والدواوين والقوات المسلحة، فأقام دولته على قواعد متينة فاتخذ الوزراء والكتاب والقضاة⁴، فقد توفرت له جميع مظاهر الملك تعيين الوزراء والكتاب والعمال وترتيب الجند، وقد استطاع أن يشكل من بني عبد الواد جيشا قويا مكنه من حماية مغربنا الأوسط واستمر عهده إلى 681هـ-1282م، فدولة يغمراسن واجهت مشاكل وتحديات خطيرة بحكم موقعها الذي كان يتوسط قوى أخرى منافسة لها لغرض السيطرة والهيمنة على أجزاء كبيرة

¹ كانوا من أوسع بطون زناتة ونسبهم إلى مفراو به يصلين مثل بني يفرن ولهم فروع كثيرة، محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص19. التنسي: المصدر السابق، ص129. عبد الرحمن بن خلدون: ج7، المصدر السابق، ص106.

² إن تعدد الحملات الحفصية على تلمسان لدليل على حالة الحرب التي كانت شبه مستمرة بين الدولتين. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص26، كما أن رغبة المرينيين في انتزاع زعامة المغرب الاسلامي كان محرك الصراع الزياني المريني: نفسه، ص ص26-27.

³ محمد عمرو الطمار، المرجع السابق، ص92. التنسي: المصدر السابق، ص125.

– Georges Marçais, Tlemcen, Edition de TELL, BLIDA 2003, p18.

⁴ تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المرجع السابق، ص192. التنسي: المصدر السابق، ص115.

من المغرب الإسلامي حيث المرينيون غربا والحفصيون شرقا¹. وليس من السهل الصمود والاستمرار في البقاء، إذا كان على مؤسس وقائد هذه الدولة بذل المزيد من الجهود والحنكة وإيجاد الحلول وفعلا فإن خصال يغمراسن ساعدته على اجتياز الصعاب، فقد كان بدوي النشأة صلبا شجاعا لم تمنعه حياته الجديدة من الاندماج والتأقلم؛ إذ ظلّ يعيش في خيمة مع مواشيه وفرسان قبيلته² كما يكون قد استفاد من مشاركته في عدة معارك ضد أعداء بني زيان مما ذكرنا سابقا.

وعلى كل حال، فإنّ حدود دولة بني عبد الواد لم تكن مستقرة بل كانت مطاطية تتحكم فيها العوامل السياسية والإقليمية خاصة من جهة الشرق، وبخلاف حدودها الغربية التي كانت في الغالب تنتهي عند حدود ملوية³ فهذه الدولة ملأت ما كان يسمى بالمغرب الأوسط وبدأ حكامها منذ إعلان الانفصال عن الإمبراطورية الموحدية توسيع مساحة مملكتهم وضم أكبر عدد من القبائل غربا حتى وصلوا إلى وجدة⁴ المجاورة وواد ملوية وإقليم فجيح⁵، أما نفوذ هذه الدولة فقد امتدت إلى مازونة وتنس والونشريس والمدية وأخضعوا مغراوة وتوجين ووصلت سلطة بني عبد الواد بجاية وتلك أقصى حدودها الشرقية لكن في زمن أبي

¹ - أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المصدر السابق، ص 24.

² - عطا الله وآخرون: المرجع السابق، ص 360- بلعربي خالد، المرجع السابق، ص 72-73.

³ - هذا ما يؤكد المؤرخ الناصري، الذي يقول أن الحد الشرقي للمغرب الأقصى هو واد ملوية مع جبال تازة، أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء، المرجع السابق، ج 1، ص 71.

⁴ - وجدة: مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح على بعد 40 كلم ميلا جنوب البحر المتوسط وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان بناها زيري بن عطية المغراوي، عام 384 هـ 914م. الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ص 12.

⁵ - عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء يحيط بها عدد كبير من النخيل وهي على بعد نحو 250 ميلا شرق سجل ماسة جميع الفيكيكيين أثرياء، الحسن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 132.

حمو موسى الأول 707-718هـ (1307-1318)¹ وابنه أبي تاشفين عبد الرحمن الأول 718-737هـ / 1318-1337م² بلغت حدودها الشرقية قسنطينة وعنابة وتوغلت في الأقاليم الحفصية حتى بلغت مدينة تونس أما جنوبا فقد بلغت هذه الحدود نواحي ورجلات وغرداية وتوات³ والخلاصة أن الظروف السياسية والقوة العسكرية والاقتصادية والاستقرار في الحكم والعزيمة والشجاعة وحسن التسيير كانت وراء اتساع أو تقلص مساحة الدولة الزيانية.

¹- أبو حمو موسى الأول، ولد عام 665هـ كان فظا غليظا حازما يقظا، يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص212.

²- يصفه يحيى ابن خلدون قائلا كان فاضلا رحب الجنان، عظيم الخلق، جميل الخلق في أيامه تحضرت الدولة، نفسه ص215.

³- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ص43.

3) استمرارية نهضة القرن 5هـ / 11م العلمية:

عرف المغرب الإسلامي نهضة علمية واسعة امتدت إلى كل الميادين خلال القرن الخامس الهجري خلال العهد الزييري والحمادي¹ والمرابطي وقد شملت كل أقطاره من طرابلس شرقا إلى المحيط غربا، وامتدت تأثيرات تلك الحضارة إلى المغرب الأوسط في ظل انتقال معالم هذا التطور باتجاه بلدان المشرق².

ويمكن أن نعدد ونحدد جملة العوامل والأسباب التي أسهمت في هذا النماء الحضاري والازدهار الثقافي، انتشار التعليم الذي كان قد بلغ ذروته في مدن المغرب الإسلامي والذي شجع الطلبة على الانتقال من مختلف المناطق إلى الحواضر التي كانت تمثل هذا التيار الثقافي كتيهت التي سقطت على يد الفاطميين، والتي تعد من أهم حواضر المغرب الإسلامي، ومركز للإشعاع الفكري والعلمي في المغرب الأوسط، جاء دور مدن أخرى ظهرت وشيدت لتكون مقصدا لطلبة العلم كأشير³.

¹ - حكم بنو حماد المغرب الأوسط من سنة 408هـ / 1018م إلى 547هـ / 1152م، رشيد بورويبة،

الدولة الحمادية- تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص116.

² - الشيخ بوقرية: مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري،

أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات جامعة وهران 1999. 2000. ص: 1

³ - فقد بنيت هذه المدينة لتكون قاعدة أخرى في المغرب الأوسط تقريبا لنفس الغرض الذي تأسست من

اجله المسيلة وهو أن تكون قاعدة أمامية للفاطميين يضربون من خلال زناتة و الحركات المعارضة لها

وببناء أشير أصبح المغرب الأوسط يتكون من ثلاثة قواعد استراتيجية يتركز عليها الفاطميون في بسط

نفوذهم على الجبهات الغربية ومراقبتها وسكن الناس فيها وبني سورها. واستبحر عمرانها ورحل إليها

العلماء وقصدها أهل تلك النواحي طلبا للأمن والسلام. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة

من التاريخ الجزائري، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر 1991، ص76 وما بعدها.

وكذا المسيلة¹، مليانة²، القلعة وبجاية³. حيث تحولت هذه المدن إلى مراكز حضارية هامة في المغرب الأوسط.⁴ وقد مثلت المسيلة دورا حضاريا حاسما حيث اعتبرت حاضرة العلم والعلماء للمغرب الأوسط واستمرت في ذلك حتى نهاية القرن الخامس الهجري، فوالة أمرها كان لهم الدور الأساسي في وضع أسس هذا الازدهار الثقافي لكثرة عطائهم⁵، وتقديرهم لأهل العلم والثقافة فقصدتها العلماء والأدباء والشعراء وحتى بعد نقل عاصمة الحماديين من القلعة إلى بجاية، ظلت تحافظ على كونها منبرا للإشعاع والعطاء ومنبعا لرجال العلم والثقافة.

¹ - المسيلة: هي مدينة بالمغرب تسمى المحمدية، اختطها أبو القاسم بن عبيد الله المهدي 318هـ، وكان المتولي لبنائها على بن حمدون الأندلسي. استعمله القائم العبيدي عليها حتى هلك في فتنة أبي يزيد وجاء تأسيسها رغبة في مراقبة تحركات القبائل الزبانية المتمردة. إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 164. 165. عبد العزيز فيلالي بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1982، ص 37. حسن الوزان، المصدر السابق، ص 52.

² - مليانة: مدينة أزلية وهي مسورة وحصينة بناها الرومان وهي كثيرة الزرع والماء: حسن الوزان، المصدر السابق، ص 34، إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 150. حسن الوزان، المصدر السابق، ص 34.

³ - بجاية، مدينة عتيقة بناها الرومان تحيط بها أسوار عالية متينة فيها جوامع كافية و مدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه و العلوم بالإضافة إلى زوايا المتصوفة. وفيما بعد ظلت أهلة بأهل الأندلس فهي عين بلاد بني حماد: حسن الوزان: المصدر السابق، ص 50، إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 169.

⁴ - الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر. المرجع السابق، ص 80.

⁵ - الشيخ بن قرية، المرجع السابق، ص 1.

وإلى جانب التعليم كوسيلة هامة أسهمت في ازدهار الحركة الأدبية والعلمية ببلاد المغرب الأوسط¹، فإن المكتبات الخاصة والعامة، والتي تعد الدعائم الأساسية على نشر الثقافة وحركة التحصيل العلمي، وذلك بما توفره وتحتويه من كتب في مختلف العلوم والفنون والآداب لا يمكن الاستغناء عنها، فتأخر الأمم وتقديمها يرتبط بالعلوم والمعرفة التي توفرها الكتب، وعليه فندرة أو كثرة المكتبات والكتب من مظاهر التخلف أو التقدم عند الدول وهو مقياس للرقى أو التأخر، لذلك حرص الأمراء والحكام على توفيرها وتعميمها على حواضر المغرب الإسلامي مما ساعد الطلبة على التنقل إلى هذه الحواضر لتلقي المزيد من العلوم والمعرفة ونذكر في مغربنا الأوسط بجاية، مسيلة، تيهرت، تلمسان وغيرها.

وهكذا عرف المغرب الأوسط نهضة ثقافية واسعة، فانبعثت الحياة بعد أن عم الرخاء واستعاد المغرب استقراره وأمنه وتوطدت الصلة بين المشرق والمغرب²، وبين الغرب والأندلس، ويضاف إلى المكتبات والتعليم، المساجد والرابطات فهي أيضا عوامل ساعدت على توسيع وتعميم الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال الفترة التي سبقت القرن السادس الهجري فقد كانت المساجد بلا شك منهلًا لطلبة العلم والحلقات³، فهي بمثابة مراكز ثقافية لدراسة القرآن، الحديث، اللغة، النحو، وقد انتشرت المساجد بكثرة في حواضر المغرب الأوسط مع بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي، وازدادت خلال العهد الرستمي،

¹ - الشيخ بن قربة، المرجع السابق، ص3، محمد واكدي قضية الطبع والطبعة في النقد الأدبي في الجزائر خلال القرن الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة الفرنسية وآدابها، جامعة وهران 2005. 2006، ص4.

² - حسن حسني عبد الوهاب، المنتخب المدرسي من الأدب التونسي ط2، المصلحة الأميرية القاهرة 1944 ص50 وما بعدها.

³ - المقريري تقي الدين المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والآثار. ثلاثة أجزاء، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 1924، ص314.

الإدريسي، المرابطي والحمادي، وعدت هذه المساجد مراكز إشعاع للعلوم والمعارف الدينية¹، فقد وجد في هذه المساجد نخبة من العلماء تفرغوا للعبادة والعلم وأصبح يقصدهم الطلبة للحصول على المزيد من العلوم والفتوى².

أما الرباطات³ فهي الأخرى قامت بدور هام في بلاد المغرب الإسلام في المجال التعليمي وقد وجد بعضها ضمن مغربنا الأوسط منه رباط مرسي مغيلة⁴، رياض في مدينة شرشال⁵، فعلى جانب كونها تشترك في حراسة الثغور الإسلامية، فقد ظلت مراكز إشعاع فكري وعلمي، يكون فيه المرابط المعلم، والمرشد، والداعي، فكان يقصد هذه الرباطات عدد كبير من الطلبة لتلقي مختلف العلوم، كالعبادة وتلقي العلوم والحراسة والدفاع عن المسلمين ورصد تحركات العدو على السواحل، ففي السلم كما في الحرب فإن دور هذه الرباطات كانت بث ونشر العلوم والمعرفة والعبادة والجهاد.

¹ – Alfred bel, la religion musulmane en bérubérie libraire oriental paris 1938 tome 1, P :102.

² – عفيفي محمود إبراهيم عبد الله، مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية حتى منتصف القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم التاريخ، القاهرة 1980، ص281.

³ – وهي أيضا المدن التي يربط فيها المسلمون للجهاد والدفاع عن الوطن وحماية الدعوة الإسلامية هي المدن العسكرية المشحونة بالمتطوعين من المجاهدين الذين كانوا يتناوبون على الشمالية الشرقية حتى شاطئ البحر، وكان على شواطئ البحر المتوسط من زاويته الشمالية الشرقية حتى شاطئ البحر الظلمات الأطلسي الرباط. شوقي أبو خليل الحضارة العربية الإسلامية دار الفكر المعاصر بيروت دار الفكر سوريا ط 1954. ص: 557، إحسان الهندي، الحياة العسكرية عند العرب طبع وزارة الثقافة دمشق 1964. ص224.

⁴ – مغيلة: يقول عنه البكري، مرسي مغيلة ببني هاشم هو مرسي صغير وله رباط على ضفة البحر مسكون مأه كثير...، البكري، المصدر السابق، ص81.

⁵ – مدينة شرشال: وكانت لمدينة مبني ارتدم و فيها رباطات يجتمع إليها في كل عام خلف كثير نفسه: ص82.

ومما سبق نقول إن هذه العوامل المذكورة أسهمت في انتعاش الحركة الثقافية والدينية في المغرب الأوسط خاصة في العصر الحمادي (404-547هـ) فكثرت الفقهاء والأدباء. ويبدو أن ثقافة الاهتمام بالعلماء وتقريبهم من الحكماء كانت لها ثمارها سواء عند الزيريين أو الحماديين¹، وتلك عادة حميدة زادت الحركة العلمية والثقافية دعماً وتشجيعاً وهو ما يفسر تطور عدد من المجالات والميادين منها الفقه، التفسير، الحديث، الفقه، النحو وغيرها، والباحث في تاريخ المغرب الإسلامي خلال المرحلة الممتدة ما بين الفتح الإسلامي إلى غاية القرن الثاني الهجري يلاحظ أن العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث، كانت هي الأساس والأكثر انتشاراً واتباعاً من قبل المغاربة، إذن الطابع الديني قد ميز علوم هذه المرحلة²، لكن عدة تطورات حدثت خلال المرحلة الثانية بدأت مع ظهور الدويلات المستقلة كالرسميتين والأدارسة والفاطميين ثم من بعد الزيريين والحماديين المرابطيين وانتهاء بالموحدين والزيانيين، وعبر هذه الفترات كانت النهضة الثقافية والعلمية تتطور من فترة لأخرى ومن دولة لأخرى حتى ظهرت تخصصات كالدراسات الأدبية³، المختلفة تخص اللغة النحو الشعر والنقد والعلوم الدينية من فقه وحديث وعلوم القرآن⁴، ويفضل الاحتكاك والرحلة العلمية في المغرب الإسلامي فقد ازدهرت الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الإسلامي. وفي المغرب الأوسط كانت مظاهر التطور بادية أكثر إذ حظيت الحركة الفكرية والعلمية والأدبية بتشجيع الأمراء والحكام للعلماء والأدباء حتى سميت تيهرت بعراق المغرب وبجاية بمكة الصغيرة لأنها كانت ملتقى العلماء والأطباء والشعراء⁵، ورغم التأثير الكبير بما يحدث

¹ - رابح يونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ط2، دار الهدى 2000 عين مليلة، الجزائر، ص281.

² - المرجع نفسه، ص74.

³ - نفسه، ص 74، وما بعدها.

⁴ - محمد واكدي، المرجع السابق، ص19.

⁵ - عبد القادر جعلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط ترجمة. فضيل الحكيم، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت 1482، ص: 60.

في المشرق من اتجاهات في الأدب والشعر ومجالات أخرى إلا أن اهتمام أدباء وشعراء المغرب الأوسط كان يتركز على حدّ تعبير عبد العزيز نبوي على تشخيص أحوال أوضاع المغرب الأوسط¹، فالخروج من مرحلة التعرف على الدين وتعلم اللغة العربية إلى مرحلة الإنتاج الفكري والأدبي²، مكن المغرب الأوسط من البروز ككيان سياسي مستقل عن باقي الأقطار الأخرى المجاورة له.

والخلاصة أنّ المغرب الأوسط تدعم بمراكز ثقافية قامت بدور مهم وحيوي بعد النشاط الثقافي والعلمي ابتداء من تيهرت والمسيلة وبجاية وغيرها حتى صارت على درجة من التحضر والازدهار في عدة مجالات واستقطبت عدد من العلماء والأدباء والفقهاء والطلبة من مختلف الجهات وبفضل هؤلاء تمكنت أن تنافس القيروان والبصرة والأندلس وهنا نشير إلى دور المشرق والأندلس في نقل مختلف العلوم والمعرفة لأهل المغرب، وهكذا تمكن المغرب الأوسط أن يثبت كيانه ثقافيا وحضوريا متميزا.

¹ - عبد العزيز نبوي: محاضرات في الشعر المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983، ص: 110.

² - محمد إحدادن: الحياة الأدبية والثقافية في المغرب الأوسط حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وأدبها، جامعة الجزائر 2005. 2006، ص 53.

4) سياسة الدولتين الموحدية والزيانية:

أ. الدولة الموحدية:

فالمغرب الإسلامي هو الآخر كان يعرف بداية نهضة فكرية بعضها موروث عن المرابطين والحماديين والبعض الآخر عن الأندلس، في الوقت الذي كان المشرق الإسلامي والأندلس يعرفان حركة علمية وثقافية مزدهرة وذلك خلال القرن (6 و7هـ). 12م. 13م وهذا التطور تم على يد الموحدين والزيانيين¹.

لقد نال المغرب الأوسط وخاصة تلمسان عناية بالغة خلال الفترة الموحدية من قبل الخليفة الموحي عبد المؤمن بن علي باعتبارها مسقط رأسه، فقد تحوّلت تلمسان إلى مركز علمي وحضاري استقطب الكثير من الطلبة والعلماء والأدباء من مختلف أقطار المغرب الإسلامي والأندلس وكانت واحدة من أهم المدن التي يتوجه إليها أبناء الخلفاء²، لطلب العلم والعيش وذلك لتفرع العلوم التي تدرس بها.

لقد نشطت الحركة الفكرية والعلمية في عهد الموحدين نشاطا مكثفا³، في مختلف الميادين سواء العلمية والأدبية أو الفنية. فما هي عوامل هذا التطور الفكري والعلمي؟

¹ - سعد زعلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، المصور الموحي 580هـ. 595هـ. 1184م. 1199م، منشأة المعارف جلال حزي وشركاءه الإسكندرية 2005، ص193. محمد المنوني حضارة الموحدين. دار توبقال للنشر الدار البيضاء ط1 1989، ص9.

² - خالد بلعربي: تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية ط1. 55هـ. 633هـ 675م. 1235م ط. دار الألمعة للنشر والتوزيع، قسنطينة 2011، ص177.

³ - Chems Eddine chitour : l'éducation et la culture en Algérie des origines à nos jours, ENAG édition distribution 1999, P74.

إن ازدهار المعارف وتنوعها كان سمات العصر الموحي البارزة وهذا التطور ساهم فيه بشكل دائم وكبير خلفاء دولة الموحدين الذين أجزلوا العطاء لأصحاب الأدب والفكر¹ وإلى ما شيده من مساجد ومدارس.

كان اهتمام الخلفاء الموحدين وولاتهم كبير بالحركة العلمية وتقريب العلماء والفقهاء والأدباء ورجال الفكر ككل، وحتى الطلبة. وهذا ليس بالغريب طالما أن هؤلاء الخلفاء كانوا أنفسهم أهل علم وثقافة لذلك كانوا لا يترددون في منحهم الأرزاق والهدايا والأموال بشكل دائم.² تطلع محمد بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية إلى التحصيل العلمي والبحث عن الحقيقة وتعطشه إلى المزيد من العلم والقراءة إلى درجة وصفه بتهافته لتحصيل العلوم وما دفعه إلى الرحيل والانتقال بعيداً عن موطنه ومناطق كانت تمثل المراكز العلمية والحضارية وصولاً إلى مبتغاه، إلا مؤشرات عن حبه للعلم والعلماء³، ثم نجده يفتح كتابه بفقرة رنانة والتي تشير إلى فضل العلم وطرقه وما قد يستعين به طالب العلم فيقول: أعز ما يطلب وأفضل ما يكسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله سبب الهداية إلى كل خير هو أعز المطالب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر⁴ فهذه مؤشرات توجي باهتمام محمد بن تومرت وعنايته بالعلم، فدولة الموحدين عرفت نهضة علمية وفكرية تطبعها الروح الدينية التي ركز عليها ابن تومرت منذ بدأ دعوته والتي مست العقول والقلوب، ولم تكن دعوته هاته يكتب لها النجاح، ولا لدولته القيام والاستمرار لولا ذلك الأساس الديني والعلمي الذي قامت

¹ - المنوني: المرجع السابق، ص 53.

² - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 340.

³ - البيذق: المصدر السابق، ص 29. فأهل ابن تومرت كانوا أهل نساك وإن ابن تومرت كان قارئاً محباً للعلم. أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يوسف، دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، لبنان (د،ت)، ج 1، ص 106.

⁴ - محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخارجي، القاهرة ط 2، 1990، ص 200.

عليه وضمنت لها حضارة¹، ما زالت معالمها وآثارها قائمة إلى غاية اليوم في المغرب والأندلس واستطاعت أن تؤسس علاقات بين المشرق والمغرب، فلقد اجتهد الخلفاء في دولة الموحدين على استقطاب عدد كبير من الفقهاء والعلماء إلى بلاطهم خاصة من الأندلس التي كانت تمثل حاضرة العالم الإسلامي الأول لعدة قرون حيث ازدهرت فيها مختلف العلوم والفنون والآداب وبعده الخليفة الأول الموحد عبد المؤمن بن علي (529هـ. 558هـ) رجل علم وثقافة واسعة وفقه درس العلوم وله عن المعارف العربية الإسلامية ما جعله يدرك أهمية العلوم ويتذوق الشعر والأدب، فقد انكب منذ صغره على دراسة مختلف العلوم من لغة وأدب وفقه وتوحيد حتى أصبح في مستوى صاحبه محمد بن تومرت²، وبعد وفاة عبد المؤمن بن علي جاء بعده أبو يوسف يعقوب 558هـ. 580هـ الذي دأب على اتباع سيرة أبيه في إقرار السلم في المغرب، فقد تفاعل مع الثقافة الأندلسية وتعاطف معها حتى برزت له شخصيته العلمية إلى جانب شخصية السياسة، فقد كان شغوفاً بأخبار العرب وأيامهم ومال إلى علوم اللغة، وكان متقناً في العلوم الشرعية والأصولية³، ومن بعده جاء ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور (580هـ. 595هـ) الذي بلغ العهد الموحد في ظله العصر الذهبي، ومن ملامح ذلك ازدهار الحركة العمرانية في عهده كما استقر بقصره أكبر فلاسفة العصر وعلمائه كابن طفيل، وابن رشد وعبد الملك بن عياش الكاتب، وتدعم حكمه بعناصر أندلسية لها وزنها العلمي والثقافي⁴.

¹ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 9.

² - يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج، ديوان المطبوعات الجامعية 2007، ص 198.

³ - محمد جابر الأنقاري: التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1992، ص 183.

⁴ - نفسه: ص 184.

بعد السقوط المتتالي لمدن الأندلس على يد الإسبان كان على مسلمي هذه المدن مغادرتها إلى اتجاهات كثيرة أهمها المغرب الإسلامي، ويبدو أن حظ المغرب الأوسط كان كبيراً حيث وجد هؤلاء المهاجرين كل الترحيب والمساندة فأعطوا مواهبهم ولم يبخلوا بعلومهم ومعارفهم فتدعمت الثقافة، وراجت أسواق العلم والأدب، وفي كل الأحوال لا يمكن إنكار أو تجاهل دور الأندلس في تطوير الأدب ومجالات أخرى في المغرب الأوسط¹، فالأرضية التي انطلق منها الموحدون كانت خصبة ومثمرة، فالمرابطون كانوا قد هيأوها من خلال ما انتهت إليه دولتهم، من علم وثقافة، شملت عدة ميادين كانت في معظمها قد تسربت إليهم من الأندلس ويؤكد ذلك النص التالي: فانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله واجتمع له ولأبنة من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الإعصار. وقوله لم ينزل أمير المسلمين أمير ابن يوسف من أول إمارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك². فهذا الإرث الكبير الذي تركه المرابطون وجد من يحفظه ويزيد عليه بل ويشجع من يهتم به فكانت عناية الموحدين كبيرة برحال العلم والفكر مادياً ومعنوياً وأدبياً. فلقد أسسوا المدارس والمعاهد وخزائن الكتب وابتكروا التعليم المجاني ونشروا العلم والمعرفة حتى باللسان البربري واستقطبوا رجال العلم واستمالوا العلماء³.

فالتواجد الكبير لعلماء وأدباء وفلاسفة الأندلس بالدولة الموحدية لا ينفي وجود أيضاً فقهاء ورجال علم في مختلف المجالات فيها.

¹ - محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، المرجع السابق، ص66. الحسن السائح الحضارة الإسلامية في المغرب. دار الثقافة للنشر والتوزيع ط2. 1986. ص:207.

² - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص104. أحمد بن القاضي المكناسي: 960-1025هـ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام، مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط 1973، ص460.

³ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص14.

كما مثلت هجرة الصقليين عاملا أساسيا في إعطاء دعم للحركة العلمية في المغرب الأوسط لأن صقلية كانت لا تقل أهمية عن الأندلس من حيث النهضة العلمية والفكرية فمنها هاجر القرشي الصقلي الذي كان عالما بالفقه والنحو ومدرسا بارعا¹.

إلى جانب العاملين السابقين نضيف إليهما عاملا آخر مهم يتمثل في اهتمام دولة الموحدين بالثقافة، ومن مظاهر ذلك عنايتهم منذ قيام هذه الدولة بإنشاء دور الطلبة والمتعلمين والإنفاق عليهم ومراقبة نشاطهم الفكري والديني معا. وما الآثار العمرانية الشاهدة -التاريخ الصامت- الباقية عن هذا العهد -التاريخ الناطق- إلا أدلة وشواهد تؤكد اهتمام هؤلاء بالعلم والمعرفة². فقد حرصت الدولة الموحدية على تنظيم خزائن الكتب ووفروا جو الحرية والأمن أكثر ما وفره المرابطون من قبل، حيث أصبح المجال مفتوحا للحوار المناظرة والمناقشة لكل الفئات الأندلسية والمغربية والمشرقية، ومن شأن هذا العمل أن يثري الحركة العلمية والأدبية فألفت واتسعت الترجمة في كل فن، يضاف إلى ذلك منهاج الموحدين الذي يدعوا إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، وهو ما شجع الناس على التوجه نحو الدراسات القرآنية والحديث فبرز المحدثون وتشعب الأدب من شعر ونثر، فكثرت الأغراض وبلغت الدراسات في التاريخ والجغرافيا والتصوف والفلسفة والرحلات والطب مبلغا عظيما ويمكن أن نذكر بعض ممن مثل هذا المجال، ابن صاحب الصلاة (ت594هـ-1198م) وصاحب كتاب الاستبصار القرن السادس عبد الواحد المراكشي (ت611هـ-1124م) الشريف الإدريسي (ت562هـ-1166م)³ وابن سعيد المغربي (ت685هـ-1286م) فقد امتاز عصر الموحدين

¹ - عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي ط1 2003، ص207.

² - عبد الكريم التواتي: دراسات في الأدب المغربي، مجلة دعوة الحق 232 نوفمبر 1983. إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط الغرب، ص73 عدد الصفحات 125.

³ - عز الدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم دار الغرب الإسلامي بيروت ط1، 1991م، صص54-55.

بتدفق الأموال والخيرات والبساتين والضيع، وانتشر الأمن، وشاعت الحرية فكان تنقل العلماء والفقهاء ورجال الأدب والطلبة دون عناء أو خوف داخل إمبراطورية الموحدين، فهذا التراث دون شك استفاد منه أهل العلم وبالتأكيد كان حظ أهل المعرفة وافرا ونستدل على هذا أن يوسف جعل المرتبات للأطباء والمهندسين والكتاب والشعراء وغيرهم، وأجرى يعقوب المرتبات على العلماء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم¹. والخلاصة أن عناية الموحدين هي التوسع في العلم أكثر مما يقتضيه نشر الدين، لذلك كانت العلوم بأنواعها ألزم للدعوة الموحدية²، فنجد أن عنايتهم عمت البدو والحضر والعرب والبربر فتفتحت العقول وأنت الآداب والفنون أكلها. فعبد المؤمن استغل جميع عناصر الحياة التي كانت متوفرة، ولم يترك من وسائل التشجيع شيئا إلا فعله متأثرا بما تلقاه من أستاذه ومعلمه المهدي بن تومرت من أنواع المعارف وفنون الآداب كما لا ننكر فضل أحفاد عبد المومن في دعم ودفح الحركة الأدبية والعلمية واستمرار تقدمها³.

¹ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 138. محمد المنوي: المرجع السابق، ص 16.

² - عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج 1، المرجع السابق، ص 114.

³ - المرجع نفسه، ص ص 113-114.

ب. الدولة الزيانية:

إذا كانت الثقافة قد نهضت في عهد الحماديين والموحدين نهضة شاملة فأخذت مختلف العلوم في الانتشار فإنّ عصر الزيانيين يمثل ذروة هذه النهضة حيث برزت الإنتاجات الفكرية والعلمية في شتى المجالات¹، فقد كان هذا العصر الطويل عصر تفتح ثقافي عبر مراكز المغرب الأوسط الثقافية كتلمسان، وهران، مليانة، جزائر، بني مزغنة، بجاية، قسنطينة، عنابة؛ إذ نبع فيها عدد كبير من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتصوفة والكتاب والشعراء وغيرهم²، فمع بداية العهد الزياني بالمغرب الأوسط بدأ عهد جديد ميزه الازدهار الحضاري، حيث حصل تقدم في العلوم والآداب والحياة الفكرية ككل³ خلال الفترة الزمنية الممتدة من الفتح الإسلامي إلى غاية قيام الدولة الزيانية، أقام بتلمسان عدّة علماء وجلسوا إلى أهلها فاستقروا بها قبل قيام هذه الدولة، ومما يلاحظ على هذه الفترة أن معظم علمائها كان تركيزهم على العلوم الدينية⁴ وتفسير ذلك يعود إلى اهتمام الموحدين بالأصول من كتاب وسنة، بدل الفروع التي ركز عليها المرابطون، ومن العوامل التي ساعدت على هذه النهضة الفكرية:

1- دور السلاطين:

لا شك أن ما بلغته الدولة الزيانية من تقدم وما وصلته من تطور فكري ونشاط علمي يعود بالدرجة الأولى إلى دور سلاطين وأمراء هذه الدولة واهتمامهم بتدعيم الحركة

¹ - رايح بونار، المرجع السابق، ص 309.

² - نفسه، ص 310.

³ - لقد ساد بنو زيان ملكهم في تلمسان وكان الوسط الجزائري كله راقيا علميا وأدبيا: أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العمرية 1350هـ، ص 86.

⁴ - عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة العدد، 26 جويلية - أوت 1975م عدد الصفحات 374، ص 137.

الفكرية والعلمية بمدينة تلمسان¹ وغيرها من المدن الأخرى، بعدما تمكنوا من جمع شتات الإمارات الصغيرة وتكوين إمارة قوية استطاعت أن تبعث الحركة الفكرية، وتنهض بالعلوم وتشجيع طلبة العلم².

فهذا الاهتمام المتواصل بالحركة العلمية والثقافية يعود إلى كون بعض هؤلاء السلاطين كانوا أدباء وعلماء كأبي حمو موسى الثاني (723هـ-791هـ) (1364م-1389م)³، الذي كان يكتب الشعر ويتذوقه وهو صاحب كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك⁴، فهذا الملك

¹ - فالسلطان أبو تاشفين بن أبي حمو الأول كانت مجالسه عاملة بالمناظرة بين العلماء وكان ملتزما بالحضور في هذه المجالس. عبد الجليل قريان: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص73.

² - عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق ص 311.

³ - أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن سلطان تلمسان من أسرة بني عبد الواد، ولد في الأندلس تذوق الشعر والأدب والفن، يقيم المآدب الفخمة في بلاط تلمسان، وقد أشار المؤرخون إلى حفلات المولد النبوي في عهد أبي حمو موسى التي كانت تقام وسط مظاهر البهجة والسرور والمساجلات الأدبية، وقد أظهر أبو حمو موسى عناية كبيرة بالحركة الفكرية. أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس: دائرة المعارف الإسلامية، ج1، دار المعرفة، بيروت، (د،ت)، ص328-330.

- MAHFOUD KHADDACHE- l'Algérie Medivale, SNED Alger1980, p169.

⁴ - فهو كتاب في قواعد الملك والوصايا والأدب والحكم المرشدة إلى طرق الصواب، وقد اعتمد أبو حمو على بعض المصادر منها: سراج الملوك للطرطوشي، كتاب العقد لابن عبد ربه، والمنهج السلوك في سياسة الملوك لعبد الله بن عبد الرحمن، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج6، دار العلم للملايين، بيروت 1997، ص83. هو السلطان أبو حمو موسى الثاني بن يوسف أحد ملوك بني زيان كان يقرض الشعر ويحب أهله وكان ما من ليلة مولد مرت في أيامه إلا ونظم فيها قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، ينظر كتاب: واسطة السلوك في سياسة الملوك، فهذا الكتاب يحمل نصوصا هامة ساعدت المؤرخين على كتابة تاريخ الدولة الزيانية، حاجيات أبو حمو، المرجع السابق، ص7.

التلمساني درس بتلمسان¹ على يد أشهر علمائها مبادئ العربية والعلوم الدينية²، فكان يكرم أهل العلم ويعظمهم فمساهمته الفكرية كانت كبيرة.³ ولا شك أن أهل العلم والمعرفة في زمانه أصابهم اهتمامه وعطفه، ونفس هذا الاهتمام بالحركة العلمية ميز السلطان أبي زيان محمد الثاني 796هـ-801هـ/1364م-1399م، فقد كان عالما مهتما بالعلم والعلماء والطلبة⁴، فلقد كان تشجيع السلاطين للحركة الثقافية متواصلا؛ بل وكانوا يتنافسون في ذلك، ومن مظاهر ذلك بناء المؤسسات المختلفة منها المكتاتيب والمكتبات الخاصة والعامة وبناء المدارس وجلبوا النخبة من العلماء للتدريس فيها، فتكفلوا بالإتفاق على الطلبة، فيغمراسن بن زيان كان كريما مع العلماء والطلبة الوافدين على البلاط الزياني ومما يذكر حوله حبه للصالحين والعلماء ويجالسهم؛ بل كان يرسل في استقدامهم لبلاطه⁵ بتلمسان، فكان تقديره لهم كبير ومن ذلك الترحيب والاهتمام الذي أولاه لعبد السلام التنسي ت680هـ مقابل أن يدرس في تلمسان⁶ كما حظي الأديب الأندلسي أبو بكر بن عبد الله ت(686هـ-1286م)

¹ - يبدو أنه أخذ العلم أولا بفاس زمن إقامته فيها بعد أن ارتحل إليها سنة 735هـ وعمره لم يتجاوز الرابعة عشر وعاد إلى تلمسان سنة 749هـ وفاس كانت موطننا للعلم والأدب. أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص19.

² - عادل نويهض: المرجع السابق، ص125.

³ - نصر الدين بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن (7-10هـ)، (13-16م)، أطروحة انيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2009-2010، ص38.

⁴ - قال عنه ابن خلدون: كان صارما يقظا، حازما، داهية مفرط الذكاء: ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق، ج7، ص198.

⁵ - يحيى بن خلدون: المرجع السابق، ص205. عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص319.

⁶ - التنسي: تاريخ بني زيان: المصدر السابق، ص25، أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تحقيق أبو يحيى عبد الله الكندري: دار ابن حزم، بيروت 2002، ص83.

هو الآخر بتقريب واهتمام هذا الأمير حتى أصبح كاتباً في ديوان الإنشاء¹، وحتى المجالس العلمية كانت تعقد في قصره وتحث عنايته، وهذه الصورة الحسنة سار عليها خلفاء أبي حمو موسى الأول 704هـ-781هـ الذي كان هو أيضاً شغوفاً بالعلم يكرم أهله، من طلبة وعلماء فباتت مدن المغرب الأوسط تزدهم بالطلبة والعلماء والفقهاء والأدباء الذين أسهموا في وضع حركة علمية وثقافية مزجت فيها العلوم العقلية بالنقلية² التي كانت منتشرة خلال تلك الفترة، وقد امتدت تأثيرات ذلك حتى خارج المغرب الأوسط، وهي العوامل التي جعلت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وتحولت إلى مركز حضاري هام ومنطقة إشعاع علمي وثقافي على مدى ثلاثة قرون تقريباً، فرغبة أمراء بنو زيان وإرادتهم في رعاية العلماء والفقهاء، حيث استقبلوهم من مختلف حواضر المغرب الإسلامي والأقطار الإسلامية³ فاستفاد أهل تلمسان مما جاء به وأنتجه هؤلاء العلماء والأدباء من فكر وحضارة غمرت المغرب الأوسط في مختلف المجالات، وقد أعطى تشجيع الأمراء والمزيد من الإنتاج الفكري والعلمي⁴. وإلى جانب دور سلاطين بن زيان في تطور الحركة العلمية، هناك عوامل لا يمكن التقليل من أهميتها من ذلك الاحتكاك الأدبي الذي وقع بين أعلام الثقافة المهاجرين من الأندلس ومتقفي المشرق الذين استوطنوا تلمسان وبيجاية وقسنطينة وغيرها.

فتفانق الوضع في الأندلس سمح بانتقال وهجرة أو ترحيل علمائها باتجاه المغرب الأوسط فاستقروا ببيجاية وتلمسان وغيرها من المدن⁵ وفي هذا الغرض يقول ابن خلدون:

¹- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق وضع المقدمة، محمد عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1984، ص275. عبد الرحمن الأعرج: المرجع السابق، ص25.

²- يحيى بو عزيز أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ج1، دار الغرب الإسلامي ط1، 1995، ص15.

³- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص319.

⁴- المرجع نفسه، ص32.

⁵- عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص437.

"وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة الموحدين من الأندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت من عوائدها لما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الأندلس"¹. فأثر الأندلس كان هاما وبالغا في هذا التطور، فقد ورثت تلمسان وباقي حواضر المغرب الأوسط قسطا وافرا من الحضارة الأندلسية ونهلت منه² فالتراث الثقافي الذي تركته العصور السابقة مثل لبنة أولى لبعث نهضة ثقافية³. كما شهدت مدينة تلمسان هجرات كثيرة من مختلف المناطق والمدن، وكان أغلب هذه الهجرات من أجل طلب العلم؛ إذ كانت الرحلة العلمية أمرا شائعا بين طلاب العلم في العصور الوسطى الإسلامية، كما كانت لفكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ والجلوس إليه أهمية كبرى في عملية التعلّم في تلك الفترة، وهذه الرحلات سمحت بتدفق الطلبة وأهل العلم على المغرب الأوسط كحاضرة علمية ومركز إشعاع علمي في المغرب الإسلامي⁴، وهي أيضا من العوامل التي أسهمت في دعم الحركة العلمية والثقافية بالمغرب الأوسط.

والخلاصة أن سلاطين الدولة الزيانية كانوا وراء هذا الازدهار الثقافي كل واحد من زاويته سواء باستقدام العلماء، أو بتشجيع الحركة العلمية ودعمها والإنفاق على الطلبة ورجال الفكر والعلم، أو بتقريب بعضهم ومنحهم المناصب الإدارية وغيرها في بلاط الدولة الزيانية، وبهذا فقد خلقوا جوا فيه حرية فكرية وأشرفوا بأنفسهم على المناظرة وسمحوا بالتعمق في البحث والدراسة لمختلف المصنفات فأقبل أهل العلم على الاستفادة من العلماء والفقهاء والأدباء المتواجدين بتلمسان.⁵

¹ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 668.

² - عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق، ص 61-66.

³ - رايح بوتار: المرجع السابق، ص 311.

⁴ - عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، المرجع السابق، ج 1، ص 114 وما بعدها.

⁵ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 320.

5) انتشار التصوف وأثره في الحركة العلمية:

ظهر التصوف في الفكر الإسلامي في بداية القرن الثاني الهجري (2هـ-8م) نتيجة أوضاع العالم الإسلامي المضطربة فقد كثرت الحوادث في جميع جوانب الحياة، فأصبح الزهد والتصوف يرتبط بهذا العالم الإسلامي، فتأثرت بذلك الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية¹، فحين تضعف السلطة السياسية أو تختل الحياة الاجتماعية تتسع الأحوال الصوفية².

أ- مفهوم التصوف:

إن كلمة تصوف من الكلمات الغامضة التي تعددت تعاريفها ومفاهيمها، ويرجع ذلك إلى تداولها بين الديانات المختلفة والحضارات الإنسانية على مر العصور التاريخية³، وكل صوفي يخضع تعريفه وتعبيره لتجربة خاصة في عصره وأفكاره، وليس من السهل إيجاد تعريف موحد ودقيق لمعنى التصوف؛ فابن الجوزي يذكر أنّ التصوف رياضة النفس ومجاهدة الطبع وردّه عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والعلم والصبر والإخلاص والصدق⁴ فالكثير من الناس لم يدركوا حقيقة اشتقاق هذا المصطلح الصوفي فيقال عليه أنّ الصوفي هو المنقطع بهمته إلى الله تعالى المتصرف في طاعته⁵. فإذا كان الفقه هو منطق المسلمين فإنّ التصوف هو فلسفة المسلمين وهو علمهم في

¹ عبد المنعم الحنفي: الموسوعة الصوفية، أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، دار الرشد للنشر والتوزيع ط1، 1992، ص21.

² عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص74.

³ فالبعض أراد إرجاع التصوف إلى الكنيسة السريانية أو إلى البوذية أساساً، لكن البعض الآخر أرجعها إلى مصدر إسلامي خالص. بروكلمان: المرجع السابق، ج4، ص54.

⁴ ابن الجوزي البغدادي: تلبيس إبليس ط5، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت 2001، ص147.

⁵ أبو يعقوب يوسف بن يحيى الشاذلي المعروف بأبي الزيات: التشوق إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق ط2، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1997، ص34.

الأخلاق¹. ويمكن أن نخلص إلى أنّ التصوف مبالغة في الزهد عن الحياة الدنيا والتعلق بالحياة الأخرى وعزوف النفس الدنيا وزينتها².

ب- دور التصوف في الحركة العلمية:

لقد أسهمت المؤسسات التربوية من مساجد وزوايا ومدارس ودور للعلماء في نشر التربية الصوفية بشكل كبير خلال الفترات التاريخية المختلفة، وقد درّست العلوم الصوفية في هذه المؤسسات جنباً إلى جنب مع العلوم الإسلامية المختلفة دون تفرقة أو اعتراض لأنها علوم إسلامية تخص الجانب الروحي الإسلامي وتأخذ من منبع واحد هو القرآن والسنة،³ فقد اعتبر رجال الصوفية العلم من حق الجميع ولذلك نجدهم يشتركون مع باقي الفئات الاجتماعية ودون أن يكون لهم مكانا مخصصا لهم لممارسة مهنة التعليم والتبليغ، وقد أسهم في ذلك كثرة انتشار المساجد والرباطات والكتاتيب عبر مختلف حواضر وبوادي المغرب الأوسط. وإذا ما أردنا معرفة دور الحركة الصوفية في الجانب العلمي لا بد علينا من التطرق إلى:

- الزوايا: فهي ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة وتقديم الدروس العلمية والدينية وقد اتخذها الصوفية مكانا لإقامة حلقاتهم⁴ فدور الزوايا يتراوح ما بين الديني والعلمي. ولا شك أنّها أسهمت بقسط وافر في نشر وترسيخ الحركة الثقافية، فشيخ الزاوية يكون الإنسان العابد المطيع لأوامر خالقه من صلاة وصوم، ثم المعلم الذي يلقي الأطفال والمريدين مختلف

¹ - عبد المنعم الحنفي: المرجع السابق، ص 05.

² - يبدو أن اللفظ انبثق عند المسلمين من حيث معناه عن الزهد والنسك اللذين يأتيان بمعنى العبادة إذا

كانت تطوعا. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة بيروت 1996، ص 106.

³ - عبد المنعم الحنفي: المرجع السابق، ص 130.

⁴ - المرجع نفسه، ص 131.

العلوم والمعارف في نظام تربوي تعليمي¹، ثم إنّه بمجيء الموحدين فتح الطريق أمام التصوف الذي بات منتشرًا في بلاد المغرب الإسلامي على عكس المرابطين الذين فرضوا شبه حصار على التصوف أحيانًا فأصبحت مؤلفات الغزالي وغيرها من المصنفات تدرس في المؤسسات والمجالس خلال عهد الموحدين²، فالرباط خلال القرن الخامس الهجري (5هـ)³ تحول إلى زاوية في القرن السادس والسابع الهجري في المغرب الأوسط وظلت الوظائف نفسها في بروز نشاطات أخرى لها في المرحلة الثانية⁴ فعلى كثرة هذه الرباطات التي وجدت في المغرب الأوسط ابتداءً من القرن الخامس الهجري، ثم الزوايا بعدها فقد أصبحت مهامها تربوية تعليمية تثقيفية تلقينية وإنسانية لمختلف الفئات الاجتماعية كالنفقات والإيواء والإطعام.⁵

¹ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص152، ينظر الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرن 6هـ-7هـ (12م-13م) دار الهدى عين مليية 2005، ص223.

² - ألفرد بل: المرجع السابق، ص379- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص384.

³ - يذكر محمد الأمين بلغيث: أن الزاوية ظهرت في عهد الموحدين وأنها كانت مستقلة بمريديها وتعاليمها عن الدولة، أنظر الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، معهد التاريخ جامعة الجزائر 1986-1987م ص282.

⁴ - مسعود العيد: المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، ع10، سنة 1988، ص5، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص224.

⁵ - ابن العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني: ت 810هـ انس الفقير وعز الحقيير، تحقيق محمد الفاسي وأودولف فور: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال الرباط (د-ت) ص40. محمد ديوب: مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3-5هـ)، (9-11م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2000-2001، ص63.

- التعليم:

إنّ تطور أي مجتمع أو أمة لا يكون إلا بالتعليم فكان وما زال قاعدة وضرورة قامت عليها الحضارات، وهي أساس النهضة في مختلف المجالات عبر كل زمان ومكان وأي تطوّر فكري أو علمي ينطلق من هذا العنصر، ويبدو أن الصوفية وجدت منفذا لها عبر التعليم لتبليغ رسالة الصوفي وأهدافه¹، خاصة وأن التعليم كان مقصد الطلبة من كل جهة بغية تحقيق مناصب سياسية أو قضائية في الدولة، وبذلك فالتصوف يكون قد أسهم في توجيه فئات واسعة إلى التعلم حيث كان الإقبال أكبر عند الأسر الميسورة التي كانت تنفق على أطفالهم، فالدولة لم تكن تنفق إلا على القضاة وتراقبهم في متابعة أحوال اليتامى². ونشير هنا إلى أنّ التعليم أثناء فترات الحماديين والمرابطيين والموحدين قد عرف تطورا ملحوظا واهتماما بالغا، لكن المذهب والعقيدة كانت تختلف من دولة إلى أخرى فالمرابطون ركزوا على تعليم فقه الفروع على مذهب مالك، بينما الموحدون اهتموا بتدريس الحديث وتفسير القرآن وتأويله والمنطق والفلسفة³، وراقبوا التعليم الشعبي خوفا من الصوفية الراضين لمذهب الموحدين، فالصوفية في المغرب الأوسط دفعوا بالتعليم إلى الأمام من خلال تعميمه على مختلف الفئات الاجتماعية وتتويج الموارد المدروسة ليسهل عليهم بث وزرع أفكارهم وسط تلك الفئات المتعلمة، فمارس الصوفية تلقين العلوم النقلية والعقلية سواء في تعليم الصبيان أو الطلبة الشباب أو العوام، فأما تعلم الصبيان فكان في معظمه مجانا يقتصر على تعليم القرآن فقط⁴. ومن الذين برزوا في هذا المجال خلال القرن السادس الهجري 12م

¹ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج2، ص337، الطاهر بونابي: المرجع السابق، صص228-

229. محمد دبوب: المرجع السابق، ص63.

² - ألفريد بيل: المرجع السابق، صص351-352.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص60 وما بعدها.

⁴ - فأهل المغرب كانوا يقتصرون في تعليم أطفالهم على القرآن وحده ولا يقرنون به حديثا ولا فقها ولا شعراء ولا لغة، ولهذا كان طلبة الغرب أقوم من غيرهم على حفظ القرآن ورسمه. محمد الأمري=

الصوفي أبو إسحاق بن يسول الاشبيلي، وأبو الحسن بن النجارية¹، في حين أن المصادر تذكر بعض المتصوفة الذين كانوا يتحصلون على أجورهم من بعض الأولياء ميسوري الحال منهم أبو عثمان سعيد بن علي البلنسي². ويبدو أنّ طريقتهم في التعليم لم تختلف كثيرا على ما كان متعارف عليه آنذاك كما يراه ابن خلدون؛ إذ يقول "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله... لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم"³.

أما تعليم الشباب فكان يدور حول عدة مواد من فقه وحديث وتفسير ونحو غيره، وفيما يخص طرق التلقين والتدريس داخل المساجد والزوايا والرباطات كانت تختلف من متصوف إلى آخر، فالغبريني يذكر لنا نماذج في هذا الغرض منهم، عبد الحق الإشبيلي⁴ في بجاية ومحمد عبد الرحمن التجيبي⁵، وأبو إسحاق إبراهيم التنسي⁶ وأبو محمد عبد الكريم⁷، ونشير هنا إلى أنّ دور الهجرات الأندلسية أو استقدام العلماء والفقهاء كان له أثر في توجيه حركة التعليم بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة ابتداءً من القرن السابع الهجري (13م)، من خلال طرق تدريسهم التي أصبحت مألوفة تعتمد على تقديم

=المصمودي: التربية عند ابن خلدون، مجلة دعوة الحق، ع8، السنة الأولى تصدرها وزارة عموم الأوقاف، الرباط، فبراير 1958، صص 29-30.

¹ - ابن الزيات: المصدر السابق، ص288، الطاهر بونايب: المرجع السابق، ص230.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص245.

³ - ابن خلدون: المصدر السابق، المقدمة، ص88.

⁴ - الغبريني: المصدر السابق، ص74.

⁵ - ابن الأبار: التكملة، ج2، ص579.

⁶ - يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص103.

⁷ - الغبريني، المصدر السابق، ص189.

بعض المواد كالشعر واللغة العربية والحساب، تم يأتي الفقه والحديث والقرآن وأصول الدين،¹ وبذلك أصبح التعليم في المغرب يجمع بين الطريقة الأندلسية والمغربية المحلية وهذا ما أعطى حركة التعليم نفسا قويا جديدا، ولا شك أن اختلاف هذه الطرق في التدريس² تبعه اختلاف أيضا في تقديم وتأخير بعض موارد التدريس وفي هذا يقول ابن خلدون: لكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها.³

أما التعليم الشعبي فلم تقتصر جهود الصوفية في التعليم على النمطين السابقين فقط؛ بل ركزت أيضا على التعليم الشعبي الذي يهدف إلى التنشئة الاجتماعية للفرد المسلم وإدماجه في المجتمع الإسلامي فإذا كان ابن خلدون يرى أن هذا التعليم انتهى منذ القرن الثالث الهجري،⁴ لم ليحل محله التعليم الاحترافي أو ما سماه بالتعليم الصناعي⁴، فإن هذا النوع من التعليم ظل قائما واستمر بجانب الثاني وربما في أساليب وطرق مختلفة تعتمد على الوعظ والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي قضايا كانت تحتاجها العامة خلال تلك الفترة، فلا شك أن هذا التعليم مكّن الناس من معرفة الحد الأدنى من تعاليم الدين الإسلامي فكان ضروريا الاهتمام به.⁵

¹ - ابن خلدون المصدر السابق، المقدمة، ص ص 234-235.

² - أما أهل المغرب ومن تبعهم من قرى البربر فكان المذهب الاقتصار على تعليم القرآن فقط، لا يهتمون بالشعر والحساب وكلام العرب والخط. سعيد الدينورجي: التربية والتعليم في الاسلام، مكتبة التراث العربي، العراق 1982، ص 39.

³ - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 234.

⁴ - نفسه، ص ص 48-49.

⁵ - المنوني: منهجية التعليم في الإسلام مجلة دعوة الحق ع 1، 1978، ص 15.

وفي عهد الدولة الموحدية ازدهر التعليم الشعبي بشكل كبير لم يسبق له مثيل في المغرب الإسلامي¹؛ ومن المتصوفة الذين اشتغلوا بالتدريس الشعبي خلال قرنين 6 و7 هـ (12-13م) أبو زكريا يحيى الزواوي في الجامع الأعظم في الحديث والفقهاء²، وأبو علي حسن المسبلي الذي ركز على تبليغ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حين اقتصر ابن الحجام على الموعظة يومي الاثنين والخميس في كل أسبوع³.

ويمكن أن نخلص إلى أنّ التعليم الشعبي كان من عوامل نشر الثقافة الدينية وأفكار المتصوفة في الحواضر والبادي عبر الزوايا والمساجد بإسهام من الطلبة المتخرجين الجدد الذين كوّنوا لأنفسهم مرّيين وأتباع جدد من خلال الزوايا والمدارس⁴ وبذلك يكون التصوّف قد تصدّى للجهل والامية وحاربها، وعمل على نشر تعاليم الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية⁵، فتبار الصوفية ومجهوداتهم ظلّت قائمة ومدعّمة للحركة الفكرية والعلمية خلال القرنين 6 و7 هـ⁶.

¹ - إسكان الحسين، جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7 هـ 9 هـ (13م-15م)، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1987، ص 8-9.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 137.

³ - يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 102.

⁴ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 387.

⁵ - الغبريني: المصدر السابق، ص 307.

⁶ - ألفريد بل: المرجع السابق، ص 383.

6) الحركة التعليمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 7 و6 هـ (12-13م):

بلغ العرب والمسلمون في المشرق والمغرب في القرون الأولى الإسلامية درجة عظيمة من التحضر، انتشرت من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، فلا حضارة بغير علم ولا يحصل علم بغير تعليم¹، ولا تعليم بدون نظام معين يعتمد منهاجا مناسباً للتربية، ويحترم أخلاقيات التعليم. ولا شك أنّ انتشار حضارتنا وازدهارها يعود إلى هذا النظام الذي اعتمد سابقاً، فالتعليم هو ركيزة أساسية وهامة تسهم في دفع الحركة الثقافية والفكرية نحو التقدم في شتى المجالات، ويسهم في نشر وتعميم الثقافة بين أفراد المجتمع، فالتعليم في شكله الأول قد انتقل إلى بلاد المغرب الإسلامي مع الفاتحين الأوائل، واستمر زمن الخلفاء الأمويين كعمر بن عبد العزيز² الذي تبنى سياسة قامت على العدل والمساواة بين الرعية وقد أرسل مع واليه الجديد إسماعيل بن أبي المهاجر دينار³ لولاية إفريقية عشرة من التابعين من أهل

¹ - محمد سحنون: كتاب آداب المعلمين: تقديم وتحقيق مقارن محمود عبد المولى، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981، ص5-6.

² - هو ابن عبد العزيز مروان عامل مصر ولد في المدينة المنورة في خلافة يزيد بن معاوية وفي عهد الوليد عين والياً على الحجاز، عد خامس الخلفاء الراشدين لتقواه ومهارته كان يعمل على مراقبة الولاة مراقبة دقيقة ويطلبهم برفع الظلم عن الناس وإقامة العدل في كل مجال واعتمد على الفقهاء وقربهم إليه توفي سنة 101هـ (780م) بعد خلافته دامت سنتين وخمسة أشهر وبضعة أيام. أ- إبراهيم زعرور وعلي أحمد: تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق 1995-1996، ص79 وما بعدها ينظر أيضاً: - ابن جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج6، تحقيق أبو الفضل إبراهيم دار المعارف لمصر ط2، 1964، ص550.

³ - لما توفي سلمان بن مالك ببيع لعمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان خيراً بالخلافة فاستعمل على إفريقية إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم فقام والياً ما بين سنة 100هـ-101هـ في خلافة عمر بن عبد العزيز فكان خيراً وال وخيراً أمير وما زال حريصاً على دعاء البربر على يده فكان حسن السيرة. ابن عبد الحكم: فتوح البلدان، تحقيق عبد المنعم عامر، ج1 شركة الأمل للطباعة=

العلم والفضل والدين لتعليم المغاربة الحلال والحرام، فهذا التعليم بدأ مع الصحابة والفاثحين ببلاد المغرب الإسلامي كانت محاوره تدور حول حفظ القرآن وفهمه وتبليغه، للعامّة وهو جزء من رسالة الإسلام وذلك لتحقيق أهداف دينية وسياسية وأخرى اجتماعية فالقرآن الكريم واللغة العربية كان أصل التعليم خلال هذه المرحلة.¹

كان من الأسباب التي ساعدت على ازدهار ونمو الحركة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7 هـ (12-13م)؛ انتشار المكتبات والزوايا والتعليم، وإقبال أمراء وحكام الموحدين والزيانيين على العلم والأدب وتكريمهم الدائم لرجال العلم وأهله.

فأما دولة الموحدين فقد أعطت التعليم حقه، ومنذ الثورة التي أعلنها وشرع فيها محمد بن تومرت ضد المرابطين²، والتي بدون شك استهدفت نشر المعرفة الدينية وتعميمها في المغرب الإسلامي بواسطة التعليم. فابن تومرت كان أول من مارس التعليم بنفسه على الطلبة المریدين في كل الأماكن والحوضر التي كان ينزل بها كجاية وتلمسان³. وقد داوم ابن تومرت على وعظ الموحدين وإرشادهم وتعليمهم طوال حياته ولم تشغله حروبه مع المرابطين عن ذلك⁴، وقد سار على نهجه خلفاء دولة الموحدين حيث فرضوا على رعاياهم تعلم القدر الضروري من العقائد والعبادات وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم. فقد عين خليفته عبد المومن بن علي سنة 556 هـ من طلبة الموحدين من يقوم بالسهر على هذا التعليم والطريقة لتبليغ العامة وتعليمهم العبادات وفرائض الدين فابن تومرت وعبد المومن ومن جاء

=والنشر (د.ت) ص287، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص61، حسين مؤنس فتح العرب للمغرب. المرجع السابق ص295.

¹ - فيلاي عبد العزيز: المرجع السابق، ص338.

² - إسكان الحسن: المرجع السابق، ص129.

³ - عز الدين عمرو موسى: المرجع السابق، ص84.

⁴ - نفسه ص85، ينظر أيضا ابن القطان، المصدر السابق ص23.

بعدهما كانوا يدركون أهمية العلم وعلاقته بالعمل، مقتدون بتعاليم الدين الإسلامي التي تدعوا إلى العمل والعبادة. فالدنيا ننتصر فيها بالعمل والعلم والآخرة -الجنة- تتأهلها بالعمل الصالح ومن هنا يبرز ارتباط العمل بالعلم¹ وكان ضروريا لتنفيذ وتبليغ أهداف رسمت لبقاء دولة الموحدين. فقد وضع عبد المومن بن علي برنامجا يقضي بتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة على كل من دخل في ظل دولة الموحدين، بل جعله فرضا على كل مكلف من الرجال والنساء الأحرار والعبيد² فقد كان عبد المومن يشرف بنفسه على مباشرة هذا النوع من التعلم ويكتب إلى باقي النواحي في هذا الغرض³، فبداية المرحلة التعليمية للأطفال كانت تقوم على أساس حفظ القرآن وضبط حروفه ومعانيه، فكل المؤسسات التعليمية خلال الفترة التي أعقبت الفتح الإسلامي وإلى غاية انتهاء فترة دراستنا أي القرن 7 هـ 13م كانت تجعل من هذه المواد أساسية في عملية التعليم، فحفظ القرآن مسألة مرتبطة بالمرحلة الأولى من تعليم الأطفال⁴، لأن الاهتمام بهذه الفئة وبمستقبلها أمرا ضروريا في المجتمعات قديما وحديثا حتى يسهل دمجهم وتوجيه طاقاتهم واهتماماتهم وقدراتهم لبناء المجتمعات والدول الإسلامية، ولخدمة مذهب وسياسة معينة كما هو الحال عند الموحدين⁵، فبغض النظر الآن عن المواد المدرّسة خلال هذه المرحلة عند الموحدين والمنهاج المعتمد، فإن الأهم هو الوصول إلى

¹ - ابن القطان: المصدر السابق، ص27، عز الدين عمر: المرجع السابق، ص85، الحلل الموشية: المصدر السابق، ص89،91.

² - محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ط2، دار المغرب للتأليف والنشر الرباط، 1977، ص27.

³ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص28.

⁴ - ديب صفية: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عهد الموحدين بين القرن 6-7 هـ (12-13م)، نشر وتوزيع مؤسسة كنوز الحكمة 2011، ص55.

⁵ - نفسه ص60، ينظر أيضا: محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية، دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، دار كرم الله للنشر والتوزيع 2011، ص82.

أهداف هذا التعليم وليس فقط القرآن وفهم معانيه عند كل الطلبة فهذا يبقى نسبيا ويختلف من واحد لآخر، نستخلص مما سبق، أن ابن تومرت وضع منهاجا تعليميا يخدم دعوته الإصلاحية بالدرجة الأولى وعندما جاء عبد المؤمن زاد اهتمامه بالتعليم وأهله حتى يتمكن من بناء دولته على أسس علمية وعقائدية متينة. وبذلك كانت مساهمة الموحدين بالغة في رعاية الحياة العلمية في دولتهم فحرصوا على تعميم التعليم والتعلم حيث نلمس إجبارية التعليم في ظل هذه الدولة.

أما في العهد الزياني فقد حافظت مدينة تلمسان وباقي الحواضر في المغرب الأوسط على الإرث الحضاري والفكري الذي تركه الموحدون، حيث فتح المجال واسعا مع الاجتهاد وحرية الفكر والإبداع بما يخدم توجهات الموحدين واستمرت الدولة الزيانية على نفس النهج تقريبا بل أن سلاطين هذه الدولة دعموا هذا المجال بكل الوسائل، فكان الإقبال كبيرا على دراسة مختلف الكتب والمصنفات الفقهية والأدبية فتحولت تلمسان إلى قبلة للطلبة، وكل من له رغبة في العلم والمعرفة والقراءة والتحصيل ومجالسة علماء تلمسان والأخذ عنهم ما استطاعوا من العلوم والفنون التي كانت تدرس في عاصمة الدولة الزيانية وخارجها، فالدين الإسلامي اعتنى بالعلم وحثّ على طلبه وجمعه فالقرآن دعا إلى ضرورة القراءة والأحاديث النبوية العديدة أكدت على ضرورة طلبه والاعتناء به فطلب العلم فريضة على كل مسام ومسلمة وأول آية نزلت على نبيّنا تدعونا إلى القراءة.¹ ونظرا لأهمية العلم في حياة الأمم والشعوب فقد ألفت الكتب في التربية والتعليم² تناولت المواد والمنهج، وما يخص المعلم والمتعلم من سلوك وطرق التدريس والمعاملة وغير ذلك من الأمور.

¹ - محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص80.

² - إن أقدم كتب التربية هو كتاب آداب المعلمين للإمام المري محمد بن سحنون 202هـ 256هـ عن أبيه سحنون بن سعيد بن حبيب بن ربيعة التتوخي (160هـ - 240هـ) الفقيه المشهور صاحب المدونة التي عليها الاعتماد في المذهب المالكي ، ينظر محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص5، محمد الشريف سيدي موسى المرجع السابق ص80-81.

ويبدو أن الحركة التعليمية كانت بالغة الأهمية في الفترة الزبانية ومن مظاهر ذلك انتشار المساجد والكتاتيب والزوايا وفيما بعد المعاهد والمدارس وقد كان يشرف على هذه المؤسسات بدون شك عدد كبير من العلماء والأدباء كان لهم نشاطات مختلفة علمية وفكرية ودينية، فكانت الحركة التعليمية من اهتمام الدولة والسلاطين الزبانيين لذلك كان الإقبال على طلب العلم كبير سواء الإلزامي أو الحر. وقد تأثرت طرق التدريس في الدولة الزبانية برافدين كبيرين كان لهما الأثر البالغ على التعليم في هذه الدولة، وهما رافد المشرق ورافد الأندلس.¹

¹ - عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 224.

(7) الرحلة العلمية :

فالمهتمون بالحركة الثقافية والعلمية في العالم الإسلامي وخاصة بالمغرب خلال العصر الوسيط يرجعون التاريخ والرحلة إلى القرن الثالث الهجري ثم أخذت تتوسع أكثر خلال القرنين 5 و6 هـ (11-12م)¹، لكن المؤلف أن الرحلة في طلب العلم والتنقل في سبيل الدراسة كان شائعا بين الطلبة ورجال العلم والفكر في العالم الإسلامي خلال فترة القرون الوسطى² فطلبة المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة كانوا يشدون الرحال إلى مختلف الأقطار الإسلامية فكان جامع الزيتونة بالمغرب الأدنى والقرويين بفاس وغرناطة والبصرة والكوفة ومصر ومكة والمدينة وغيرها كانت أماكن تنقل هؤلاء الطلبة. فالرحلات العلمية اعتبرت شرطا أساسيا في طلب العلم وقد عبر عنه ابن خلدون وهو يبحث على الرحلة في طلب العلم ولقاء الشيخ لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والتعمق في العلوم³ والاستزادة منها فهي إذا مظهرا مشرفا ونبیلا ومسؤولية كانت على عاتق الطلبة، فصحيح أن أغراض الرحلة أو الهجرة كانت مختلفة⁴ من شخص لآخر فالبعض كان غرضه زيارة الأماكن المقدسة، والبعض الآخر يهدف ربما للاستقرار، لكن الغالبية كانت رحلتهم علمية وأدبية خاصة أن ديننا الحنيف يدعونا ويشجعنا على طلب العلم والاجتهاد فيه فأول

¹ - جعفر بن الحاج السلمي: الأصول الثقافية والتاريخية لهجرة المثقفين المغاربة إلى الخارج، منشورات ضمن أعمال الملتقى الدولي حول هجرة المغاربة على الخارج- مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1999، ص106.

² - لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص99، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياتي، المرجع السابق، ص36- عبد الرحمن الأعرج، المرجع السابق، ص112.

³ - ابن خلدون: المقدمة المصدر السابق، ص588. أنظر الملحق ص 276.

⁴ - إن قائمة رجال العلم والأدب الذين رحلوا عن بلادهم ليس من الأسباب المتقدمة لا تكاد تنحصر إذ قل ما توجد ترجمة شهيرة من علمائنا لا يشار فيها إلى أن له رحلة. محمد الفاسي: الرحالة المغاربة وآثارهم: مجلة دعوة الحق، العدد الثاني، السنة الثانية، نوفمبر 1958، ص10.

آية قرآنية نزلت تدعو إلى القراءة، أول آية من سورة العلق، قال تعالى: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق﴾¹.

فطلبة المغرب الأوسط كانوا كغيرهم يرحلون إلى الحواضر الكبرى لإتمام تعليمهم وتحصيلهم إلى الحواضر العلمية الكبرى، فكانوا يلتقون في تلك الأمصار² بالعلماء فيأخذون ما عندهم³ ثم يعودون بعلم عزيز، منهم من يتوجه إلى التدريس وتعليم ما تحصل عليه، والبعض الآخر فضل البقاء في البلد الذي نزل به، وفي كل الأحوال فإن المغرب الأوسط قد استفاد ثقافيا وعلميا من عدة روافد منها الأندلس والمشرق الإسلامي وحواضر المغرب الإسلامي فكثرت المؤلفات والمصنفات في الفقه الحديث والقراءات والأدب والشعر وساهمت بذلك في تطوير الحركة العلمية والفكرية بالمغرب الأوسط. لقد شد طلاب العلم الرحلة من المغرب الأوسط إلى مختلف الحواضر المغربية والمشرقية والأندلسية بهدف التحصيل العلمي والجلوس إلى الشيوخ والعلماء، وقد تحملوا مشقة التنقل لنيل الإجازات والتحصيل العلمي وهو ما جعلهم يساهمون في دعم الحركة العلمية بالمغرب الأوسط عند عودتهم بعدما أصبحوا شيوخا ومعلمين وفقهاء فانتشروا في حواضر وبادي المغرب الأوسط من تلمسان غربا إلى بجاية شرقا، والقائمة طويلة سأذكر بعضهم بدون تفاصيل منهم إبراهيم التنسي ت 680م - 1281م⁴ حيث تنقل إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة ونظرا لمكانته العلمية فقد ولي مهام

¹- القرآن الكريم: الآيات الأولى من سورة العلق.

²- كان المشرق مقصدا لكثير من طلبة العلم المغاربة الذين رحلوا إليه طلبا للعلم وزيادة في المشيخة، عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 224.

³- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص 70.

⁴- التنبكتي: نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص 38.

ديبيلوماسية في العهد الزياني، وأبا عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي (681-757هـ)¹ حيث قصد المشرق لأداء فريضة الحج لكنه استقر في طريقه بالقاهرة، ومحمد بن عبد الرحمن التجيبي تزيل تلمسان ت 610هـ-1214م الذي تنقل إلى المشرق لطلب العلم، ومحمد بن أحمد بن الحجام التلمساني الذي انتقل إلى فاس حيث تعلم القراءات وأبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني ظل ينتقل إلى فاس ومراكش واشبيلية وعبد الله بن محمد الفهري الذي تنقل إلى مصر وإبراهيم بن يوسف بن محمد وجيه الدين البوني الذي تنقل إلى المشرق فاستقر بدمشق وغيرهم سيأتي الحديث عنهم بالتفصيل فيما بعد.

فنقول أنه بواسطة الرحلات العلمية، احتك علماء المغرب الأوسط بنظرانهم في المغرب والأندلس والمشرق، فتأثرت بذلك الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط² ولم يمنعهم في ذلك الصعوبات التي تواجههم كقطاع الطرق وبعد المناطق³ طالما أن التحصيل وترسيخ المكتسبات التي قرأها الطالب أو حفظها تتطلب الالتقاء مع الشيخ أو الجلوس إليه لمزيد من الشروحات والاستفسارات، ومما ساعد الرحلات العلمية بكل الاتجاهات هو دور الحكام والسلاطين في تأمين إقامة العلماء وأهل العلم، وهذا ما يفسر تشجيع الحكام واهتمامهم بالحركة العلمية، فالمراكز العلمية والمؤسسات المختلفة والعديدة المتواجدة بالأندلس والمشرق كانت تعج بالشيخ والمدرسين والعلماء والأدباء والمشهورين، فمصاحبة الشيخ والجلوس إليهم وأخذ العلوم من منابعها هو أفيد إلى طالب العلم⁴، وبعد الانتهاء من التحصيل وجمع العلوم كان الكثير منهم تسند إليه مناصب دينية تعليمية وقضائية تقديرا واحتراما لمكانتهم العلمية والأدبية.

¹ ابن مريم : البستان، المصدر السابق، ص380، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص411.

² عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص26.

³ الأخضر عبدلي: المرجع السابق، ص99-100.

⁴ ابن خلدون: المقدمة، ص1044.

فتطالعنا بعض الدراسات والمصادر، أن بعض الطلبة من المغرب الأوسط والإسلامي والأندلس الذين نزلوا ببلدان المشرق والأندلس جمعوا بين طلب العلم والجلوس إلى الشيوخ ومزاولة مهنة أخرى كالتدريس، مثل ابن خميس التلمساني (650هـ.708هـ) (1251.1308م) الذي تولى التدريس بغرناطة¹ وابن مرزوق الخطيب (710هـ - 781هـ) (1310. 1380م) الذي عين خطيبا بجامع غرناطة²، وابن خطاب المرسي (686هـ. 1289م) الذي عين خطيبا بجامع يغمراسن بن زيان (633هـ.681هـ) (1236. 1283م) إلى جانب عدد كبير من الأندلس الذين هاجروا إلى المغرب الأوسط بعد سقوط وانهزام الموحدين أمام المسيحيين في حصن العقاب ب1212م. 609هـ.

وفي النهاية إلى أن الرحلة العلمية لم تكن فقط لطلب العلم، فقد كانت أيضا أسلوبا ومظهر من التقارب بين الشعوب والدول وعاملا مهما في رفع الروابط³، الثقافية والاجتماعية وتثمينها بين حواضر العالم الإسلامي، فقد ترك هؤلاء الطلبة أثار علمية وبصمات فكرية وسمعة عالية في أماكن تواجدهم مشرقا و مغربا.⁴

فأوضاع المغرب الأوسط ورغم كل المؤثرات والتأثيرات الثقافية التي ظهرت به أو وصلته خلال العهد الرستمي أو الفاطمي ومن بعد الحمادي فالمرابطين وانتهاء بالموحدين والزيايين إلا أن الرحلة العلمية أفادت كثيرا ودعمت الحركة العلمية⁵ بهذا القطر من خلال

¹ - أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت 1985، ص376.

² - التتبعي: المصدر السابق، ص267. عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص331، ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص373.

³ - حسن الوراكلي: المشيخة العلمية في المغرب والأندلس، طبعة طنجة 1990، ص75.

⁴ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص362.

⁵ - رايح بوتار: المرجع السابق، ص69.

العلوم والآداب الواردة عليه على لسان هؤلاء الطلبة والأدباء والعلماء الوافدين إليه من الأندلس أو المشرق الإسلامي.

1- تيار التصوّف الإسلامي:

أ- تيار التصوّف بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7هـ.

لقد وصلنا في الفصل السابق إلى أنّ التصوّف هو البعد عن الدنيا وملذاتها، وترك الشهوات ومراقبة النفس. فلم يكن للصوفية شأن كبير زمن المرابطين¹، نظرا لهيمنة وسيطرة الفقهاء خلال تلك الفترة، ولكن بمجيء الدولة الموحدية التي نشرت المعارف، وأعطت اهتماما للفلسفة²، فأصبح التصوّف ظاهرة مألوفة غير مرفوضة ولجأت السلطة الموحدية إلى سياسة الاحتواء بدل القمع والطرْد³.

وبذلك نقول إنّه ابتداء من القرن 6هـ /12م بدأ التصوف يعرف طريقة كظاهرة دينية واجتماعية إلى المغرب الأوسط في ظل الحرية الفكرية التي أطلقها الموحدون⁴، والتي أنتجت إبداعا وفكرا، فأخذ تيار التصوف يتعمق، وزاد انتشارا في سائر بلاد المغرب الإسلامي، فكان لأبي حامد الغزالي بالغ الأثر في دعم هذا التيار بعدما أصبحت مصنّفاته متداولة بين طلبة العلم خاصة كتاب إحياء علوم الدين. وقد أعطى أبو مدين شعيب دفعا آخر لترسيخ التصوف ونشره ببلاد المغرب الأوسط، وبخاصة بعدما أن أصبح الكثير من الناس يكتن له

¹ - مثل الاتجاه الصوفي السني في العهد المرابطي الفقيه وجاج بن زولو والفقيه المحدث أبو علي حسين بن محمد الصديقي ث 514هـ، محمد محمود عبد الله بن بيه، الاثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط1 دار الأندلس الخضراء 2000، ص122. إن السلطة المرابطية كانت تخشى تزايد عدد المتصوّفة ومريديهم، فأصبحوا تحت مراقبتها وسلطتها دون أن تجد حُلولا للمشاكل والفوارق التي ضربت المجتمع المرابطي. بوداود عبيد: ظاهرة التصوّف بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7 و9هـ) (13، 15م) دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران 2002، ص53.

² - مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث ج2، مكتبة النهضة الجزائرية 2011، ص247.

³ - بوداود عبيد: المرجع السابق، ص55.

⁴ - لخضر عبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ط1 دار النديم للنشر والتوزيع

كل التقدير والاحترام أثناء إقامته ببجاية.¹ فقد عرف القرنان السادس والسابع الهجريين ظهور كبار متصوفة المغرب والأندلس فأصبحوا شيوخا للمريدين وكل من جاء بعدهم.

لقد كانت ملامح ومظاهر التصوّف بالمغرب الإسلامي هي الإكثار من العبادات والزهد ومجاهدة النفس، وتلك أهم صفات الصالحين، ولذلك اجتمع حولهم الكثير من المؤيدين والطلبة للتعلّم والجلوس إلى حلقات الدرس. فأسس الدعوة الموحدية الإصلاحية والمعادية لسياسة المرابطين أعطت دفعا وسندا للصوفية في المغرب الأوسط، فقد برز هذا التيار وسط ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية مضطربة كثر فيها الفساد، والبدع²، والتي لا تتلاءم ومبادئ الإسلام. فكانت تلك الظروف عوامل مساعدة للمتصوفة لإبراز سلوكياتهم ومواقفهم المستمرة من الكتاب والسنة.

فقد عرف عن المتصوفة الاعتدال في معتقداتهم وسلوكياتهم والإصلاح³ والإخلاص والتصدي للحملات الصليبية التي كانت تهدد بلاد المسلمين وتوحيد صفوفهم وتلك هي بذور التصوف، والتقرب من الطبقات الفقيرة والكادحة خصوصا خلال الفترة المرابطية⁴.

ويبدو أنّ التصوف ببلاد المغرب الإسلامي لم يكن تصوفا فلسفيا فقط كما كان في المشرق العربي؛ بل كان تصوفا سنّيا. وقد مثّل هذا التيار ابن العريف وأبو مدين وغيرهم⁵. فقد تمكنت هذه الفئة من التأثير على مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في كل

¹ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص ص330. 331.

² - عبد الحميد حاجيات: دراسات حول التاريخ السياسي، ج 2 المرجع السابق، ص 352.

³ - المرجع نفسه، ص ص182. 185.

⁴ - بوداود عبيد: المرجع السابق، ص 54.

⁵ - حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط 1 مكتبة الخانجي، مصر 1990، ص 417.

* - فالاميرمزلي بن تلمسان المرابطي والي تلمسان توجه إلى دار أبي محمد بن عبد السلام المتصوف ليتناول معه الطعام ويتبرك له، لمزيد من المعلومات انظر التادلي، المصدر السابق، ص 88.

أقطار المغرب الإسلامي واستطاعوا تجميع فئات واسعة من المؤيدين لهم يتبركون بهم ويقبلون أيديهم بما في ذلك ولاية الأمر الذين حاولوا دائما التقرب من المتصوفة كسبا لودهم ورضاهم فالخليفة عبد المؤمن طلب من أبي يعزي الدعاء له.¹

إنّ صفات خلفاء دولة الموحدين كحبهم لرعيّتهم واعتدالهم وحسن سلوكهم وتقريبهم من الفقراء والمساكين كلها دلائل تتفق مع التيار الصوفي، وربما كان ذلك تشجيعا لمثل تلك السلوكيات من شأنها أن تزيد من ترابط بين طبقات مجتمع المغرب الأوسط، وهذا قد لا يتناقض مع سير نظام دولة الموحدين ولا يعرقل عمل الخلفاء ولم يكن أبدا يمثل خطرا على ملكهم ودولتهم.²

والمعروف تاريخيا أن رجال الصوفية لم يلجؤوا في أي عصر من العصور إلى تكوين جماعات مناهضة لنظام الحكم، علما أن حفظ النظام واجب عندهم³؛ بل هم يجهدون أنفسهم في العمل على القضاء على الفقر والجهل، ويسارعون في إطعام الطعام ويرعون المحتاج وتلك صفات مستمدة ومستندة إلى كتاب الله، ثم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوك الصحابة.⁴

¹ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 417.

² - عبد الحميد حاجيات: الملتقى الوطني الثاني حول تاريخ مدينة ندرومة وضواحيها من 3 إلى 6 نوفمبر 1998م، تطور الحياة الفكرية في الجزائر في عهد الموحدين جمعية الموحدين 1998، ص 94. 101.

³ - لسان الدين بن الخطيب: روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي (د،ت) ص 71.

⁴ - نفسه، ص 73.

فسواء عبد المؤمن أو يعقوب المنصور، هذا الأخير كان يحمل صفات الزهاد والصالحين، فكلاهما كانا يقربان من حولهما شيوخ الصوفية ويكرمانهم ويطلبان دعائهم وبركاتهم.¹

فتقديرهم والاستناد إليهم كان واردا لدى هؤلاء الخلفاء وغيرهم في دولة الموحدين². وبعد ذلك بدأ تيار التصوف ينتشر في المغرب الأوسط وتلمسان والزيانية خلال القرن (7هـ. 13م) على يد جيل آخر من المتصوفة بعضهم سار على طريقة ونهج أبي مدين؛ أي التصوف السنّي في حين أن البعض الآخر اتجهوا إلى التصوف الفلسفي، والذي لم يكن له إتباع كثير بالمغرب الأوسط لبعده عن واقع وذهنية سكان المغرب الإسلامي لكونهم سلكوا البساطة في تدينهم وسلوكياتهم. ويبدو أن الفئة الأولى، أي إتباع أبي مدين شعيب تأثروا بأفكار الغزالي³، الصوفية التي تبدو أقرب إلى المذهب السنّي، والقائمة على البساطة والتواضع وعدم المبالغة في العبادات من صلاة وصيام وقيام وإظهار الكرامات، فالتصوّف السنّي هو تصوّف العامة، والتصوّف الفلسفي هو تصوّف النخبة⁴، وبذلك تغلغل الفكر الصوفي بين مختلف فئات مجتمع المغرب الأوسط، وربما ساد الاعتقاد بالمرابط حتى وقت متأخر من تاريخ المغرب الإسلامي.

وما يمكن الإشارة إليه خلال هذه الفترة أنّ التصوف ظهر في شكلية السني والفلسفي، وهذا الاختلاف يفسر باختلاف العوامل الداخلية والخارجية المؤثر فيه.⁵

¹ - عبد الحميد حاجيات: تطور، المرجع السابق، ص101.

² - فقد زادت شعبيتهم بعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب سنة 609هـ، وأصبح الدفاع عن بلاد الإسلام وجمع الصفوف من واجبهم ومهامهم، بوداود عبيد: المرجع السابق، ص35.

³ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص385.

⁴ - نفسه، ص386. بلعربي خالد: الدولة الزيانية، المرجع السابق، ص331.

⁵ - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص103.

فأما التصوّف السنيّ فقد تميز بالاعتدال والبساطة في العبادات والسلوك والابتعاد عن المواضيع أو القضايا التي فيها شك. وقد تجسد في عدة اتجاهات؛ أولها اتجاه الوعظ والتذكير، ومثّل هذا الاتجاه بعض المتصوفة الذين كان لهم دور ورسالة في تعليم الناس وترسيخ مبادئ الدين الإسلامي عن طريق الوعظ والإرشاد وقراءة المصنفات¹ التي تم تداولها خلال تلك الفترة فزاد بذلك عدد المريدين والمنخرطين في هذا الاتجاه².

ثم برز تيار آخر كان له أتباع إلا أنّه كان يعتمد على الترهيب والتخويف، ويبدو أن سبب ظهوره قد ارتبط بالأوضاع السائدة آنذاك، والتي ربما كان فيها الفساد منتشرًا أكثر فأكثر في مناطق كثيرة من بلاد المغرب الإسلامي، فجاء هذا التيار لمعالجة وتقويم السلوكيات والأخطاء التي شاعت بين فئات مجتمع المغرب الأوسط على الأقل خلال القرنين 6 و7هـ (12. 13م)، وفي الوقت نفسه طرح البدائل وإيجاد الحلول، كتوجيه العامة التي الابتعاد عن الرذائل والمعاصي، وترك المفاصد وتغيير المنكرات، والتذكير بالنار والعذاب والترغيب في الأعمال الصالحة لدخول الجنة. ويبرز ذلك من خلال نمط النظام المفروض على الطلبة والمريدين في بجاية وتلمسان وغيرهما. فغرض الترهيب والترغيب كان لخلق مجتمع متماسك يحارب الفتن ويقضي على الأزمات ويحارب المنكرات.

كما برز اتجاه المجاهدة النفسية³ الذي ركز فيه أصحابه وأتباعه على الجانب التعبدي أكثر، من صلاة وصيام وقيام ومحاربة أهواء النفس، فانقسم أتباع هذا الاتجاه بين الاهتمام بالعلوم الدينية واللسانية، ومزج ذلك بالنظريات الصوفية السنية والفلسفية، وبين الاكتفاء بالعبادات دون التركيز على الرصيد المعرفي الكافي. كما ظهر اتجاه آخر عُرف

¹ - من بين الكتب التي تداولت خاصة فترة الدولة الزيانية بالزوايا، مؤلفات زروق، وما نسب لأبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي وأبو العباس بن أحمد بن زكري، مختار حسني: المرجع السابق، ج2، ص215.

² - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص ص101. 103.

³ - المرجع نفسه، ص ص109. 112.

باتجاه التصوّف التلقائي، ويبدو من اسمه أنه ظهر لأسباب طارئة واضطرابية، ولم يكن نتيجة اقتناعات أو علم أو ممارسة فقد وجد أتباع هذا الاتجاه بتلمسان كما ببجاية واتجاهات أخرى لم يكن لها دور بارز في مجتمع المغرب الأوسط¹، وكانت مشاركتهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية محدودة.

أما التصوّف الفلسفي، فهو الآخر انتشر بشكل واسع في عدة مجموعات أهمها الغزاليون والمدينيون والشادليون، وهؤلاء أتباع لشييوخهم كَوْنوا طلبة ومريدين. وكان أهمهم فرقة المدنيين؛ أي إتباع طريقة أبي مدين شعيب، ويطلق عليهم أيضا التيار الأخلاقي الذي يمتاز بكونه يستند إلى الكتاب والسنة وتجنب البحث في القضايا الفلسفية التي لا فائدة منها، وأحيانا فإن التصوّف الفلسفي لم يكن يحظى بقبول أغلب الفقهاء والمحدثين وعامة الناس نظرا لتطرف طرحهم ومعالجتهم أو موافقتهم من بعض القضايا التي كان الحديث عنها يعتبر جرأة وخرق للعادة خاصة إذا كانت لا تتفق مع تعاليم الإسلام،² وقد أنتج هذا نزاعا بين الصوفية الفلاسفة والفقهاء.³ ومن مشاهير هذا التيار إلى غاية تأسيس دولة الموحدين ابن مسرة المتوفي سنة 319هـ/931م، وابن العريف ت536هـ/1142م⁴

فالتصوّف الأخلاقي وجد إتباعه احتراما وتأييدا ومساندة من قبل الفئات الشعبية بالمغرب الأوسط لما كان يميز أتباعه من زهد وتقشف وعبادة. ويبدو أنّ هجرة الفقهاء وصوفية الأندلس إلى المغرب الإسلامي⁵، قد أعطى دفعا لهذا التيار حتى ترسخ في عهد

¹ - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص114.

² - عبد الحميد حاجيات: دراسات، المرجع السابق، ص344.

³ - علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، ج2، دار المعارف، القاهرة 1977، ص35.

⁴ - عبد الحميد حاجيات: تطوّر الفكر على عهد الموحدين، مجلة عصور الجديدة: ع5، 2012، ص53.

مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران.

⁵ - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص351.

الموحدين، ثم الزينيين بالمغرب الأوسط. فهذا التيار يتميز بتمسكه بالقرآن والحديث والقيم السامية التي كان يتحلى بها السلف الصالح.¹

فقد تأثر صوفية المغرب الإسلامي بآراء الغزالي وابن خرم الأندلسي الداعية إلى نذب التطرف والاعتدال في الأعمال والسلوكيات، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة. وقد اكتسب رجال الصوفية مكانة محترمة بين الناس خاصة بعد إظهار الكرامات وخوارق العادات.²

والخلاصة أن عهد الموحدين يعد بحق الانطلاقة الحقيقية للتيار الصوفي في الغرب الإسلامي وقد سمحت الحركة الفكرية التي أطلقها الموحدين لشيوخ الصوفية بالمغرب الإسلامي على الظهور في عدة تيارات كما بينها من زهد وخلوة سننية وفلسفية.³

اتخذ التصوف في العصر الموحد صيغته المتميزة حيث يمكن القول إن أقطاب الصوفية في هذا العصر كانوا نواة طيبة لبداية تكوين الفرق الصوفية اللاحقة،⁴ وقد طبع حياة الأعلام البعد الأخلاقي.⁵ فقد كان التصوف بالمغرب الأوسط يخضع لظروف سياسية هدفها إصلاح وتجميع بلاد المغرب تحت راية الموحدين.⁶ وقد انتشر التصوف بالمغرب الأوسط بعد وفاة الولي أبي مدين شعيب (594هـ)، وظل ينتشر في القرون التالية، فتغلغل في سائر النواحي والأوساط وتمسك الكثير من الناس بالقيم التي كان يدعو إليها من زهد في الدنيا ورضى وتوكل وتبتل.⁷

¹ - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 53.

² - عبد الحميد حاجيات: دراسات، المرجع السابق، ص 361.

³ - نفسه، ص 378.

⁴ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 298.

⁵ - عبد المجيد الصغير: تجليات الفكر العربي، شركة النشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء المغرب 2000، ص 167.

⁶ - نفسه، ص 171.

⁷ - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص ص 48-49.

ب- عينات من التصوف بالمغرب الأوسط خلال القرنين (6-7 هـ) (12-13م)

من مشاهير الصوفية بالمغرب الأوسط نذكر:

أبا مدين شعيب بن الحسين الأندلسي: ولد سنة 520هـ¹ (1126م-1127م)، أصله من حصن قطنيانة بإشبيلية،² نشأ يتيماً محترفاً للرعي بعدما منعه إخوته من التعليم³، بدأ رحلته في طلب العلم والمعارف بمغادرة الأندلس نحو حواضر المغرب الأقصى كطنجة، سبتة، مراكش، فاس، حيث أخذ من منابع التصوف المغربي، والأندلسي، والمشرقي، على يد كبار شيوخ هذا التيار فقد أخذ طريقة التصوف وتعلمها⁴ على يد معلمه وشيخه أبي عبد الله الله الدقاق⁵ وأبي الحسن السلاوي وأبي يعزى⁶ وغيرهم. وكباقي رجال الفكر، رحل إلى

-
- ¹- الناصري: الاستقصا، المصدر السابق، ج2، ص189، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص399.
- ²- اشبيلية بالإسبانية سفيلا Savilla، مدينة كبيرة في الأندلس وكانت عاصمة مملكة اشبيلية، استولى عليها الموحدون في شعبان من سنة 541هـ/1147م، دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص203-207.
- ³- ابن قنفذ، أنس الفقير، المصدر السابق، ص11-12، عبد الحليم محمود أبو مدين الغوت، حياته، دار المعارف القاهرة 1985، ص25. عبد المنعم الحفي: الموسوعة الصوفية، دار الرشد، القاهرة 1992، ص359.
- ⁴- بوداود عبيد: المرجع السابق ص197.
- ⁵- هو من أهل سجلماسة، كان يتردد على مدينة فاس، يعد من كبار شيوخ الصوفية، وأحد أشياخ أبي مدين، وكان يصرح بأنه ولي ويتكلم بأشياء تنكر عليه، ينظر ابن الزيات، المصدر السابق، ص213-214. ابن قنفذ، أنس الفقير، المصدر السابق، ص27.
- ⁶- كان شيخه أبي يعزى يثني عليه جميلاً، ويخصه بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل قرأ بفاس على شيخه العباد مدفن الأولياء -ينظر ابن مريم المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوبايا، دار الكتاب العلمية، بيروت 2014، ص108، جمال أحمد طه: مدينة فاس من عصر المرابطين والموحدين، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية 2011، ص297. ابن قنفذ، أنس الفقير، المصدر السابق، ص16. أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص193.

المشرق أولاً لأداء فريضة الحج، ثم اكتساب مختلف المعارف والعلوم الدينية والخلقية وهناك يكون قد التقى بشيخه عبد القادر الجيلاني¹ الذي ألبسه خرقة التصوف، فقد كان زاهدا فاضلا عارفا بالله تعالى²، ثم نزل ببجاية وأقام بها فبدأ حياة جديدة بالمغرب الأوسط³، بعد أن جمع من العلوم المختلفة، والتي جعلته مقصدا للطلبة والمريدين من مختلف أقطار المغرب الإسلامي حتى إن اسمه انتشر بين الطلبة في مختلف الحواضر بالمغرب الأوسط، ونال شهرة ومكانة علمية واجتماعية حتى بين أهل الحل والربط ولدى السلاطين والحكام⁴ والمرجح أن عددا كبيرا من الطلبة والمتصوفة وأصحاب الكرامات تخرجوا على يده⁵ فهو شيخ مشايخ الإسلام وإمام العباد والزهاد⁶، ومن أعلم العلماء وحفاظ الحديث وعلوم أخرى تفوق فيها⁷.

¹ - حسيني النسب، كان في آخر زمانه يلبس لباس العلماء ويركب البغلة ويتكلم على كرسي عال، يروى أنه كان يخطو خطوات في الهواء على رؤوس الناس ثم يرجع إلى كرسيه وطريقته القادرية مشهورة بالمغرب الإسلامي، ينظر لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص 89-90.

² - ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي ت 578هـ/1182م، الصلة: تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989، ص 377.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص 60.

⁴ - بو داوود عبيد: المرجع السابق، ص 199.

⁵ - ابن قنفذ أنس الفقير: المصدر السابق، ص 199، ابن مريم: المصدر السابق، ص 108. محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة الجزائر 1906، ص 172، التادلي: المصدر السابق، ص 324.

⁶ - الغبريني: المصدر السابق، ص 60.

⁷ - لمزيد من المعلومات ينظر ابن الزيات، المصدر السابق، ص 156 وما بعدها، وابن قنفذ القسطنطي أنس الفقير، المصدر السابق، ص 199 وما بعدها.

وبهذا نقول أنّ أبا مدين أصبحت له شعبية¹، وربما للبساطة في تصوفه الذي كان بعيدا عن التعقيد والتفلسف، فكان يركز على أهمية ممارسة بعض السلوكيات والعبادات كالصلاة والصيام والقيام والصبر والأعمال الخيرية والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وترك الدنيا والتخلص من ملذاتها والتعلق بحب الله. والظاهر أنّ فلسفة التصوف أفنعت الكثير من المريدين لنشرها وترسيخها في مختلف المناطق والحواسر ببلاد المغرب الإسلامي. ويبدو أنّ مكانته وعلمه جعل سلطان الموحدين أبا يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ) يطلبه إلى مراكش² للحد من سلطانه الذي اكتسبه ببجاية بالمغرب الأوسط وخارجه لكنه توفي قبل الوصول إلى مراكش، ولم يتمكن السلطان الموحي من التبرك به. فلما وصل أبو مدين تلمسان قال: مالنا وللسلطان الليلة نزور الإخوان، ثم نزل وتوضأ واستقبل القبلة وقال، ها قد جئت وعجلت إليك ربي لترضى ففاضت روحه³، فقد أجمع المشايخ على تعظيمه، فقد كان ظريفا جميلا زاهدا وشهرته تغني عن تعريفه⁴ حتى لجأ فقهاء فاس وأهلها إلى الشيخ أبي مدين في حل المشكلات الفقهية فقد كان منشغلا بالتربية

¹ - محمد بن رمضان شاوش، الغوتي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 399.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 60، بو داوود عبيد، المرجع السابق ص 200.

³ - لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص 91. الحفناوي: ج 2، المرجع السابق، ص 171.

⁴ - عبد الكريم بن المجدوب الفاسي: موسوعة أعلام المغرب تحقيق محمد حجي، ج 1، ص 100هـ، دار الغرب الإسلامي 1996، ص 594.

والتعليم والعبادة والإفادة¹، توفي سنة 594هـ²-1198م بمكان يسمى أديسر من تلمسان ودفن برابطة العباد خارج تلمسان³.

وحتى يومنا هذا ما تزال مآثر أبي مدين تجد كل التقدير والاحترام ابتداءً من قبره إلى أقواله وأشعاره وكراماته ومصنفاته التي فيها العبرة الكثيرة والاستفادة منها أكيدة، فالقليل من آثاره متداول والبعض الآخر مجهول أو مغمور، ومن كراماته:

أنه كان يتكلم في الحقيقة بمسجد بالأندلس فسمح به سبعون راهبا فجاء منهم عشرة يمتحنون الشيخ أبي مدين فتنكروا، ولبسوا زي المسلمين ودخلوا المسجد وجلسوا مع الناس ولم يشعر بهم أحد، فسكت الشيخ حتى دخل رجل خياط فقال له الشيخ ما أبطأك، فقال يا سيدي حتى فرغت من العشر طواقي التي أوصيتني بها البارحة، فأخذ الشيخ منه الطواقي فقام فألبس كل من الرهبان طاقية فعجب الناس من ذلك ثم قال الشيخ رحمه الله يا فقراء إذا هبت نسيمات التوفيق من جانب الحق على القلوب أطفأت كل نور ثم تنفس الشيخ فانطفأت القناديل التي في المسجد ثم سكت وأطرق فلم يتجانس أحد أن يتكلم لعظم هيئته ثم رفع رأسه وقال لا إله إلا الله يا فقراء إذا أشرقت أنوار العناية على القلوب عاشت وأنارت منها كل

¹- جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص298. ابن قنفذ، أنس الفقير، المصدر السابق، ص17.

²- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق ص247، ابن الزيات المصدر السابق، ص319-326، بوداود عبيد، المرجع السابق ص200. ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص298. الذهبي: سير أعلام، المصدر السابق، رقم2463.

³- العباد كانت مخصصة للرجال الأتقياء ومركزا لتدريب الصوفية خلال حياة سيدي بومدين فكانوا يجتمعون في العباد لتلقي العلوم ويعيشون بها، ويبدو أن أهمية المكان زادت بعد دخول المرينيين إلى تلمسان 738هـ 1337م حيث ضم السلطان أبو الحسن المريني ضريح أبي مدين مسجد كبير ومدرسة وحمامات وملحقات أخرى وهذا تقديرا له أو لاسترضاء سكان تلمسان. جورج مارسويه، بلاد المغرب = وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف الإسكندرية سنة 1991، ص233. الحفناوي: تعريف الخلف، ج2، ص177. ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، البستان، تحقيق عبد القادر بوبابة، دار الكتاب العلمية، بيروت 2014، ص236.

ظلمة ثم تنفس فاشتعلت القناديل واضطربت حتى كاد يلحق بعضها بعضا ثم تكلم الشيخ في آية المسجد فسجدوا وسجد الناس وسجد الرهبان خوفا من الفضيحة والاشتهار فقال الشيخ في سجوده: اللهم إنك أعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك وأن هؤلاء الرهبان قد وافقوا المسلمين في لباسهم وسجودهم وأنا قد غيرت ظواهرهم ولا يقدر على تغيير بواطنهم غيرك وقد أجلستهم على موائد كرمك فأنقدهم من الشرك والطغيان وأخرجهم من ظلمة الكفر إلى الإيمان فأجيبته دعوته، فما رفعوا رؤوسهم من السجود، وقد دخلوا في دين الملك المعبود فأقبلوا على الشيخ، وأسلموا على يديه وشهدوا شهادة الحق فكثر الصياح في المسجد واشتد البكاء وفرح الشيخ بإسلامهم.¹

2 أبو عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي (516هـ-582هـ²)، (1122م-1186م):

ولد بإشبيلية ثم رحل إلى بجاية سنة 550هـ-1155م، فهو الشيخ الإمام الفقيه الجليل المحدث الحافظ العابد، الزاهد، القاضي الخطيب أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الأشبيلي فقد اختار بجاية وطنا³ له مؤلفات أهمها "الأحكام الكبرى" والأحكام الصغرى في علم الحديث"، وكتاب "العاقبة"، وكتاب "التهجد"، كان يقسم ليله إلى ثلاث ثلث للقراءة وثلث للعبادة وثلث للنوم، ولم يكن ميالا إلى الدنيا وزينتها بل اقتصر على القليل الكافي منها.⁴

¹ - المزيد من المعلومات ينظر: ابن قنفذ، أنس الفقير وعثر الحقير، ص38 وما بعدها، وعنوان الدراية، ص52 وما بعدها، ونيل الابتهاج، ص193 وما بعدها.

² - يرى ابن قنفذ أن ولادته كانت عام 510هـ. ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، 294.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص73.

⁴ - ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص293، الغبريني، المصدر السابق، ص73.

لقد نبغ في الحديث والفقه والوعظ كان عاكفا على الاشتغال بالتعليم فتخرج على يديه كثير من العلماء.¹

كما ولي الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم كما عين كقاض ببجاية مدة قليلة.

كما كانت له تأليف اشتهر أمرها وتداولها بين العامة والطلبة المريرين في الحديث والأحكام واللغة سماه "الهاوي" وهي ثمانية عشرة مجلد، ويبدو أنه كتبه تناولها المشاركة وتعرفوا عليها أكثر من المغاربة.²

كان كثير الجلوس مع الفقيه أبي علي المسيلي رحمه الله، فقد كانت تجمع بينهما علاقات حب ودين وزهد ويقين، كما كانت محببة لعدد آخر من الزهاد مثل أبي مدين شعيب³ ومن نثره في قوله في ذم الدنيا والحث على سلوك طريق التصوف، "فانظر رحمك الله كيف تقر عين عاقل في هذه الدار وكيف يستقر له فيها قرار. لكن حجاب الغفلة الذي غطى على القلوب كثف، فلا ترى ما وراءه، والوقر الذي في الأذان عظم فلا تسمع من ناصح دعاءه فقد بكى أولو الألباب على هذا فأكثرُوا وسهرُوا من أجله الليلي الطويلة.... وأدم حسرتك وأمزج بدم الفؤاد عبرتك وابك على نفسك ثم أبك البكاء بالأسى والأسى بالأسى حتى تتكشف لك هذه الغاية.⁴ وأثناء إقامته ببجاية كان دوما في صراع مع أهل البدع والشعوذة حريصا على محاربتهم.

¹ - سلسلة إصدارات جمعية الموحدين ندرومة، عبد المومن بن علي الكومي الندرومي، الجزائري، دار الرسالة للنشر والتوزيع، سنة 2011، ص156.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص74، ابن الأبار: التكملة ج2، ص579.

³ - المصدر نفسه، ص75.

⁴ - عبد الحميد حاجيات: دراسات، المرجع السابق، ج2، ص354.

3- الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، الشيخ يحيى الدين بن عربي الطائي الحاتمي:

ولد بمرسية سنة 560هـ¹ تلقى العلم على أسيائها وعبر إلى المغرب، ونزل ببجاية، وجلس إلى أسيائها ونهل منهم العلوم، وقد زار العديد من الحواضر الإسلامية مشرقاً ومغرباً، منها مكة المكرمة، العراق، دمشق، كما نزل ببجاية وأخذ عن علمائها وأسيائها، إلى جانب حبه لطلبه العلم والمعرفة، لكنه مال إلى التصوف حتى بلغ فيها الغاية والمكانة، فعلاً مقامه وعظم شأنه خلال هذه الفترة المذكورة. ويبدو أنه تأثر بعبد المومن بن علي، وبأسلوبه في نظام الحكم. له عدة مؤلفات أهمها "أخبار العلماء وزادهم"²، كتاب "التهجد"، "العاقبة"، "المعارف الإلهية"، فمؤلفاته كانت غزيرة³ غير أن أفكاره ومنهجه لم يجد إقبالا ولا اهتماما بين العامة؛ بل إن الفقهاء رموه بالكفر والإلحاد، وطالبوا بإعدامه ردا على مواقفه المعادية للسنة الصحيحة، توفي بدمشق في ربيع الأول سنة 638هـ.⁴

4 ابن الحجام:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد اللخمي كان مولده بتلمسان سنة 558هـ⁵ ونشأ بها ثم رحل إلى فاس، حيث درس على يد أبي القاسم بن يوسف بن زانيق كما صحب

¹ - شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات ط1، دار المعارف القاهرة 1995، ص200. ابن العماد شهاب الدين: الشذرات، المصدر السابق، ج7، ص332.

² - عبد الله علام: المرجع السابق، ص344.

³ - ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2، تحقيق عبد السلام الهراش، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان 1995، ص146.

⁴ - عبد الله علام: المرجع السابق، ص345.

⁵ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص102.

أبا زيد الفازاري، وبعد ذلك انتقل إلى مراكش فمكث بها زمنا مكرّما¹، كان فاضلا زاهدا صالحا تميز بقدرة فائقة على حفظ كل ما يسمعه من شعر أو آداب وعلم، وقد نال اهتمام الحاكم الموحد يعقوب المنصور² وذلك ربما لما سمعه عنه من حسن الموعظة لما بلغه من زهد وورع وحبه للأعمال الخيرية، حتى أن ابن الزيات يصور مجلسه كهفا للمريدين وأهل الخير من شدة التردد عليه لصوته الجميل ولحنه العذب وكان في إنشاده عنوبة كبيرة ولذلك اجتمع الناس من حوله فتأثر به الكثير وتاب على يده العديد،³ من تأليفه كتاب عنوانه: "حجة الحافظين ومحبة الواعظين" حاول اختصاره أبو زكريا يحيى بن محمد بن طفيل فسماه "مجالس الأذكار وإبكار عرائس الأفكار".

عرف بحبه وعطفه على الفقراء والمساكين وقد توفي في 16 شعبان سنة 614هـ⁴.
ومن شعره في التصوف:⁵

غريب الوصف ذو علم	عليل القلب من حب الحبيب.
إذا ما الليل أظلم قام يبكي	ويشكو ما يكن من الوجيب.
يقطع ليله فكرا وذكرًا	وينطق فيه بالعجب العجيب.
به من حب سيده غرام	يجل عن التطيب والطبيب

¹ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص102، عبد الحميد حاجيات: دراسات ج2، المرجع السابق، ص355. عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس لكتابي الموصول والصلة، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة للنشر والوزيع، بيروت 1965، ص665، رقم1258.

² - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص103. الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص352.

³ - ابن الزيات، المصدر السابق، ص439- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص103.

⁴ - ابن الزيات: المصدر السابق، ص440.

⁵ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص103.

فهو يصف نفسه بغرابة الوصف والعلم واعتلال القلب من حب الحبيب، ويقول أنه يتهدد ليلا وهو يبكي ويشكو ما يكن من خفقات قلبه وما يزال يقطع ليله فكرا وذكر لربه مسبحا ومستغفرا وبه من حبه غرام يعز على التطيب والطبيب ومن يكن مثله عبدا محبا بربه تطيب ثيابه من غير أن يمسه طيب.¹

5- أبو العيش الخزرجي التلمساني:

هو محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش، اشبيلي الأصل ترعرع بتلمسان، أخذ العلم على يد أبي بكر بن سعادة الإشبيلي المتوفي سنة (600هـ-1203م) وأبي محمد بن حوط المتوفى 612هـ-1215م وأبي عبد الله التيجيبي 610هـ-1213م وأبي عبد الله بن عبد الحق ت 625هـ-1228م² إلى جانب منهجه الصوفي فقد كان شاعرا مجيدا، أديبا برع في الكتابة، والتأليف خاصة في أصول الدين وأصول الفقه وشرح أسماء الله الحسنى وله مصنفات في التصوّف والزهد، ولم يكن فقط زاهدا ومتصوفا بل كان أيضا إنسانيا واجتماعيا أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر.³

ومن شعره:⁴

واعلم بأنك والعوالم كلها	لولا في محو وفي اضمحلال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا	شيئا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا	في الحال والماضي والمستقبل.
وقال أيضا: الله قل ودع الوجود وما حوى	إن كنت مرتادا بلوغ الكمال.

¹- شوقي ضيف: المرجع السابق، ص203.

²- عبد الحميد حاجيات: دراسات ج2، المرجع السابق، ص357.

³- يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص103.

⁴- نفسه، ص104.

عدم على التفصيل والإجمال

فالكل دون الله إن حقيقته

نظرا تويده بالاستدلال.

أنظر إلى أعلى الوجود وسفله

بلسان حال أو لسان مقال¹

تجد الجميع يشير نحو جلاله

توفي خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري (658هـ-1260م)، في هذه الأبيات يقول ليس في الوجود سوى الله فتعلق به وودع ما سواه، فالكل يشهد حاله وعظمته.

6- أبو الحسن علي بن حرزهم:

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، يتصل نسبه بعثمان بن عفان (ض)²، ولد بفاس تعلم على يد عمه أبي محمد³ التصوّف، وعنه قرأ كتاب أبا حامد الغزالي، "أحياء علوم الدين"، ويبدو أنه كان من أشد المهتمين به، وقد توصل إلى موافقة ما جاء فيه من ترتيب الأحكام مع الكتابة والسنة، ومكانته العلمية جعلت أمراء مراکش يطلبونه للتدريس هناك* لقد اتصف بصفات الزاهدين والأتقياء يأمر بالمعروف

¹ - محمد بن رمضان شاوش والغوتي بن حمدان: المرجع السابق، ص 360-361. - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 204.

² - عبد الله كنون: النبوغ: المرجع السابق، ص 90.

³ - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 103.

* حكوا عن أبي الحسن أنه قال : طالعت كتاب الأحياء للغزالي في بيت مدة من عام كامل فجردت المسائل التي تنتقد عليهن فرأيت في نومي قائلا يقول جردوه واضربوهن فجردت وضربت ثمانين سوطا، ثم استيقظت فوجدت الألم في ظهري وجعلت أقبله وتبت إلى الله تعالى من ذلك فتأملت المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة، ابن قنفذ: المصدر السابق ص 13.

وينهى عن المنكر أينما سار أو حلّ ينصف المظلومين، كثير الصدقة على الفقراء والمحتاجين.¹

لقد كان من كبار فقهاء فاس ومدرسيها العباد والزهاد ورغم ميله إلى التصوف كان مشاركاً في علوم الدين والشريعة وقد جعلت منه صفاته الخلقية والعلمية أن تاب على يده خلق كبير،² فسمعتة تعدت فاس ومراكش إلى غيرها من حواضر المغرب الإسلامي، ومما يؤكد ما أشرنا إليه، لما قدم الشيخ أبو مدين إلى فاس دخل لجامع القرويين وسأل عن مجالس العلماء فسار إليها مجلساً بعد مجلس، قال وأنا لا يثبت في قلبي شيء مما أسمع من المدرسين إلى أن جئت إلى الشيخ أبو الحسن علي بن حرزهم كلما تكلم ثبت في قلبي وحفظه فلما فرغ دنوت منه وقلت له حضرت مجالس كثيرة فلم أثبت على ما يقال وأنت كل ما سمعتة منك حفظته فقال لي: هم يتكلمون بأطراف أسنتهم، فلا يجاوز كلامهم الأذان وأنا قصدت الله بكلامي فيخرج من القلب فلازمته، فكان الشيخ أبو الحسن علي بن حرزهم³ وهذا ربما كان نوعاً من الكرامات التي تجعل كل من يسمع كلامه يفهمه ويحفظه بسرعة وبدقة وكان يقول أن رب الفترة أمني إني رأيت في النوم فقال لي: سل حاجتك: فقلت يا رب أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة فقال فعلت.⁴ توفي بفاس ودفن بها سنة 559هـ، 1164م⁵.

يقول في أحد الأبيات:

¹ - أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق علي عمر، ج1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ط1، 2004م ص252.

² - ابن الأبار: المصدر السابق، ص347.

³ - عبد الله كنون: المرجع السابق، ص91.

⁴ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص13.

⁵ - نفسه ص14- ينظر أيضاً ابن الزيات: المصدر السابق، ص170 - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص362.

إلهي رجائي منك غفران زلتي وإصلاح حالاتي التي هي فاسدة¹

7- أبو الحسن بن علي المسيلي: ت 581هـ-1185م:

أصله من المسيلة ونشأ ببجاية، إنه الشيخ الفقيه القاضي العالم العابد المجتهد، جمع بين العلم والورع والعمل²، ويبدو أنه كان على دراية بعلم الظاهر والباطن على حد تعبير الغبريني³ فهو الفقيه المالكي الحافظ المتكلم ومن القضاة⁴، ويعد من أصحاب الولي الزاهد الشيخ أبي مدين التلمساني فلم يكن هذا الصالح يغادر الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد حتى أن الجن كان يقرأ عليه لتدينه وورعه⁵.

تأثر بكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي وألف كتابا عنوانه "التفكير فيما تشمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" تشبه فيه بالغزالي حتى لقب بأبي حامد الغزالي الصغير⁶.

وُلِّي قضاء بجاية، وفي سنة 580هـ، دخل بنو غاية ببجاية بقيادة علي بن غانية فاستولوا عليها وأرغموه على المبايعة⁷ لكنه امتنع وكان يوم الجمعة ولعل هذا يدل على مكانة وأهمية هذا العالم والقاضي الزاهد بين الناس، لكنه سرعان ما تخلى عن القضاء لحفيده الذي كان

¹ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص20.

² - أحمد التتبكتي: نيل الابتهاج: المصدر السابق، ص168.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص67- ينظر أيضا محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص403.

⁴ - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من مصدر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر لبنان ط2، 1983-ص299.

⁵ - الغبريني: المصدر السابق، ص67.

⁶ - نفسه، ص671، عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص364. أحمد بابا التتبكتي: كفاية...المصدر السابق، ص118.

⁷ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص291- الغبريني: المصدر السابق، ص70.

يستشيريه في كل ما يعرض عليه من القضايا¹ فقد قام بحل الكثير من القضايا التي أشكلت على الناس ومن آثار أبو علي الحسن بن علي المسيلي أيضا، "التذكرة في أصول الدين"، وكتاب "النبراس في الرد على منكر القياس"، حيث قال الغبريني وهو كتاب مليح فيه الكثير من المواعظ والعبر قد لا توجد في غيره²، ومن كرامات هذا الزاهد الورع: أن رجلا من العباد أضاف الشيخ رحمه الله فبات عنده، فلما حان وقت الصلاة، أخذ إناء مملوء بالماء ليتوضأ فانهرق ثم ملأه ثانية فانهرق فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قل أ الله أذن لكم أم على الله تفترون، فسمع هاتفا يقول ما أذن لنا ولا افترينا ولكن قوم من الجن المؤمن ورد علينا قوم من الجن الكافر فلمسوا الإناء فحفنا أن يلحق بنجاسة فغسلناه³.

ت. ملامح من التصوف عند بعض الشعراء:

لقد أشرنا سابقا إلى معنى ومفهوم التصوف ووصلنا إلى أنه ولد في أحضان الزهد أو نقول أن التصوف بدأ زهدا وتقصفا، والحقيقة أن الزهد غير التصوف والعباد والزهاد غير المتصوفين.

وإن كان أوائل المتصوفين زهادا وعبادا إلا أنهم قد تميزوا بأشياء أخرى زيادة على الزهد والعبادة، وفي هذا يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف⁴.

ويذهب آخرون في بيان هذا الاختلاف حيث يرى البعض¹، أن الزهد هو ترك الدنيا الدنيا خوفا من الحساب، والتصوف هو الإقبال على صفاء النفس لتتصل بالله، فغاية

¹ - أحمد بابا التتبيكتي: كفاية... المصدر السابق، ص168.

² - عادل نويهض: المرجع السابق، ص300، عبد الحميد حاجيات: الملتقى، المرجع السابق، ص98.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص ص71-72.

⁴ - عبد الرحمن بن الحوزي: تلبيس إبليس، تحقيق الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ط3، 1989، ص204.

الزاهدين هي السلامة لأن الدنيا قد تبعده عن الجنة، وغاية التصوف هي الوصول لأن الدنيا قد تشغله عن الله.

ونظرا للتحويلات المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والدينية التي عرفها العالم الإسلامي خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، وبفعل التقارب والارتباط بين المشرق والمغرب، فقد كان التأثير كبيرا بينهما وتسرب الأفكار والمعتقدات والمذاهب وكل مظاهر الحضارة الإسلامية بالمشرق إلى المغرب، فقد زاد عدد المقبلين على الدنيا وترفها، كما جنح البعض الآخر إلى العبادة وجهاد النفس فأصبحوا من المتصوفة.

وابتداء من القرن الثالث الهجري سيعرف هذا الاتجاه تحولا هاما وكبيرا بعد الاختلاط بعدة مورثات حضارية قديمة ومتجاورة مع العالم الإسلامي كاليونان والهند والمسيحية لكن الأكيد أن كتب الصوفية التي ظهرت بالمشرق² وسيطرتها على المغرب الإسلامي والأندلس، ونظرا لهيمنة الفقهاء على الحياة السياسية والدينية حيث صدرت فتوى في شأن كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي وتم إحراقه بإيعاز من أمير المرابطين علي بن تاشفين سنة 503هـ³ بل وذهبت دولة المرابطين إلى تكفير كل من قرأ

¹ - زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت (د-ت)، ص21.

² - كتاب "الرعاية لحقوق الله والقيام بها" لابن عبد الله المحاسبي البصري ت 243هـ الذي كان تأثيره واضحا على بلاد المغرب، وكتاب "قوت القلوب في معرفة الطريق إلى معاملة المحبوب"، وكتاب "وصف طريق المرید إلى مقام التوحيد" لأبي طالب المكي البغدادي ت 386هـ، وكتاب "الرسالة القشيرية" في التصوف لأبي القاسم القشيري النابيسوري ت 465هـ، وكتاب "رسالة في فضل مكة" لأبي سعيد بن أبي الحسن البصري: حساني مختار، الحواضر والأمصار، المرجع السابق، ص220، ينظر أيضا، نخبة من الأساتذة والمؤرخين: مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا جمع وتحقيق محمد بوزواوي، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص51. لمزيد من المعلومات حول الرسالة القشيرية، ينظر أبي القاسم بن عبد الكريم القشيري، شرح أبي يحيى زكريا الأنصاري، دار السلام للطباعة النشر، مصر، 2010.

³ - ديب صافية: المرجع السابق، ص31.

هذا الكتاب، وتوعد الناس بمعاقتهم إذ تبتت شيء من ذلك عليهم، وبالرغم من ذلك، فإن التصوف شق طريقه على يد بعض رجال التصوف تذكر المصادر والمراجع التاريخية البعض منهم كأبو القاسم بن العريف الصنهاجي الأندلسي، وابن قسي متزعم ثورة المريرين وصاحب مؤلف "خلع النعلين". وبعد زوال دولة المرابطين ومجيء دولة الموحدين بزعامة مؤسسها محمد بن تومرت الذي يظهر أنه تأثر بأبي حامد الغزالي أثناء تواجده بالمشرق كما بينا ذلك في الفصل الأول يكون تيار التصوف¹ قد بدأ يترسخ في بلاد المغرب الإسلامي فظهرت ملامح التصوف في سلوكيات وآداب الزهاد والمتصوفة نثرا وشعرا.

خصوصا وأن خلفاء الموحدين والكثير من أمرائهم كانوا يشجعون الأدباء والشعراء²، ولا شك أن هذا السخاء والكرم يدل على تذوقهم وتفهمهم للشعر والناس على دين ملوكهم فالأحداث والمناسبات والانتصارات ومواقف الخلفاء كانت مجالا خصيا لقول الشعر عبر كامل دولة الموحدين، فقد أصبح المجال واسعا ومفتوحا أمام كل أنواع الشعر التعليمي، المدح، الغزل، الزهد، والتصوف متأثرين بما وصلهم من الأندلس أو المرابطين فقد امتد واسترسل أثره طيلة القرن السادس والسابع الهجريين، فالشعر شعور فوري بالجمال وتعبير موزون عما يخالج النفس³ من إعجاب بمنظر طبيعي راق أو عمل إنساني هام أو للتعبير عن مظهر كوني خارق وساحر ولربما كان الشعور الديني والاعتزاز به أولى منابع الشعراء ولا غرابة في ذلك باعتبار عصر الموحدين انطلق من فكرة إصلاحية دينية والثورة على

¹ - المرجع نفسه، ص42.

² - علي عبد الله غلام: الدولة المرجع السابق، ص232، محمد المنوني: العلوم، المرجع السابق، ص136-137.

³ - محمد الرشيد ملين: عصر الموحدين، الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب من سنة 580 إلى 595هـ ط2، المطبعة الملكية الرباط، 1996م/ص1530.

الفساد والشرك والبدع، فقد نهضت دولة الموحدين على حلم عظيم أرادت أن تحققه بكل عزم بالثورة على كل شيء سياسيا، فكريا، عقائديا.¹

فقد ظهر في عصر الموحدين أعظم متصوف في العصور الوسطى، الشيخ محي الدين بن عربي²، فهو المتصوف والفيلسوف والزاهد والمؤلف لعدد كبير من الكتب، حتى أن شدة وطريقة تصوّفه جعلته محل اتهام بالكفر والإلحاد وانتهى به حاله إلى الحكم عليه بالإعدام من قبل جماعة من المتصوفين لكنه نجا من هذا الإعدام ومن شعره:

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني.

يا من يراني مجرما ولا أراه أخذا

كم ذا أراه منعما ولا يراني لائذا³

وبحلول القرن السادس هجري، كان التصوّف قد عم جميع بلدان المغرب الإسلامي ومنها تلمسان الزيانية التي تحولت إلى قبلة⁴ للعباد والزهاد والمتصوّفة أمثال أبو مدين الغوث وطلبته وكل من سمع عن أخلاقه وفضائله وكراماته، والكثير من الطلبة انتقل إلى المغرب الأوسط بعد وفاة أبي مدين الذي دفن بمنطقة العباد بتلمسان وقد عاش في تلمسان ودفن بها عدد من علماء وشعراء التصوف ورد ذكرهم في المصادر التاريخية، وانتشرت أعمالهم وأشعارهم وذاعت عبر دويلات المغرب الإسلامي نذكر منهم.⁵

¹ - محمد بن تاويت: أصداء في الأدب الموحد، مجلة دعوة الحق، ع9-10، أوت 1968، ص93.

² - علي عبد الله علام: المرجع السابق، ص232.

³ - علي عبد الله علام: المرجع السابق، ص346.

⁴ - بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ (1235-1555م) رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين سنة 2002، ص168.

⁵ - بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المصدر السابق، ص170.

أبو عبد الله بن الحجام¹ الذي توفي 614هـ وأبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي،
أبو عبد الله بن حميس، وإبراهيم المصمودي.

كما نجد أبو العباس أحمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري البلنسي: 609-639هـ
وهو الفقيه والقاضي العدل الشهير، الذي استقر هو الآخر ببجاية، ولقي بها المشايخ كأبي
بكر ابن محرز، وأبي المطرف ابن عميرة، وأبي الحسن بن أبي نصر وغيرهم ثم ولي قضاء
بجاية كما ولي إقامة صلاة الفريضة بجامعها الأعظم، فكان نعم القاضي، عرف باستقامته
وبغزارة علمه وبشجاعته وحكمته عند الشدائد والمحن، توفي بتونس يوم عاشوراء من عام
639هـ ومن نظمه في الزهد²

أما آن للنفس أن تخشعا أما آن للقلب أن يقلعا.
تقضي الزمان ولا مطمع لما قد قضى في لذة مطمعا.
ويا ويلتاه لذي شبية يطيع هوى النفس مهما دعا.

ففي الأبيات تلميح إلى خطأ وخطورة إتباع أو الخضوع لرغبات النفس التي لا تنتهي، فلا بد
من تلجيمها وقهرها حتى تفوز برضا الله، فطاعة النفس تجرنا إلى ملذات الدنيا وضلالها.

فالقوائد الشعرية القديمة في المغرب الأوسط سواء قبل الموحدين أو بعدهم تحمل
في طياتها ومعانيها إشارات إلى الروح التعليمية³ والتربوية وتفيض عبثا وقيما للنفوس والناس

¹ - هو محمد بن أحمد بن محمد اللخمي أبو عبد الله الحجام لقب لأبيه- ولد بتلمسان سنة 558هـ قرأ
على أبي العباس الأعرج السبع وأخذ العلم بفاس عن أبي الحجاج بن عبد الصمد بن نموي وأبي القاسم
بن يوسف زانيف، روى عنه ابنه أبو محمد وأبو زكريا بن محمد بن طفيل وكان زاهدا فاضلا صالحا ذا
حظ في الأدب والشعر واعظ أهل زمانه، ينظر: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص102.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص59.

³ - العماد الأصفهاني الكاتب: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، تحقيق محمد
المرزوقي ومحمد لعروسي المطوي الجيلاني بن الحاج يحيى، النشرة الثانية، الدار التونسية للنشر
ص76.

معا، فيوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بابن النحوي، الذي يعود أصله إلى بسكرة وانتقل من افريقية التي ولد بها ونشأ هناك إلى قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط بعد أن زار المغرب الأقصى، كان عارفا بأصول الدين والفقهِ يميل إلى النظر والاجتهاد أخذ عنه القاضي أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي، ويعرف عنه أنه من أهل العلم، شديد الخوف من الله تعالى وشعره يحمل تضرعا وابتهاالا فهو مقتنع بأن الرضا والقضاء والقدر ولزوم الطاعة والاستغفار وتجنب المعاصي والإكثار من تلاوة القرآن والالتزام بالتدبر وقيام الليل والصبر، كل ذلك طريق الخلاص من الهموم وهو ناظم قصيدة المنفرجة والتي منها أخذت هذه الأبيات.¹

اشتدي أزمة تنفرجي	قد آذن ليالك بالبلج.
وظلام الليل له سرج	حتى يغشاه أبو السرج.
وسحاب الخير لها مطر	فإذا جاء الإبان تجي.
حكم نسجت بيد حكمت	ثم انتسجت بالمنتسج.
فإذا اقتصدت ثم انعرجت	فبمقتصد وبمنعرج.
شهدت لعجائبها حججا	قامت بالأمر على الحجج.
ورضي بقضاء الله دجى	فعل مركوزته فعج.
وإذا انفتحت أبواب هدى	فأعجل لخزائنها ولج.
وإذا حاولت نهايتها	فاحذر إذا ذاك من العرج.
لتكون من السباق إذا	ما جئت إلى تلك الفرج.

¹ - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص117.

فهنالك العيش وبهجته	فلمبتهج ولمنتهج.
ومعاصي الله سماحتها	تزدان لذي الخلق السمج.
ولطاعته وصباحتها	أنوار صباح منبلج.
وأتل القرآن بقلب ذي	حزن وبصوت فيه شجي.
وصلاة الليل مسافتها	فاذهب فيها بالفهم وجي.
وتأملها ومعانيها تأتي	الفردوس وتنفرج. ¹

وله أبيات أخرى جميلة يعبر فيها عن حبه وتقواه مطلعها:

لبست ثوب الرجاء والناس قد رقدوا	فقمت أشكو إلى مولاي ما أجد.
وقلت يا سيدي يا منتهى أمني	يا من عليه يكشف الضر أعتمد.
أشكو إليك أمورا أنت تعملها	مالي على حملها صبر ولا جلد ²

فهذه أبيات تكشف لنا نفسية الشاعر المتوكل على الله، حائراً خاشعاً طالبا من الله شاكياً إليه عيوبه وحوادثه، راجياً عفوه وكرمه.

وقد قال عنه القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن حمّاد هو في بلادنا بمنزلة الغزالي في العلم والعمل³، توفي رحمه الله سنة 513هـ، مدحه الشاعر محمد بن خطاب المرسي¹

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 153-158. محمد بن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان، ج3،

المرجع السابق، ص ص 168-170.

² - ابن مريم: المصدر السابق، ص 302.

³ - المصدر نفسه، ص 300.

وإلى جانب هؤلاء نجد أسماء أخرى كثيرة، تنتمي إلى المغرب الأوسط ورد ذكرها في المصادر والمراجع، نذكر منهم **محمد بن علي المسيلي** والذي عاش في القرن السادس الهجري أصله من المسيلة كان يعرف بالأرقم وقد انتقل إلى المغرب الأقصى.

له قصيدة مشهورة في الرزق وطلبه ويقول فيها:

يقولون أن الرزق بالحرص يجلب	وليس بمقدور ينال ويكسب.
ألا إنما الأرزاق تجري بقدرها	يقدر والمقدور عنا مغيب.
وما إن ينال المرء منها سوى الذي	به الله يقضي والقضاء مغلب.
فأرزاق هذا الخلق بينهم جرت	فذا نائل عفوا وذاك مخيب.
قرب الورى يعطي ويمنع كيف ما	أراد وما في ذاك منه تعقب.
رضيت به ربا ومولى وسيدا	وحسبي من رب يرجى ويرهب. ²

فهذه الأبيات هي في طلب الرزق جمع فيها بين العمل والجد والمثابرة، وبين الإقتناع بأن الله هو الرزاق والمالك ليس غيره، فالتوكل على الله أمرا واجبا لكن الاجتهاد في طلب الرزق لا بد منه فهذه القصيدة تحمل إشارات التصوّف والزهد وبذل الجهد والاجتهاد دون التوكل فقط.

¹ - محمد بن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان: المرجع السابق، ص380.

² - العماد الأصفهاني: المصدر السابق ص170، وما بعدها، محمد رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: المرجع السابق ص215-216.

وغير بعيد عن تلمسان نجد شاعرا آخر هو محمد بن الحسن التميمي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي من قلعة بني حماد أين كان جده قاضيا، انتقل إلى بجاية واستقر بها وأنهى دراسته، وقد درس على يد أبو الحسن الحرالي¹ فقد كان التميمي بارعا في علوم العربية خاصة في النحو واللغة والأدب، فقد قال عنه الغبريني: "هو أفضل من لقيت في العلوم العربية لزمته عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام واستعنت به كثيرا واستفدت منه كثيرا، من آثاره كتاب: "الموضح في علوم النحو"، وله أيضا "حقوق العيون في تنقيح القانون" وكتاب "السر الخفي في مشكلات أبي علي"، فقد كان شاعرا بارعا وله قصيدة في الزهد والوعظ يقول فيها²

واعمل لأخرى ولا تبخل بمكرمة فكل شيء على حد إلى قدر.

وحل عن زمن تخشى عواقبه إن الزمان إذا فكرت ذو غير.

وكل حي وإن طالت سلامته يغتاله الموت بين الورد والصدر.

يا ويح من غره دهر فسر به لم يخلص الصفو إلا شيب بالكر.

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا أن المقام بها كاللحم بالبصر.

ففي هذه الأبيات تنبيه وتحذير من غدر الزمان وزوال الأنام وأن الاستعداد للأخرة يكون بتجنب الملذات والتمسك بمكارم الأخلاق والتقييد بأحكام الشرع والخوف من الله.

¹ - هو أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التيجي: بدأ حياته من مراكش ثم انتقل إلى المشرق ولقي خيرة العلماء والفقهاء ترك لنا كتاب سماه "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل" يوصف بأنه جمع العلم والعمل ومنها علم الأصول والطبيعيات والإلهيات، الفقه، التفسير كان أحسن الناس خلقا له عدة كرامات توفي سنة 638هـ. الغبريني، المصدر السابق، ص145 وما بعدها.

² - محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص366 وما بعدها.

ومن القائلين في الوعظ والزهد والتصوّف، نجد أحمد بن الغماز الأنصاري، (609-
693هـ) (1213-1293م) انتقل إلى بجاية واستقر بها قادما من بلنسيا وظل ينتقل بين
المغرب الأدنى والأوسط والأقصى وقد ولي قضاء بجاية¹، وإمام للصلاة في جامعها الأعظم
فكان مبدعا في الأدب والشعر حيث نظم في الوعظ والزهد قائلا:

أما آن للنفس أن تخشعا	أما آن للقلب أن يقلعا.
أليس الثمانون قد أقلعت	فلم تبق في لذة مطعما.
تقصى الزمان فواحسرتي	لما فات منه وما ضيفا ²
هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة	وأنت على سوء من الفعل عاكف.
وإياك أن تمضي في الدهر ساعة	ولا لحظة إلا وقلبك واجف.
وبادر بأعمال تسرك أن ترى	إذا نشرت بدم الحساب والمخائف.
ولا تيأس من رحمة الله إنه	لرب العباد بالعباد لطائف ³

¹- أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص23.

²- محمد رمضان شاوش، المرجع السابق، ص392.

³- نفسه، ص393.

ث - الصراع بين فقهاء التصوّف وفقهاء السلف:

يبدو أن الصراع بين الفقهاء والمتصوفة¹ ظل مستمرا منذ فترة المرابطين إلى غاية نهاية الفترة الزيانية، فعّدّة دول قامت على أساس ديني في المشرق كما في المغرب خاصة خلال فترة العصور الوسطى. فترة دراستنا كالمرابطين على يد عبد الله بن ياسين²، والدولة الموحدية على يد محمد بن تومرت الذي سبق تعريفه، ولا شك أن اشتراك الفقهاء والعلماء في كل قضايا وأمور دولة المرابطين يظهر أهمية ومكانة هذه الفئة خاصة من المقربين منهم في دولة المرابطين، فاستشارة هؤلاء كانت ضرورية في عهد يوسف بن تاشفين³. حيث كان يرسل في إحضارهم وطلبهم من عدة جهات وقد سار حلفاء يوسف بن تاشفين على نفس الطريق وظلوا يقربون الفقهاء ويكرمونهم حتى أصبحوا يملكون الثروات ومكانتهم محترمة

¹ - خاصة التيار الصوفي الفلسفي حيث أثار حفيظة العلماء الذين اعتبروا هذه الطائفة خارجة عن الشرع، فأغروا بهم الفقهاء الأمراء قصد مضايقتهم و إبعادهم. محمد محمود عبد الله بن بيه المرجع السابق ص ص 123. 124.

² - سلامة محمد سليمان، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، دراسة سياسة وحضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت 1985، ص 48.

³ - عصمت عبد الطيف دنس: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقية 430هـ. (515م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، ص 132.

وكلمتهم مسموعة وأمرهم نافذ وتلك الحرية والنفوذ لطبقة الفقهاء جعلتهم يبتعدون عن أهدافهم النبيلة وهي خدمة البلاد والعباد، إلى المصالح الشخصية فاصطدموا بمعارضة شعبية شديدة داخلية وخارجية وكان أكبر معارض ونافذ لفئة الفقهاء المرابطين محمد بن تومرت الذي نعتهم بأولياء الشياطين.¹

أما في فترة الموحدين فإن هذه الطبقة من الفقهاء نجدها تحافظ على هيبتها ومكانتها الاجتماعية باعتبارهم الفئة الأكثر تفقها في الدين وتفوقا في العلوم والآداب والنحو والشعر وغيرها، فقد نعثر في كتب التراجم عن أسماء لعدة فقهاء وأطباء وفلاسفة وشعراء دخلوا في ظل الدولة الموحدية من الأندلس والمغرب الأوسط، من ذلك الفقيه أبو الفضل أبو محمد بن طاهر بن تميم القيسي.² الذي كان في بجاية، وطلبه الخليفة عبد المؤمن إلى عاصمته مراكش فأصبح كاتب أسراه، وأبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري.³ فالخلفاء الموحدين أيضا كانوا يهتمون بالفقهاء⁴ ويقربونهم ويجزلون لهم العطاء والأموال

¹ - ابن تومرت: أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص272.

² - إنه الشيخ الفقيه الجليل السني، الكاتب أبو الفضل ابن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي من اهل بجاية ولد سنة 504هـ. بابين محشرة، يكن أبا الفضل وأبا العلي كان أبوه قاضيا ببجاية، له علم متنوع وأخلاق فاضلة استدعاه الخليفة الموحي ابن عبد المؤمن إلى مراكش فارتحل مكرها رغم علمه بالجاه الذي سيصله ككاتب سر الخليفة لكنه كان يفضل غير ذلك ومع ذلك فقد امتثل لأوامر الخليفة ووصل مراكش فوجد الرجل المناسب التقي الورع والمخلص لسيدة كانت وفاته سنة 598هـ. ينظر القرشي، المصدر السابق ص83. علي احمد الأندلسي المغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري. ط1. دار طلامس للدراسات والترجمة والنشر دمشق 1989. ص88.

³ - هو الفقيه الأديب النحوي اللغوي أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري، فقد كان بارع الفهم متطلعا في النحو والأدب مجلسه يتسع لكثير من الطلبة يفوق الثمانين ويستمع إلى كل واحد منهم، فكثيرا ما كان يطول مجلسه معهم. نفسه، ص103.

⁴ - يمكن أن نقول بأنه حدث تراجع لمكانة الفقهاء في عهد الموحدين على اعتبار ما عمد إليه ابن تومرت من توزيع السلطات والمسؤوليات على شكل الطبقات التي ابتكرها. لخضر بولطيف: فقهاء

ويمنحونهم الأراضي والأموال، وكل هذا يثبت المكانة الخاصة التي ميزت الفقهاء خلال تلك الفترة وأقل ما يمكن قوله أن هؤلاء الفقهاء كانوا على مذهب الدولة الموحدية ويخدمون عقيدتهم، في حين أن المخالفين غادروا وابتعدوا عن الموحدين حفاظا على حياتهم. فقد كان هناك حضور سياسي مالكي في البلاط الموحدية¹.

وإذا ذهبنا إلى فئة المتصوفين من خلال الموحدين فإنها لاشك ظلت قريبة هي الأخرى من الحكام الذين اعترفوا بهم، بل حاولوا التقرب منهم، غير أن الأوضاع والظروف السياسية والاقتصادية جعلت هؤلاء أقرب إلى الفئات الاجتماعية الأخرى خاصة الكادحة منها، حيث جمع المتصوفة بين العمل السياسي² المساند للدولة كالدعوة إلى محاربة المسيحيين والتصدي لهم، بل أن أكثر أعمالهم الخيرية ارتبطت بالفئات المحرومة في شكل مساعدات قدمت لهم، لذلك التف الناس حولهم تبركا بهم وطمعا في رضاهم بعدما سمعوا عن كراماتهم³.

على عكس ما وجد أيام دولة المرابطين إذ لم تكن العلاقة على ما يرام بين رجال الصوفية والسلفية الحاكمة في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة، والتي خدمت طبقته الصوفية وجعلتها في موقع القوة واستطاعت أن تكشف عيوب نظام دولة المرابطين، وهو ما عزز مكانة الصوفية، ومما زاد في تآزم العلاقة بين الصوفية ونظام الحكم هو إقدام أحكام المرابطين على إحراق كتاب الغزالي "إحياء علوم الدين" وهذا ربما جعل سلطة

المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي: 510هـ - 668هـ، (1116-1268م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2009، صص 185-186.
¹- لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص187.

²- على خلاف ذلك فإن خلفاء الموحدين كانوا أنفسهم لهم توجه صوفي تكونوا واعتقادا ولم يكن أي عدا مع الصوفية بل أجزلوا لهم العطاء. يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص102.

³- شرقي نوار: الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي في عهد الموحدين، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ 2007-2008، ص100.

المرابطين تخاف أي ثورة تهدد وتعصف بدولة المرابطين في أي وقت يكون وراءها رجال الصوفية.¹

وقد نفسر ذلك التقارب بين سلطة الموحدين والصوفية كسبا لتدعيم مذهبهم الظاهري²، أو رغبة في دعم ومساندة القبائل التي ينتمي إليها هؤلاء الصوفية³، وطالما أن الصوفية لم يتدخلوا في شؤون الحكم والسياسة للموحدين وجدوا قبولا وتقربا من السلطة.

وقد حظي المتصوفة بمكانة محترمة خلال العهد الزياني وربما أكثر من تلك التي نالها المتصوفة خلال عهد الموحدين وقد يكون ذلك لعدة أسباب تعلقت بالجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة الزيانية.

كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي تأثرت تلمسان بتيار التصوف السني خاصة، حيث أخذ يتسرب ويتوسع ابتداء من القرن السادس الهجري، وقد زادت أهمية هذا البلد بعد دفن أبي مدين شعيب فيها حيث تحول ضريحه إلى قبلة للزوار يتبركون به⁴، فقد كان أبا شعيب وعدة شيوخ ورد ذكرهم سابقا ينشرون الفكر الصوفي، حتى أن سلاطين بني زيان إبتداء من يغمراسن الذي كان حريصا على التقرب من الصوفية طلبا لبركاتهم فقد كان كثير الحضور إلى مجالسهم خصوصا الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق⁵. وأحيانا أخرى كان يستقبل

¹ - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص196.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص169.

³ - عبد الرحمان بن خلدون: ج7، ص133، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص200.

⁴ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص387.

⁵ - الفردبيل: المرجع السابق، ص312. ومن شدة التأثير والاعتقاد في الصوفية نجد السلطان يغمراسن يوصي أبناءه بدفنه إلى جوار الصوفي عبد الله بن مرزوق لينال بركته وسوء حدث ذلك أم لا، فإن ذلك يشير إلى ظاهرة تقديس الأولياء خلال هذه الفترة حتى من قبل السلاطين. عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص389.

بعضهم في قصره أو يزورهم.¹ ومن كل هذا نقول أن تلمسان ومن خلال ما ورد ذكره في المصادر كانت تعج برجال الصوفية وشيوخها والمريدين الذين تنقلوا إليها من مختلف الجهات، إما طلبا للعلم أو بغرض الجلوس إلى هؤلاء الصوفية للتبرك بهم أو الأخذ عنهم مبادئ التصوف السني الصحيح.

لقد بينا في الفصل الأول أن تيار التصوّف اختلف ما بين السني الفلسفي حيث كانت الاختلافات متباينة بينهم، وإذا ذهبنا إلى الفقهاء سنجد منهم السني المالكي والشيوعي²، والأشعري³، والظاهري¹، وبالتالي فإن الصراع لا محالة سيكون محتدم وما بين رجال

¹ يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 112. حاجيات أبو حمو موسى: المرجع السابق، ص 43. الفردبيل: المرجع السابق، ص 313.

² الشيعة من أقدم المذاهب السياسية الإسلامية. وقد ظهر مذهبهم أواخر عهد عثمان بن عفان (ض) ونما وترعرع في عهد علي بن أبي طالب (ض) وقوام هذا المذهب هو ما ذكره ابن خلدون في مقدمته: "إن الإمامة ليست من المصالح التي تفوض إلى الأمة ويعين القائم فيها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفالها وتقويضها إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر: ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 207. وينظر أيضا: الإمام أبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي القاهرة 1996، ص 32. عائشة تازي المد الشيعي في بلاد المغرب ورد فعل البربر 297 هـ. 362 هـ، مجلة عصور جديدة العدد 7. 8 2012. 2013 جامعة وهران، ص ص: 108. 110.

³ فمذهب الأشعرية هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي يسير عليه جمهور المسلمين في أنحاء الأرض، عبد الله علي علام: المرجع السابق ص 305. والحديث عن وصول العقيدة الأشعرية إلى المغرب الإسلامي يرتبط بوجود أ- محمد بن تومرت بالمشرق وأخذه عن كبار أئمة الأشعرية، ب- فقد قال عبد الواحد المراكشي: كان ابن تومرت على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات، فإنه كان قد وافق المعتزلة في نفيها و في مسائل قليلة غيرها. كما أن ابن خلدون ينسب ابن تومرت إلى الأشعرية. ابن خلدون العبر المصدر السابق ج 6. ص 302. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 188. مصطفى مغزاري: التطور التعقدي في المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية القرن العاشر الهجري. مجلة عصور الجديدة. العدد 7. 8 جامعة وهران 2012. 2013. ص 137. حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 454.

الصوفية والفقهاء حول كثير من القضايا الفكرية والاعتقادية، وبعض الممارسات عبر فترات المرابطين والموحدين والزيانيين، وقد زاد من حدة الاختلاف والصراع مكانة الفقهاء والصوفية لدى السلطة ودور كل منها في الحفاظ على مكانته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومحاولة فرض هيمنة وتسخير كل الإمكانيات لإبعاد أو طرد الآخر، ومنه فإن هذا العداء بينهما اتخذ أسلوبين بارزين تراوحا ما بين المعارضة السلمية والصراع الدائم² ولعل هذا الصراع كانت بدايته على عهد المرابطين الذين قربوا الفقهاء في السلطة ونالوا عدة امتيازات وأصبحت لهم سلطة ونفوذ في تسيير البلاد على خلاف رجال الصوفية الذين أبعدهم وهمشوا وما حدث أثناء وبعد إحراق كتب إحياء علوم الدين³ لأبي حامد الغزالي يؤكد صحة ما أشرنا إليه.

فخلال فترة الموحدين وجدنا الأمر يختلف بحيث كانت البداية من مجيء محمد بن تومرت الذي كان ساخطا على فقهاء الفروع في ظل دولة المرابطين الذين نعتهم بإخوان الشياطين⁴، لكن يبدو أن الموحدين لم يستقروا على مذهب واحد، فقد جمعت عقيدتهم بين

¹- لقد أقدم الخليفة الموحي المنصور على محاولة محو مذهب الامام مالك من البلاد، و بجانب هذا الإجراء فقد أظهر تعظيما للمذهب الظاهري كبديل للمذهب المالكي حيث عظم أمر الظاهرية في أيامه، حيث كان في عهده بالمغرب الإسلامي منهم عدد كبير يقال لهم الحزمية نسبة إلى محمد بن حزم زعيم الظاهرية، حسن علي الحسن: المرجع السابق، ص467.

²- الغبريني: المصدر السابق، ص66. الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص209- عبد الله علام: الدولة... المرجع السابق، ص304.

³- فقد حرصت الدولة حتى في أواخر أيامنا على محاربة مؤلفات الغزالي واعتبارها من الكتب الضالة وقد استند الفقهاء في تبرير ذلك إلى احتوائه على علم الكلام والفلسفة وكراهية المالكية لهذه العلوم، حسن علي حسم، المرجع السابق، ص ص451-452.، كنون النبوغ: المرجع السابق ج1، ص69. وقد جعل السلفيون شعارهم فر من علم الكلام في أي صور كما تفرمن الأسد، الشهر ستاني، المصدر السابق، ج1 ص ص 118. 119.

⁴- فعبد المؤمن لم يثر على ما وجد عن المرابطين من فاحشة وأخلاق منحلة وفاسدة، بل ثار أيضا بوصفه مصلحا على الطريقة المتبعة دينا وشرعا على مذهب مالك. الفردبل: المرجع السابق، ص278.

الظاهرية والاشاعرة وأسس الشيعة إلى جانب المذهب المالكي¹، وكان شأن هذا التباين أن يعكر صفوة العلاقات بين الفقهاء والصوفية، ويبدو أن الصراع لم يكن على أشده باعتبار أن القضية كانت بيد سلطة قوية كمحمد بن تومرت ومن بعده عبد المؤمن بن علي وأبناءه من بعده فخدمة الأهداف والأغراض السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدولة الموحدين جعلت الخلفاء يهادنون الصوفية وكسبهم جنبا إلى جنب مع الفقهاء² لتجنب أي ثورة اجتماعية، فتأييد فئة الصوفية من قبل عامة الشعب جاء كرد فعل على إدخال الموحدين للمذاهب المذكورة سابقا والتي تتعارض مع ما كان موجودا ومتبعا في بلاد المغرب الإسلامي في ظل المذهب المالكي ولهذا كان أحيانا العداء بين الفقهاء والصوفية³ السنية ضد باقي الفقهاء والصوفية المؤيدين للمذاهب الجديدة والدخيلة على المغرب الإسلامي.

فالتصدي لم يكن موقفا فقط، بل كان عملا، فهذا المتصوّف أبو علي الحسين المسيلي نجده قد ألف كتابا سماه "النبراس في الرد على منكر القياس" دعا من خلاله إلى التصدي لدعاة الظاهرية وقد وقف أيضا أبو مدين شعيب الذي تمسك بالمذهب المالكي في إحكامه ومعاملاته واعتبر ما اعتمد عليه من غير المالكية دجل وفساد وفتن لا بد من مواجهتها⁴ وقد أيدته في موقفه هذا الصوفي : أبو زكريا يحيى الزاوي الذي قاد حملة كبيرة

¹ - لمزيد من المعلومات ينظر - لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص ص 108-112.

² - فقد كانت مشاركة الفقهاء في الوفود الرسمية التي كانت تصل إلى بلاط الخليفة لأغراض شتى.

لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص 192.

³ - يتضح مما ذكره الونشريسي أن هناك نوعان من التصوف في المغرب الإسلامي مع أحدهما وهو الغالب يمتاز أصحابه بالتطرف في أفكارهم وطقوسهم وإحداثهم للبدع المنكرة، والثاني يتسم بالاعتدال والمساهمة في خدمة المجتمع العربي. كمال السيد أبو مصطفى جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي مركز الإسكندرية للكتاب 1996، ص 105.

⁴ - عبد الله كنون، النبوغ: المرجع السابق، ج 1 ص ص 122-123، الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص ص 212-213.

على إتباع المذهب الظاهري من خلال كتابه حجة الأيام وقدوة الأنام¹، ونستطيع القول أن الصراع بين الفقهاء والصوفية قد أثر أحيانا على خلفاء الموحدين خصوصا أيام حكم يعقوب المنصور 580هـ 595هـ²، حيث وصلته أخبار عن خطر الصوفية وازدياد شعبيتهم والتفاف الناس حولهم فرأى أن استفحال هذا الخطر قد يهدد أمن الدولة بكاملها، ويخل بالسير الحسن لنظام دولته وحكامها، لأن المذهب الظاهري أخذ يتراجع والتمسك بالمالكية أخذ ينتصر ويرسخ يوم بعد يوم وبدون شك فإن استدعاء أبي مدين شعيب وأبي زكريا الضروري إلى مراكش يدل على قلق هذا الخليفة من خطر الصوفية لكن أبا مدين توفى قبل وصوله إلى مراكش في حيث أنه اقتنع بموقف أبي زكرياء وترك سبيله.³

فجدير بنا أن القول، أن الفقهاء كانوا يتربصون بالصوفية بل وكل ما يمكن أن يشكل خطر على دولة الموحدين ونظامها وقد تزداد الشكوك حول كل صوفي سحر الناس وكسبهم أفرادا وجماعات فالاعتقاد هنا يكون في إمكانية الاستيلاء على الحكم، ولذلك كان ضروري الاستعانة بالسلطة من قبل الفقهاء ضد المتصوفة لمضايقتهم وإبعادهم⁴. لكن ربما مثل هذا التصرف قد يقرب بين الفقيه والصوفي خدمة للمصلحة العامة ومساندة الحكم على

¹- الغبريني: المصدر السابق، ص66.

²- فالمنصور بن يوسف الموحي حين وقف على قبر ابن حزم قال "كل الناس أو كل العلماء عيال على ابن حزم" فربما هو تأثير أو اعجاب بابن حزم العالم الظاهري لكنه لا يعني ذلك العمل بمذهبه، وقد اتخذ المنصور قاضيا ظاهريا وعادة ما كان يجمع بين المذهبين في أحكامه الظاهري والمالكي فالعامة مالكية والخاصة ظاهرية. أحمد بكير: المدرسة الظاهرية بالشرق والمغرب دار قتيبة، للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 1990، ص64.

³- نفسه، ص217. تشير بعض الدراسات ان هناك بعض المتصوفة المعتدلين في بلدان المغرب الإسلامي انقطعوا للعبادة من صلاة وصوم و تلاوة القرآن وتعليم أبناء المسلمين والإصلاح بين المسلمين و قد استحسن أهل الفتوى في المغرب تلك الطريقة المعتدلة. الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج11 ص ص46. 47. كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص107.

⁴- مجموعة من الأساتذة: التيارات السياسية والدينية وتأثيرها على نظم الحكم في بلاد المغرب والأندلس ومنشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. ص: 302.

مواجهة المشاكل في السلم كما في الحرب¹، وقد اهتم عبد الرحمن بن خلدون بهذه القضية مبدئياً رأيه فيها².

وأحياناً قد نجد تجاوباً من الخليفة نفسه تجاه الصوفية إذ كان يعقوب المنصور محباً للتصوف حتى كاد أن يكون واحد منهم، وكانت له رغبة كبيرة في تقريب الصوفية منه تبركاً بهم بل نجد أحد وزرائه يكاد يعتزل الحكم ويتحول إلى صوفي، وهذا من شأنه أن يخلق تعاوناً بين الفقهاء والصوفية، وقد يحدث العكس عندما نجد هذا الخليفة اهتمامه بالمذهب الظاهري على حساب المذهب المالكي³.

لكن يبدو أن الظروف قد تغيرت نسبياً مع الدولة الزيانية حيث بدأ الرجوع إلى المذهب المالكي بكل حرية ودون قيود وفي هذا يقول الفرد بل إن "الحكومات الثلاث التي خلفت من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر دولة الموحدين في المغرب أطرحت كما قلنا المذهب الفقهي والكلامي الذي دعا إليه ابن تومرت وأعدت الإسلام السني على مذهب مالك"⁴. فهذا النص إشارة إلى الوضع الذي آلت إليه الحالة الدينية في دويلات المغرب الإسلامي ومنها الدولة الزيانية وهي مجال دراستنا، حيث بدأ الرجوع إلى المذهب

¹ - فقد حرص ابن خلدون على المزوجة بين التصوف والفقهاء مع ميل خفي أو جلي إلى التصوف أكثر منه إلى الفقه سبب العلاقة بين التصوف والفقهاء التي لم تكن على ما يرام، فالصوفية يرمون الفقهاء بأنهم لا يعابون إلا بالفشور من مظاهر الأمور، والفقهاء يرمون الصوفية بأنهم غلوا في أحوال الروح أكثر مما كان يعرف الإسلام. محمد آيت حمو: ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على التصوف، دار الطليعة، بيروت 2010، ص 92.

² - فإبن خلدون يعلي من قيمة التصوف بالنظر إلى سلطانه، فإنه لا يقلل من شأن الفقه فكلاهما من الأهمية بمكان، فالمجتمع بحاجة لكلا الطرفين، فنظر الفقيه ليس هو نظر المتصوف فلا تصوف إلا بفقه، فالجمع بينهما وملازمة أحدهما للآخر أكثر من ضرورة. نفسه، ص 90.

³ - سعد زعلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، المنصور الموحدي 580-595م (1184-1139) ج 7 منشأة المعارف الإسكندرية 2005، ص 241.

⁴ - الفرد بل: المرجع السابق، ص 324.

المالكي بكل حرية وحل السلام والتسامح، فكان نصيب التصوّف المزيد من الاهتمام والتأييد ولم تعد هناك مضايقات من أي جهة خصوصا وأن هذا التيار قد أصبح جزء من الإسلام السنّي في المشرق، ودخل إلى المغرب في مستهل القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي.¹

ويبدو أن حكام الدولة الزيانية حرصوا واجتهدوا على توفير المناخ الملائم لحضور الأولياء والعباد وتزايدهم، فدولتهم لم تقم على أساس ديني، ثم اقتناعهم بما سمعوه عن الأولياء وكراماتهم وتواضعهم وأخلاقهم وعلى رأسهم أبا مدين شعيب وبذلك تدعمت تلمسان وبجاية وغيرها من حواضر المغرب الأوسط بالفقهاء ورجال الصوفية دون عداة أو صراع معن بينهم، فهذا الغبريني يخبرنا بأن الاختلاط والتفاهم والقبول بالآخر ميز جلسات المساجد وغيرها بين الصوفية والفقهاء.² وربما أن المذهب المالكي أصبح المذهب المسيطر في ميداني التشريع والعبادات بعد أن مر بفترة ضفرت على عهد الموحدين.³

لكن تبقى فترات أكيد أنها عرفت تازما وحدة حيث اشتد الصراع بين الفقهاء والصوفية ولنا مثال على ذلك أيام الشاعر والكاتب الصوفي محمد بن خميس⁴، المولود في تلمسان سنة 650هـ⁵، الذي غادرها إلى سبتة خوفا من السلطات الزيانية وفرارا منهم. توفي سنة 708هـ فقد وجدت أفكاره وآراءه معارضة شديدة من قبل بعض الفقهاء أمثال القاضي

¹ - الفرد بل: المرجع السابق، ص324.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص153. التنسي: المصدر السابق، ص117. التتبكي: نيل الابتهاج: المصدر السابق، ص37.

³ - ابن مرزوق: المصدر السابق، ص52، محمد المنوني، وراق، المرجع السابق، ص153.

⁴ - كان نسيج وحده زهدا وانقباضا وهمة حسن الشبية جميل الهيئة عارفا بالمعارف القديمة، وله مشاركة في العقليات ومال الى التصوف والتجوال ينظر الغبريني، المصدر السابق، ص86.

⁵ - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص136.

ورئيس الوزراء ابن هدية القرشي المتوفى 737هـ¹. الذي كانت له مكانة محترمة في الدولة الزيانية حيث اعتبر محمد بن خميس كافرا يجب محاربتة والتصدي له لأنه زنديق في نظره فكان يرى في الفلاسفة أو على الأقل فلسفة ابن خميس فيها خروج عن المؤلف². وفيها غلو وضلالة، ومع ذلك فإن المبالغة في هذا الاتهام نابعا من شيء آخر أسمه العداوة والحدق الدفين بين اليمانية التي ينتمي إليها الشاعر محمد ابن خميس والقيسة التي ينتمي إليها ابن هدية ولكن ومع ذلك فإن مكانته العلمية وتفوقه في مجالي النثر والشعر خلق له أعداء ومنافسين ويبقى الاحتمال الآخر وهو الموقف السلبي من الفلسفة من قبل التيار السلفي الذي سيمتد إلى نهاية الدولة الزيانية.³

والخلاصة أنه خلال فترة الزيانيين لم يحدث صراع تحول إلى عدا بين الفقهاء والصوفية، وإنما التفاهم والتقارب كان أهم مميزات العلاقات بينهما ودوما كان الحكام يراقبون ذلك ويسارعون إلى خلق تقارب وتوافق بين الطرفين وتقريب الصوفية واعتماد الفقهاء، وعلى كل فإن الاختلاف والصراع بين السلطة والحركة الصوفية الذي عادة ما كان ينشب بينهما بإيعاز من الفقهاء قد فشل نتيجة اعتناق الفقهاء وغالبية الصوفية للمذهب المالكي فضلا عن السياسة المرنة التي سلكها الحكام إزاء المالكية، فالمجتمع في حاجة إلى تشريع يواجه

¹ - فهو القاضي والخطيب أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي من ولد عقبة بن نافع الفهري، وشهد جنازته أبو تاشفين، لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ج 5 ص 324.

² - لقداتهم ابن خميس بأن فلسفته تدفعه إلى الخروج عن الشرع عملا وعلمًا ومنها التتكر لمبادئ الصحيحة للدين الإسلامي في نظر ابن هدية الفلسفة كفر وعناد وزندقة يجب محاربتها والتصدي لها. المهدي البوعبدلي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ مجلة الأصالة، عدد 26، جويلية أوت 1975، ص 131.

³ - لقد امتدت المعركة بين السلفيين والمتصوفة بتلمسان أكثر من قرنين وربما لم تكن تتجاوز آداب النقاش والتنافس في المجالس العلمية، البوعبدلي: المرجع السابق، ص 127.

مشاكل المجتمع وهذا عمل الفقهاء، وإلى من يقلل من الشر والطمع والجشع والتكالب¹ على الدنيا وهذا عمل المتصوفة، وبهما تبقى دعائم المجتمع وتسود المبادئ والقيم.

¹ - محمد آيت حمو: المرجع السابق، ص 90.

1- الكتاب: مؤسسة التعليم الأولى.

لقد ازدهرت المعارف بالمغرب الإسلامي بواسطة معاهد التعليم والمتمثلة في الجوامع والكتاتيب¹، ويعود تاريخ الكتاب إلى منتصف القرن الأول الهجري، فقد أولى الولاة العرب عناية بتعليم الصغار بواسطة نصب الخيام لتمكينهم من حفظ القرآن والأحاديث النبوية ومبادئ اللغة العربية بالطريقة المعروفة آنذاك، وهي التريديد الجماعي والتكرار وراء الشيخ². ومنذ القرن الأول الهجري أخذت الكتاتيب في الانتشار عبر جميع أنحاء أقطار المغرب الإسلامي، حتى عمّ تعليم هذه المؤسسات.

فالكتاب كان يمثل اللبنة الأساسية للحياة الثقافية والمؤسسة الأولى يتلقى فيها الناشئة حفظ القرآن، وهو ما يشبه اليوم إلى حد ما التعليم الابتدائي، فهذا نظام معمول به في أقطار المغرب الإسلامي في حواضرها وقراها، وبعد هذه المرحلة يكون الطفل قد وصل إلى السن الذي يسمح له دخول المساجد لإكمال تعليمه، ولم يعد مقيد بفتاوى العلماء التي تلزم الصبي البقاء بعيدا عن المسجد حتى بلوغه الحلم³ وقد يبدو أن المسلمين لم يهتموا

¹ - محمد المنوني: المرجع السابق، ص 10.

² - يجاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية: ط2، المطبعة العربية غرداية الجزائر 1993 ص 276، وما بعدها. محمد إحدادن: الحياة الأدبية والثقافية بالمغرب الأوسط حتى نهاية القرن 5هـ أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، دولة، كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر 2005-2006، ص 162 ينظر أيضا: التوزري: تاريخ التربية في تونس ج1، الشركة التونسية للتوزيع، (د.ت) ص 103.

³ - الونشريسي: المصدر السابق ج7، ص 83 ينظر أيضا: محمد بن معمر العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأقصى من نهاية العرب، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2001-2002، ص 311.

بزخرفة الكتاتيب وبقيت على بساطها حتى أننا لا نرى فرقا بينها وبين كتاتيب الحاضر وعلى العموم فقد أدت الكتاتيب الدور الأساسي في العملية التعليمية.¹

ولذلك فالكتاتيب مازالت حتى الفترة التي ندرسها أي فترة الموحدين والزيانيين القرنين (6-7هـ) (12-13م) هي الأماكن الأولى التي يتعلم فيها الصبيان.

فقد استخدم الموحدون مؤسسات كثيرة اعتمدها في إقامة دولتهم ونشر الثقافة بين طبقات البربر وغير البربر في المدن والبوادي² للتعليم وجدت قبلهم منها الكتاتيب³ فكما قلنا أن هاته المؤسسة المذكورة كانت موجودة قبل وجود الموحدين ولكن بشكل محدد فهي مرحلة مهمة ولا بد منها لتعليم الأطفال، ثم يأخذون في التدرج لتلقي باقي المعارف والعلوم تمهيدا للمرحلة الثانية وهي المساجد، ثم المدارس. فعبد المومن كان عازما على تبليغ وتعميم رسالة معلمه محمد بن تومرت⁴ والمتعلقة بترسيخ مبادئ دولة الموحدين إلى عامة الناس، فكانت الكتاتيب إحدى الوسائل التي لجأ إليها هذا الخليفة وبدون شك أنها شملت كل أقطار الإمبراطورية وساهمت بذلك في تعميم نشر التعليم، فهناك إجماع على عناية الموحدين بشأن التعليم⁵ وأنه كان بأنواعه الابتدائي وغيره منتشرا في أنحاء المملكة وكان إجباريا، في حين

¹ - بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ط2، دار المدار الإسلامي، ليبيا 2001، ص254.

² - عمر رضا كحالة: دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية - دمشق - 1973، ص63.

³ - عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب السادس عشر إلى القرن التاسع عشر 19، معهد الدراسات العربية العالمية 1958، ص52.

⁴ - عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص291.

⁵ - أحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ط2، دار الفكر العربي، القاهرة: ص1998، ص21.

أن أوربا لم تكن لتفكر في التعليم الإجباري¹، ومع ذلك فإن هذه المرحلة وما تتميز به من خدمات للأطفال، إلا أن ابن خلدون لم يكن راضيا على ما يقدم للصبي خلال الفترة الأولى من تعليمه، فقد انتقد ذلك واعتبرها عقيمة وغير مجدية لاعتمادها على إجبار الطفل على حفظ القرآن، دون فهم أو تفسير ودون إدخال عوامل أخرى كالشعر والفقه أو كلام العرب، الذي يزيد من إدراك المتعلم، في حين أن الأندلس كانوا يجمعون بين حفظ القرآن وقراءة الشعر وقواعد التجويد والإنشاد والحفظ².

أما في الفترة الزيانية فالكاتيب لم تكن بعيدة عما تعارف عليه أهل ذلك الزمان، إذ لا زالت حتى وقتهم تعد من المؤسسات التعليمية التي يبدأ فيها كل الأطفال تعليمهم، حتى أنها حافظت على نفس التجهيزات السابقة الموجودة على عهد الموحدين، وظلت أيضا تقوم بنفس الوظيفة، إذ كان صبية المسلمين يتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن الكريم ويدرسون اللغة العربية مما يمكنهم من مواصلة دراستهم في المساجد³ ومنه نصل إلى أن الكاتيب سواء عند الموحدين أو الزيانيين قد ساهمت في دعم وتشجيع التعليم وتعميمه في حواضر بلاد المغرب الإسلامي وبواديه⁴.

¹ - عبد الرحمن بن محمد الجليلي: ج2، المرجع السابق، ص57.

² - محمد بن عبد الرحمن الخليلي: المغرب ومقدمة ابن خلدون، أو ذيل على المقدمة، جمعية البحث التاريخي والاجتماعي، القصر الكبير الرباط، 2008، ص89. ينظر ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص588.

³ - عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص207.

⁴ - عبد العزيز الفيلاي: المرجع السابق، ص339.

والخلاصة أن هذه الكتاتيب قد تكاثرت خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، فأقبل عليها الناس وعلموا فيها أولادهم، وصار المعلم المرشد والحكيم والرجل الصالح الذي قد نلتمس منه البركات.¹

أ- منهج الدراسة بالكتاتيب وأغراضه:

كان الكتاب عبارة عن حانوت أو حجرة بالقرب من المسجد أو بجواره وأحيانا نجدها غرفة في منزل وعادة ما يغطيها الحصير أو بساط يوجد بها كرسي يجلس عليه المعلم -المؤدب- وبجواره يجلس عامة الصبيان يحملون ألواحاً وأقلاماً ومصاحف² يستمعون إلى الشيخ في نظام معروف، وفي الواقع أننا لا نملك المعلومات الدقيقة والكافية عن تلك المكتبات في المغرب الإسلامي لكن من المؤكد أنها كانت لا تختلف عن الكتاتيب في باقي العالم الإسلامي والتشابه كان يخص انتشارها في أنحاء المغرب كله أيضاً وكاد أن يكون إلزامياً فتحفيظ القرآن كان لا بدّ منه اقتداءً بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، فالدراسة بالكتاب في بلاد الغرب الإسلامي ككل لم تكن تختلف عن بعضها البعض إذ نجد أن القرآن الكريم كان محور الدراسة³ بتلك المؤسسات ففيها يتعلم الطفل القراءة والكتابة وأصول الدين وما يرتبط منها من مستلزمات ذلك، وقد كانت الأهداف تختلف ما بين القرنين 6 و7هـ. إذ كان تجديد الإسلام في الطبقات البربرية والسعي إلى تحفيظ القرآن الكريم خاصة في البوادي والصحاري⁴ أما خلال القرن السابع الهجري فكان

¹ - عمر كحالة: المرجع السابق، ص64.

² - التوزري: المصدر السابق، ص103 وما بعدها.

³ - بشير التلسي: المرجع السابق، ص308.

⁴ - عثمان سعدي، الجزائري التاريخ من العصور القديمة وحتى 1954 دار الأئمة ط1، 2011،

ص51.

هدف المغاربة ترسخ الإسلام، فالمتعلم كانت مهمته القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن وتجويده إلى جانب الإمام باللغة والنحو والفقہ¹.

وعلى كل فالدراسة كانت منتظمة وفق جدول دقيق، فكان الأسبوع الدراسي يبدأ من السبت إلى الخميس ظهرا، فالحصة الصباحية تخصص لحفظ القرآن تم الكتابة بعد ذلك وبعد تناول الغذاء والعودة إلى الدراسة إلى غاية العصر وتخصص الحصص المسائية لدراسة الحساب والنحو والشعر والتاريخ.

فالنظام اليومي في الدراسة داخل الكتاب يقضي بأن تكون الدراسة على فترتين إذ بدأ الأولى في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر، فيجلس الصبيان إلى معلمهم للحفظ أو التعليم حتى الظهر وعندها يلتحقون بمنزلهم لتناول الطعام، ثم تكون العودة إلى الكتاب لإتمام يومهم حتى صلاة العصر، حيث ينتهي اليوم الدراسي في الكتاب ومع نهاية الأسبوع تكون فترة الراحة قد تدوم ليومين عادة ما تكون الخميس والجمعة.²

أما فيما يخص السن التي تسمح للصبي بدخول الكتاب فلم تكن محددة بعمر ولكن المتفق عليه أن كل صبي بلغ سن الخامسة إلى السابعة له الحق في دخول الكتاتيب للتعلم وحفظ القرآن وحسب بعض النوازل الواردة في المعيار نصها: "هل يضرب ابن خمس سنين

¹ - كمال السيد : المرجع السابق، ص113.

² - محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب ، أصولها المشرقية وتأثيراتها في الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987. ص25-26.

من الصبيان أو أقل أو أكثر إذا ضحك في الصلاة أو تركها.¹ وربما كان السن المفضل لدخول الصبي إلى الكتاب هو سن السابعة².

وفي اعتقادي أنه كذلك لأن السنّة النبوية ترغبنا في تعليم أبنائنا الصلاة في سن السابعة وضربهم عليها في العاشرة، لأن الطفل يكون قد وصل في هذه السن إلى نمو جسدي وعقلي يسمح له بحفظ واستيعاب ما يتلقاه من معلمه، ومع ذلك فقد تكون سن السادسة أيضا متفق عليها بين أهل المغرب الإسلامي³ إذ لم يكن يفرض سنا معينة إنما يترك ذلك للولي والمعلم إذ يتوقف ذلك على مدى نضج الطفل ومدى تمييزه وقدراته التي يمكن أن يكشف عنها من حين لآخر وهذا ما ذهب إليه بعضهم بقوله: "ويرجح أن سن ابتداء الدراسة في الكتاب لم تكن محددة وإنما كانت تشكل مرحلة ما بين الخامسة السابعة وذلك تبعا لاختلاف نضج الصبيان⁴ وتقدمهم في الفهم والتمييز" وهذا أيضا ما نجد له تفسيراً عن السابقين كابن العربي وغيره بقولهم: وللقوم في التعليم سيرة بديعة وهي الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى الكتاب وتنتهي حياة الطفل في الكتاب إذا بلغ سن الاحتلام⁵ إذ يحدد هذا السن عادة عند الثالثة عشر أو الرابعة عشر.⁶

¹ - أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار، المغرب والجامع، المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب ج7، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية 1981، ص245.

² - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص344.

³ - كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص114.

⁴ - أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر 2006، ص60 وما بعدها.

⁵ - أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص180.

⁶ - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص6.

وكان منهج تعليم الولدان في المرحلة الأولى من التعليم يستهدف قبل كل شيء الأطفال من قراءة القرآن مع حفظ بعض أجزائه أو كلية، فالبدء بحفظ القرآن¹ يجب أن يسبق كل شيء إلى القلوب خاصة الصبية ليرسخ في نفوسهم الإيمان وعقائده وهو اتفاق بين أهل الملة إذ يجب أن يتم ذلك في الصغر²، وإلى جانب حفظ القرآن كان هناك أيضا تلقين القراءة والكتابة واللغة والنحو والفقهاء³. إن أهل العلم والفتوى قد تعاونوا على انجاح هذه المرحلة من التعليم إذ كانوا يرشدون المعلمين إلى مساعدة الصبيان على تجاوز الأخطاء في الكتابة وقراءة القرآن وتعليمهم الإعراب وأحكام الصلاة والوضوء والصيام والخط الحسن مع التركيز على حسن العلاقة بين المعلم والصبيان⁴.

أمّا عن أغراض التعلم فكانت أهم ركائز التعليم الأولى في كامل بلدان المغرب الإسلامي.

فالهدف العلمي يبرز في إمام ومعرفة الأطفال بالقرآن حفظا أو لإتمام تعلم القراءة والكتابة وقد يصل بعض الأطفال إلى التعرف على قليل من الحساب واللغة أو الشعر قد يساعدهم ذلك على الوصول إلى المرحلة الثانية في مشوارهم الدراسي ألا وهو المسجد.

¹ - الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986، ص 120.

² - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص 10، ينظر أيضا ابن خلدون، المقدمة المصدر السابق، ص 105-106.

³ - الونشريسي، المصدر السابق، ج 8 ص 243.

⁴ - كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 114.

وإلى جانب الغرض العلمي فهناك غرض أخلاقي¹ لا يقل أهمية عن الأول، فالطفل يتعلم ويكتسب الصفات الخلقية الحسنة كالصدق والإخلاص والصبر والحفاظ على الأمانة وحب الناس... .

ولذلك كانت مرحلة هامة في حياة الأطفال استوجبت معلمين مخلصين يتصفون² بالرحمة والصدق والوفاء فالأطفال كثيرا ما كانوا يتأثرون بالمعلمين ويفقدونهم في كل الأمور.

فالمغرب الأوسط كباقي بلدان المغرب الإسلامي لم يعرف في المرحلة الأولى من التعليم سوى طريقة التلقين أو التحفيظ ويكون ذلك إما بالقراءة في المصحف أو الألواح أو التلقين أو التحفيظ عن ظهر قلب لأن هذه المواد لفظية تحتاج إلى الحفظ والاستيعاب³ والجدير بالذكر هنا أن العملية التعليمية كانت تتم بواسطة نظام الحلقة المتوارث منذ الفترات السابقة كالرستميين وامتد كذلك خلال فترة الموحدين والزيانيين حيث كان المعلم يبدأ حصته بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم يشرع في الدرس، ومتى انتهى من الحصة يختمها بقراءة الفاتحة⁴ وحول نظام الحلقات نشير إل أن الأطفال كانوا يرددون ما يحفظون بأصوات مرتفعة وكل جماعة تقرأ جزء من القرآن يختلف عن الجماعة الأخرى.

وهناك ملاحظة مهمة ينبغي الإشارة إليها أنه لا يجوز للصبيبة التعلم في المساجد نظرا لما يلحق المسجد من نجاسة أو إحداث أصوات تمنع المصلين من الخشوع والذكر ففي المعيار نازلة في هذا الباب كان الجواب عليها: لم يجعل الله المساجد لتكتسب فيها الأرزاق والواجب

¹ - بشير تليسي، المرجع السابق ص 373_ 374.

² - لمزيد من المعلومات ينظر ابن خلدون، المقدمة.

³ - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص14، ينظر أيضا: محمد أسعد طلس، التربية والتعليم

في الإسلام: بيروت 1957، ص161.

⁴ - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص14

أن يمنع أهل البلدة مساجد من مثل هذا¹ وكذلك عمد الصوفية في تعليم القرآن للصبيان في الكتاتيب دون المساجد حفاظا على قداسة ونظافة المسجد من نجاسة الأطفال دون السادسة أو السابعة، تماشيا مع آراء الفقهاء بعدم جواز تعليم الصبيان في المساجد.²

ب _ المعلمون داخل الكتاب:

وحتى يكون المعلم ناجحا ومؤثرا ومتحكما في العملية التعليمية لا بد من توفر شروط تكون ضرورية تضمن السير الحسن والتواصل الدائم بين المعلم والمتعلم، فالأخلاق والانضباط والعدل بين الصبيان³ في المعاملة ولا يسيء إلى أحد منهم ولا يسبهم ولا فرق بين ابن الفقير وابن الغني، فعلى المعلم أن يتقيد بالأخلاق الحميدة والآداب الإسلامية حتى يكون نموذجا يقتدي به الصبيان، في السلوك والمعاملة⁴، وتزداد أهمية المؤدب وتأثيره كونه يقضي أوقات طويلة خلال فترة الدراسة التي قد تدوم كما قلنا سابقا إلى سن البلوغ فالصبيان قد يتحلون ويتلقون نفس الأخلاق ويتخذونها منهاجا لسلوكهم⁵ وهذا في حد ذاته يعد عاملا مهما يدفع الأطفال إلى الاجتهاد والصبر والمثابرة لتجاوز تلك المرحلة بنجاح، كما أنهم كانوا يلمسون عند معلمهم مكانة اجتماعية معنوية على الأقل يتمتع بها حتى أنه أحيانا تتجاذبه كل الأطراف للإقامة بينهم ولتعليم أبنائهم، وإصلاح مجتمعهم، فقد كان المرشد المصلح

¹ - الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص36. - أنظر الملحق ص 281.

² - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص230.

³ - بلبشير عمر: المرجع السابق، ص254.

⁴ - أنظر الملحق ص 277.

⁵ - بوعلام صباحي: الحياة الثقافية بالمغرب في ظل الدويلات الأولى من القرن الثاني للهجرة إلى أواخر القرن الثالث للهجرة رسالة ماجستير جامعة دمشق، قسم التاريخ، 1988، ص187.

والحكم والإمام وقد يتحول ضريحه إلى زاوية وربما بقيت هذه الظاهرة معمول بها في بلدان المغرب الإسلامي حتى وقت متأخر.¹

وأما ما يخص الصبيان فكانت هناك أيضا التزامات لا يمكن خرقها أو تجاوزها كالحضور والانضباط والأخلاق الحسنة وعدم الإساءة إلى المعلم خاصة أن هاته المرحلة التي ارتكزت على حفظ القرآن خاصة كانت إجبارية ولا يجوز بأي صفة أو عذر ترك الصبيان دون تعلم فالمسؤولية تقع على الجميع ابتداء من الأسرة فالأقارب وجماعة المسلمين² ومقابل هذه المسؤولية وقف المعلمون وباستمرار يتابعون سلوكات الأطفال وكل من صدر منه سلوك سيء أو يكون سببا في الإخلال بالنظام العام للكتاب يتعرض إلى عقاب وهذه قضية هامة في عملية التعليم بالكتاب يتقاسم أسبابها ونتائجها المعلم والمتعلم:

فمن خلال النوازل العديدة التي ورد ذكرها في المعيار للونشريسي يبدو أنها أخذت حيزا كبيرا ونقاشا مستفيضا كله دار حول متى وكيف يعاقب الصبي، فقد ننطلق من نازلة سأل صاحبها: هل يضرب ابن خمس سنين من الصبيان أو أقل أو أكثر إذا ضحك.... فكان الجواب أن ابن الخمس سنين يزجر ثم يزجر ثم يؤدب على قدر احتمالته وإذا كان أكبر من 10 سنوات فيزجر وإن عاد يؤدب³ ومن باقي النوازل والإجابة عنها أن الضرب المبالغ فيه غير جائز، ولا يكون في المناطق الحساسة كالرأس أو الوجه، بل على الأطراف مثلا، كالساقين والرجلين أو اليدين دون العصا أو اللوح، فذلك يكون أضمن للسلامة والشفقة⁴ فأنا أرى أن العقوبة يجب أن تكون للإصلاح وليس للانتقام فالتعليم والتبليغ لا يجب أن يكون

¹ - عثمان الكعاك: مراكز....، المرجع السابق، ص52.

² - الونشريسي: المصدر السابق، ج8، ص250

³ - نفسه، ج8، ص245.

⁴ - نفسه، ج8، ص245.

بالعنف والقهر فذلك حتما قد يحمل الصبي المتعلم على الخبث والكذب والمكر والخديعة¹ هروبا من العقوبة وهذا طبعا أمر مرفوض في فقه التعليم وقد يجعل بعض الصبية لا يتجاوز مرحلة الكتاب في تعليمه لعدة أسباب منها أثر العقوبات²، وحتى إن كان الفقهاء قد أجازوا العقوبات على سلوكه السيئ فالهدف منه هو الإصلاح فقط دون مبالغة أو عنف لفظي أو جسدي، فلم يكن هناك تهريب بقدر ما كان هناك ترغيب في إنجاز مهام المعلمين وإتمام رسالتهم في تربية النشء تماشيا مع ديننا الحنيف، الذي يأمرنا بالرفق والاعتناء بالأطفال واحترام الكبار، كما كانت استشارة ولي أمر الصبي واجبة في أمر العقوبة، فهي تختلف من طفل لآخر حسب سنه وقدرة تحمله ودرجة خطئه³.

ويرتبط أيضا بقضية التعليم في الكتاب أجرة المعلم⁴: لقد وردت في المعيار نازلة تتعلق بأجرة المعلم فكان الجواب بجوازها إذا كان المعلم محتاج إلى ذلك⁵ وحتى إن كان هناك سكوت عن هذه القضية لكن الظروف كانت تتحكم في ذلك فيبدو أن ولي الأمر كان مكافا بالنفقة على ابنه من قبل القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي، فالدولة لم يكن لها إشراف على تلك المؤسسات التعليمية إلا نسيبا فيما يخص المراقبة، والعلاقة بين المعلم والمتعلم على يد المحتسب⁶ وتطالعنا الدراسات حول هذا الفرض، حيث نجد أحيانا أن البعض من المعلمين كان يرفض تلقي الأجر مقابل تحفيظ القرآن لما في ذلك من ثواب من الله تعالى كالشيخ إبراهيم يسول الاشيلي الذي درّس القرآن بتلمسان وتوفي 539هـ ونجد أن

¹ - السائح: المرجع السابق، ص213.

² - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص26.

³ - الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص250، ينظر أيضا: كمال السيد، المرجع السابق، ص114.

⁴ - أنظر الملحق، ص282.

⁵ - الونشريسي: المصدر السابق: ج8، ص340.

⁶ - فؤاد الأهواني: المرجع السابق، ص292.

البعض الآخر كان يحصل على الأجرة من الأسر الميسورة الحال¹ ويؤكد هذا الرأي الغبريني بقوله كان هدف بعضهم الحصول على الأجر قبل المال² وأنا أوافق الرأي القائل بأن هذه المهمة النبيلة والرسالة العظيمة كتربية النشء والحفاظ عليهم يستحق من خلالها المعلم أجر خاصة إذا عد ضمن الطبقات الدنيا في المجتمع ماديا.³

لكن المتفق عليه أن المعلم في الكتاتيب كان يتلقى أجرا أسبوعيا زهيدا بالإضافة إلى الهدايا النقدية أو العينية التي كانت تحمل إليه في الأعياد والاحتفالات كختم القرآن⁴ فالمعلم لم يكن فقط يعلم التلاميذ ويحفظهم القرآن بل كان أيضا مربيا يسهر على تربيتهم على القواعد التي يجب على المسلم أن يتبعها، ومما يدعم قولنا قول التادلي: "من كان يتقاضى أجرا كان ينفقه على الصبيان الفقراء والمعوزين"⁵ وهذا بدون شك يزيد من مكانة المعلم بين الصبيان.

والخلاصة أن نظام التعليم في الكتاتيب في المغرب الأوسط كان منتشرا في المدن والحوضر والبوادي: في باتنة، بجاية، القالة، تلمسان وغيرها⁶، إذ كانت الكتاتيب تقدم ما يجب أن يعطى للصبيان، ما بين سن الخامسة والسابعة إلى غاية البلوغ وظلت بذلك الكتاتيب تمثل أهم أنواع المؤسسات التعليمية خلال المرحلة الأولى في المغرب الأوسط إبان الفترة التي ندرسها.

¹ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 344.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 198.

³ - أحمد عبد الرزاق أحمد: المرجع السابق، ص 22.

⁴ - نفسه، ص 23.

⁵ - التادلي: المصدر السابق، ص 88.

⁶ - وزارة المجاهدين: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 140.

2- المساجد:

المسجد أحب البقاع إلى الله تعالى ومكان اجتماع المسلمين يوميا ومحل تشاورهم وتناصحهم، فقد كان بناء المسجد أول بناية يخطط لها قبل المدينة، فهو مركز التجمعات السكانية، ومنه تتفرع الطرق الكبرى وحول ساحته تقام الأسواق والحمامات،¹ فبعد أول مسجد أسس في الإسلام والمعروف بمسجد قباء بالمدينة المنورة أخذ انتشار بناء المساجد عبر مختلف أقطار العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وإذا كان مسجد عقبة بن نافع بالمغرب الأدنى القيروان (50-55هـ) أول مسجد بني بالمغرب الإسلامي² فإن أبا المهاجر دنيار يكون قد بنى جامع ميله، فمسجد موسى بن نصير الذي بناه بتلمسان سنة 89هـ -707م حيث استمر هذا المسجد يقوم بدوره كمركز ثقافي في المغرب الأوسط خلال القرون الوسطى المتعاقبة³ كما بنى إدريس الأكبر مسجدا بتلمسان بعد دخوله إليها عام 171هـ⁴ ثم شرع بعد ذلك في بناء المساجد بالمغرب الأوسط* حتى زمن الزيانيين ومن جاء بعدهم⁵.

¹ - عبد الكريم شباب: صورة من المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8هـ (13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون رسالة ماجستير جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية 2003-2004، ص121، أحمد شلبي: المرجع السابق ص102.

² - بشير رمضان النابلسي: المرجع السابق، ص387.

³ - حسن خضير أحمد: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب مكتبة مدبولي 1996، ص193.

⁴ - المهدي البوعبدلي: مراكز الثقافة وخزائن الكتب عبر التاريخ مجلة الأصالة ع7، قسنطينة، الجزائر 1971، ص7.

* في عام 199هـ قام إدريس الثاني بحملة لاسترجاع تلمسان التي دخلها مثل أبيه صلحا وفي تلمسان أقام إدريس الثاني نحو ثلاث سنوات قضاها في تنظيم شؤونها الإدارية وإصلاح أحوالها وكان من بين الآثار ومعالم المدينة التي أصلح أحوالها وبنى أسوار مسجدها الجامع. إسماعيل العربي، المرجع السابق ص68.

⁵ - يحيى بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ ومدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط والمساجد العتيقة في الغرب الجزائري دار البصائر للنشر والتوزيع ط2009، ص4.

فانتشرت المساجد في باقي حواضر وبادي المغرب الأوسط كوهان بجاية،
قسنطينة، وغيرها...¹

وقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي منذ بداية الفتح العربي بناء عدد كبير من
المساجد واستمر ذلك عبر الدويلات المستقلة التي شكلت في أقطار المغرب الإسلامي عامة
والمغرب الأوسط خاصة، ومن ثم بدأت شخصية المسجد الثقافية تتأكد وتتوسع في المغرب
الأوسط كما اتسعت دائرة العلوم التي أصبحت تدرس بالمساجد.² فالمسجد وإن جعل للصلاة
والتعبد أساسا إلا أن المسلمين كانوا يتخذونه خارج أوقات الصلاة معهدا لشرح تعاليم الدين
كدراسة القرآن والحديث والفقہ واللغة ومختلف العلوم، وتحولت أكثر تلك المساجد إلى
مؤسسات تعليمية انتشرت أخبارها خارج بلاد المغرب الأوسط كمراكش وفاس والقيروان
وغیرها.³

وبذلك أصبحت المساجد في المغرب الأوسط كسائر بلدان العالم الإسلامي من أكبر
معاهد الثقافة ومراكز للحركة العلمية لأطفال المغرب الأوسط الذين بلغوا سنا معينة.⁴

فحتى أوائل القرن الخامس الهجري ظلت المساجد هي المعاهد الأولى والأساسية
التي تمد المدارس الإسلامية.⁵

¹ - عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 79.

² - بشير رمضان: المرجع السابق، ص 388.

³ - عفيفي محمد: المرجع السابق، ص 281.

⁴ - بعض العلماء كانوا يرفضون التعليم بالمساجد التي تقام فيها الصلاة خوفا وحفظا عليها من نجاسة
الأطفال.

- Mouloud Kaid, op cit, p160.

⁵ - المهدي البوعبدلي: الأصالة ع 11، المرجع السابق ص 213-214.

فقد أخذ المغاربة طريق التعليم عن طريق المسجد والكتاب وتطور الحال فصارت المساجد مرحلة مكملة لما قبلها، فهي المدارس والمعاهد. والمعلم، والشيخ يجتهد في نشر الثقافة الدينية والعلمية¹، حيث كان الطلبة يقبلون على النحو واللغة والفقه والأدب فينالون بضاعة وافرة تمكنهم من بلوغ مستوى لائق، وهذا الكم المعرفي يسمح لهم بالتخصص فيما بعد في أي مجال والانتقال إلى المرحلة الأخيرة² ومهما كان اسم هذه المؤسسة الجامع أو المسجد وبغض النظر عن حجمها ووظيفتها فإن الدور الأساسي لها يبقى خلال الفترة التي ندرسها أماكن للعبادة ومناير هامة لمحاربة الجهل وتربية الأجيال ومنه فإن الحركة الدينية والعلمية والفكرية والحضارية في حواضر وبوادي المغرب الأوسط لم تخرج عن الجامع أو المسجد، وغالبا ما كان المسجد الجامع يتوسط المدينة يجمع بين الأمور السياسية والجوانب الدينية والاجتماعية والثقافية³ فقد ازدادت أهمية هذا المركز الإشعاعي على عهد المرابطين والموحدين ثم الزيانيين خصوصا وأن دولتي المرابطين والموحدين قامتا على أساس ديني فكان ضروريا أن يقوم المسجد بدوره كمؤسسة لنشر أفكار ومبادئ سياسية الدولتان، وكان نجاح المرابطين والموحدين يتطلب الاهتمام ببناء المساجد عبر كل حواضر المناطق التي أصبحت تابعة لهم⁴ ومنها المغرب الأوسط.

وتشير الدراسات والتراجم وكتب التاريخ أن هذه المعاهد العلمية قد توفرت بكثرة أيام الموحدين⁵، فقد اهتم الموحدون بتشيد المساجد حتى كان يتوجه بالوعيد الشديد للمناطق التي

¹ - محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2007، ص124.

² - عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني، المرجع السابق، ص35.

³ - بلبشير عمر: المرجع السابق، ص259.

⁴ - ديب صفية: المرجع السابق: ص238-239.

⁵ - شفيق لامة: مجالس العلم والمناظرة بالمغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين: أطروحة لنيل لنيل شهادة الدكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء 2011، 2012، ص179.

التي لا يوجد فيها مساجد حتى بلغت في فاس وحدها سبعمائة واثنين وثمانين مسجداً¹، وبلغت أكثر من سبعين مسجداً بتلمسان.

ولعل المغرب الأوسط كان محظوظاً بوجود عبد المومن بن علي الذي ينتمي إليه فهو القائد والخليفة الذي أعطى للمغرب الأوسط حقه من الاهتمام في هذا المجال المعرفي، خاصة رسم تحفيظ وتدريس القرآن والكتابة، فالإلزامية وإجبارية التعليم للذكور والإناث² من شأنه أن يساهم في دعم الحركة العلمية والفكرية في بلاد المغرب الأوسط³ ففي سنة 540هـ أمر هذا الخليفة ببناء أسوار تاجرة مسقط رأسه وشيد الأسوار وحصن المدينة وبنى جامعها، في سنة 555هـ، عاد من فتح المهديّة والبطحاء نواحي الشلف وأمر ببناء مساجدها التي كانت لها الأولوية والتي خصها بالاهتمام البالغ حتى تسهل عملية التعليم وتعميمه⁴ وخلال الفترة الزيانية نجد أن الحركة المعمارية قد ازدهرت، وما المساجد والمدارس والقصور التي بنيت إلا مظهراً لما بلغته هذه الدولة من رقي حضاري وفكري وعلمي⁵ وعلى هذا الشكل استمرت المساجد في القيام بوظائفها بالمغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية فكان المسجد الجامع يمثل بحق معهداً للتعليم، وقد لا نبالغ أنه أصبح في مستوى القرويين، في المغرب

¹ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 179.

² - Mouloud Kaid : les berbers dans l'histoire de Ziri a Hammad, tome 7, Edition Mimouni 2009, p160.

³ - محمد المختار إسكندر: صفحات مشرقة ومجهولة من أكبر شخصيات ندرومة في القرن السادس الهجري: عبد المومن بن علي، المتلقي المرجع السابق ص 28.

⁴ - محمد الصوفي: نشاط عبد المومن بن علي في التطبيق السياسي والعمراني في العصور الوسطى: المتلقى الثاني حول تاريخ ندرومة 1998 ، ص 60-61.

⁵ - صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 85.

الأقصى، والزيتونة في المغرب الأدنى، والأزهر بالقاهرة¹، حيث كان هذا المسجد الأعظم في تلمسان الزيانية منبرا لالتقاء الملوك والأمراء يحضرون فيه المجالس العلمية والمناظرات الفقهية والجلسات الشعرية، فقد ورثت المملكة الزيانية آثار عمرانية عديدة منذ الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط حتى قيام هذه الدولة ومن ذلك المساجد التي بنيت منذ عهد الأدارسة ومن بعدهم المرابطين ثم الموحدين² وعلى العموم فإنه خلال فترة الموحدين والزيانيين كان التركيز في الدراسة داخل المساجد على ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر وتدعيم الحركة التعليمية والتربوية بحيث أصبحت المساجد موزعة بالمغرب الأوسط وظلت منهلا لطلبة العلم والحلقات إلى ما بعد القرن السابع الهجري³ كما وجدت مساجد أخرى بالمغرب الأوسط في تيهرت وقلعة بني حماد وبجاية وقسنطينة وبسكرة وطبنة والتي مثلت منابر هامة للفكر والعلوم والمعارف المختلفة.⁴

وبعد هذا العرض البسيط الذي تطرقنا فيه إلى التعريف بالمساجد وأهميتها في الإسلام وعند مختلف دويلات المغرب الإسلامي، لا بد من الوقوف على بعض المساجد كنماذج في المغرب الأوسط ومنها المسجد الكبير بتلمسان والذي يعود تأسيسه إلى الأمير المرابطي⁵ يوسف بن تاشفين، فقد أنشأ المرابطون مساجد عدة بالمغرب الأوسط نذكر منها

¹ - الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تلمسان 2004، 2005، ص 107-108.

² - الأخضر العبدلي، المرجع السابق، ص 108.

³ - بشير رمضان النابلسي، المرجع السابق ص 388.

⁴ - Alfred Bel, La religion en berberie (exquise d'histoire et de la sociologie régélieuse librerie orientale, paris 1938, tome1, p102.

⁵ - إن تاريخ تأسيس هذا المسجد يعود إلى عهد المرابطين استنادا إلى التاريخ الذي ورد ذكره النقش التأسيسي بالقرب من المحراب، مبارك بوطالب: العماثر الدينية في المغرب الأوسط، مؤسسة كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر 2011. ص 90.

جامع ندرومة والجامع الكبير بالجزائر بني مزغنة وجامع تلمسان¹، حيث كانت نشأته حوالي 468هـ/1075م، على يد الأمير يوسف بن تاشفين²، وجاء تشكيله بشكل معماري بسيط قد يكون ذلك حسب طبيعة وخصوصية المرابطين البدوية، قبل تأثرهم بالفن المعماري الأندلسي وزخرفته، وبالفعل فإن المسجد الكبير بتلمسان عرف تغيرات³ في شكله الداخلي. لكن هذا المسجد مسته يد الإنسان بالتخريب مع دخول الموحدين إلى تلمسان وقد جاء هذا التخريب نتيجة الحصار الذي فرض على تلمسان عام 539هـ/1144م ليعرف ترميما من قبل الموحدين بعد تخريبه، لكن أهم تلك التغيرات التي أدخلت على المسجد التي جاءت خلال الفترة الزيانية⁴.

كان هذا المسجد الكبير بتلمسان لا يختلف مكانة وأهمية عن القرويين بفاس⁵ والزياتونية بتونس والأزهر بالقاهرة، فقد سطر لغرض ديني وتعليمي، وبذلك تحولت تلمسان إلى قبلة لطلاب العلم والعلماء والأدباء والشعراء خصوصا عندما أصبحت تلمسان مركز هام للموحدين وعاصمة المغرب الأوسط⁶. فلا يمكن أن تخلو حواضر وبوادي المغرب الأوسط من المساجد طيلة الفترة التي ندرسها وما بعدها.

¹ - لقد أشرف على بنائه القاضي أبو الحسن علي بن عبد الرحمن، يحيى بوعزيز، مدينة، المرجع السابق، ص104.

² - الزرقي شرقي: المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بتلمسان، نشر ابن خلدون، تلمسان 2013، ص42، عبد الحميد حاجيات، دراسات، ص ص213-214.

³ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص117-122.

⁴ - شرقي: المرجع السابق، ص44، الناصري: الإستقصا، المرجع السابق، ج2، ص65.

⁵ - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص22، اسماعيل العربي: دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص66.

⁶ - ديب صافية: المرجع السابق، ص238.

3- الرباطات:

أ- تعريفها ونشأتها:

الرباط في اللغة بكسر الراء هو ملازمة ثغر العدو، وهو منحوت من رباط الخيل أي إعدادها لجهاد العدو لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾¹ وفي الاصطلاح الرباط دار حصينة كان العرب يقيمونها لأغراض حربية ودينية في مناطق الثغور على الحدود الفاصلة ما بين الدولة الإسلامية وما يجاورها من الدول الأخرى لدفع الغارات ورد الاعتداءات التي كانت تقوم بها الجيوش المعادية، ولكن أثناء فترة السلم واستقرار الأوضاع كانت تلك الرباطات تصبح أماكن ومراكز للعبادة والدرس.²

فالرباط والمرابطة هو ملازمة ثغر العدو، والمرابط يطلق على من يلزم الدفاع عن أرض المسلمين ضد الأعداء³. فصد الغارات أو القيام بفتوحات على أساس الجهاد في الإسلام وغالبا ما تكون على تخوم دار الإسلام وفي آخر تلك الديار.

فالرباط هو المواظبة على الأمر والإقامة على جهاد العدو، وقيل الرباط الزاهد والراهب⁴ فالآية السابقة فسرت على أساس جهادي ببذل النفس والمال، وأخرى تعبدية

¹ - سورة الأنفال، الآية 60.

² - مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت 1996 ص205.

³ - فهد سالم خليل الراشد: الرباط والمرابطة دار الجائزة للنشر والطباعة والتوزيع الجزائر 2011، ص45 -محمد خرماش، دور المراكز التقليدية في الإشعاع الثقافي بالمغرب مجلة الحضارة الإسلامية عدد2، أبريل 1996، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، ص168.

⁴ - ابن منظور: المصدر السابق ج7، ص303.

بملازمة حفظ حدود الشريعة، فمصطلح الرباط يكون قد جمع بين العبادة الجهاد فيصبح المرابط هو الزاهد والعابد والحارس لثغور المسلمين.¹

أما اصطلاحاً فقد يعني احتباس النفس في الجهاد والحراسة فهو مكان للتعبد والجهاد مع المداولة والالتزام فهي تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم وتجبره على الطهارة والصلاة والجهاد في سبيل الله.²

أما إذا ذهبنا إلى نشأة الرباطات فنقول أنه ابتداءً من أواخر القرن الثاني الهجري³ بدأ ظهورها على يد الوالي هرثمة بن أعين الذي أسس رباط المنستير سنة 181هـ-797م بطرابلس الغرب، وبعد ما ظلت تلك السواحل تتعرض للغارات البيزنطية بعد فتح العرب لها، فاستوجب ذلك تحصين الثغور للتصدي لأي محاولة هدفها الغزو البري أو البحري لأراضيها⁴ والذي كان دائماً يخلف أضرار وخسائر على المناطق الساحلية، فأهمية الرباطات قد ازدادت وتأكدت قدراتها على حماية بلاد المسلمين. أنشأت الكثير من الرباطات على

¹ - الجليلي كريم، الرباطات والرباطات بالمغرب من خلال كتاب التشوق لابن الزيات التادلي، مجلة دعوة الحق ع395 مطبعة الأمنية الرباط 2010، ص15-16 بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، صص412-413.

² - ابن منظور: المصدر السابق ج7، ص303. - إسكان الحسين: الدولة والمجتمع في العهد الموحي أطروحة لنيل أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب فاس 2001، ص47.

³ - الحسين إسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-7هـ) (157م) سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 2، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية المملكة المغربية 2004، ص151.

⁴ - حسين خضير أحمد، المرجع السابق، ص282.

طول سواحل المغرب الإسلامي حتى بلغت ألف رباط¹ وقد تضاعفت أيام المرابطين والموحدين والزينيين.

فدولة المرابطين التي قامت على أساس ديني ورد ذكر رباط عبد الله بن ياسين على نهر السنغال بعد أن تعرض إلى مضايقة القبائل التي رفضت تعليمه لهم مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة، فتحول من هذا الرباط إلى معلّم التف حوله عدد كبير من الطلبة والمؤيدين لأخذ الدروس وتعلم العقيدة الصحيحة، فكان يرشدهم إلى محاربة البدع والانحرافات التي كانت قد انتشرت بين قبائل المرابطين. فالتعليم والتفقه والجهاد حصل في الرباط.²

واستمر الوضع على هذا الحال حتى تمكن حبه من قلوبهم فلم تمر عليه إلا مدة قليلة حتى كثرت أعداد المؤيدين والطلبة عنده³ وهناك توزعت حياتهم بين دراسة أمور الدين وممارسة التقوى.⁴

وقد ظلت الرباطات حصنا منيعا على كل سواحل المغرب الإسلامي كما قلنا زمن المرابطين والموحدين ثم الزينيين فهذه الدول عرفت بدورها في الجهاد ونشر الإسلام وحفظ ثغور ديار المسلمين من هجمات الأعداء المتكررة على سواحلها.

¹ - عفيفي محمد: المرجع السابق، ص 282.

² - ديب صافية: المرجع السابق، ص 252-253. - فقد اضطر إلى اتخاذ رباط في جزيرة منعزلة ليعلم فيها أصحابه المبادئ الدينية الصحيحة فصار يعلمهم كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وما فرض الله عليهم من ذلك، - حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 449.

³ - إسماعيل زروخي: التيارات السياسية والدينية في الجزائر في العصر الوسيط منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، 2007، ص 175.

⁴ - ألفرد بل: الفرق الإسلامية، المرجع السابق، ص 231.

ولم تتواجد الرباطات فقط على السواحل بل أحيانا¹ وجدت على المناطق الداخلية وفيما يخص المغرب الأوسط فقد ورد في المصادر توزع هذه الرباطات على السواحل الشرقية والغربية له وهي إشارة إلى أن هذه المنطقة ظلت مستهدفة من قبل العدو منذ فجر التاريخ لاستغلال خيرات وثروات هذه المنطقة من المغرب الإسلامي، فالأطماع على المغرب الأوسط كانت ولا تزال قائمة حتى اليوم، لذلك ظلت طلائع الفتح الإسلامي تنطلق من الرباط الموجودة على سواحل المغرب الإسلامي² كله وتستخدم لمراقبة السواحل. ولكن هل الرباطات استخدمت فقط في هذا المجال.

ب_ دورها الفكري:

لقد وصفت الرباطات بأنها على شكل بناية- ثكنة- بالمصطلح الحديث، تكونت من صحن ومن عشرات الغرف الانفرادية، ومن جامع وصومعة للآذان، مخصصة أيضا لمراقبة السواحل ووضع الإشارات النارية بالليل بمثابة علامات مشتركة بين الأربطة المنتشرة على سواحل المغرب الإسلامي.³

وأحيانا يكون الرباط على شكل بناء فخم أو بسيط أو مجرد كوخ أو خيمة أو حتى كهفا أو مغارة، إذ يتوقف ذلك على الهدف من المرابطة وعدد المرابطين، وقد يطلق عليها أحيانا اسم المسجد والبرج والمنظرة والحصن والقلعة والقصر⁴ من أجل الحراسة والمراقبة.

فمع بداية نشأة الرباط بالمغرب الإسلامي أو بالمشرق فإن المغاربة استخدموها في أغراض تعليمية وعلمية زيادة على دورها الجهادي ضد المسيحيين الأوربيين منذ فترة

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص188.

² - التليسي: الاتجاهات، المرجع السابق، ص417.

³ - الكعك: المرجع السابق، ص17، حسين خضري: المرجع السابق، ص202.

⁴ - الجيلالي كريم: المرجع السابق، ص16.

المرابطين والموحدين، فقد كانت تلك الرباطات مؤسسات تعليمية وتعبدية ساهمت في ترسيخ فكر وتعاليم المرابطين والموحدين خاصة وسط الفئات الاجتماعية المختلفة.

وقد نلاحظ التحوّل في الوظيفة للأربطة ما بعد المرابطين إذا كانت وظيفتها الأساسية تتركز في العبادة وما يرتبط بها من تعلم مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة أما فترة الموحدين وما بعدها فقد أصبحت وظيفة الرباط الأساسية، الجهاد والتعليم وربما خدمة الفكر التومرتي ومذهب الدولة الموحدية¹.

ونحن إذا حاولنا التطرق إلى الرباطات بالمغرب الأوسط سواء الساحلية منها أو الداخلية فإننا سنذكر عددا هاما منها: رباط ابن ييكي ببجاية² وأخرى خارج باب أمسيون ببجاية³ للفقير ابن زكريا الزواوي ورباط تلمسان كما اشتهرت بونة أيضا بوجود الرباطات على سواحلها منذ العهد الزييري فالحمادي ثم الموحد⁴ إلى جانب الرباطات التي وجدت في بلاد المغرب الإسلامي مثل رباط المنستير بافريقية ورباط هرغة ببلاد السوس ورباط أصيلا وتازة والفتح ورباط تعيس الذي ارتبط بدولة المرابطين⁵. فأدوار ومهام الربط في المغرب الإسلامي تتنوع وتعدد، فهو المؤسسة والمدرسة، والتي يكون فيها المرابط بمثابة المعلم والمرشد والموجه

¹ - علي عشي: المرجع السابق، ص 110.

² - كمال السيد: المرجع السابق، ص 110. - محمد حسن العيد روسي: المرجع السابق، ص 593.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص 143، المهدي البوعبدلي: مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة كلية الشريعة قسنطينة ع7، أبريل 1972،

⁴ - المهدي البوعبدلي: جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور، مجلة الأصالة، ع34-35، 1976، ص 211.

⁵ - عفيفي: المرجع السابق، ص 283.

لجميع فتدريس العلوم المختلفة وغرس الأخلاق والهمم في نفوس الطلبة والمريدين على اختلاف جنسهم وأوطانهم يكون على عاتق المرابط.¹

ولم تقتصر أهمية ودور الرباطات فقط على تعليم المريدين أو البسطاء، بل حتى العلماء والفقهاء كان لهم نصيب آخر فيها، أما بزيارتها أو الإقامة فيها كما كان الحال مع ابن تومرت بعد رجوعه من المشرق في طريقه إلى المغرب فقد اجتمع بتلميذه عبد المومن بن علي في رباط ملالة وهناك بدأ ينشر أفكاره ويرسم خطته²

وعلى العموم فإن الربط بالمغرب الأوسط عامة ظل يرتبط بمهنة التعليم لأن زعماء وشيوخ تلك المؤسسات كانت لهم مهام ورسالة يجب تبليغها دينيا وثقافيا وسياسيا فقد كانت الرباطات بمثابة مجامع لتدريس العلوم وتلاوة القرآن وأماكن للحث على الجهاد ضد كل الأخطار التي كانت تهدد المغرب الإسلامي من الداخل أو من الخارج³، وغير بعيد عن ما ذكرناه فقد كان للربط أنشطة أخرى كصناعة الحبر والورق لمساعدة الطلبة، ونسخ المصاحف وكتب الفقه والحديث وشعر المواعظ، حيث يتم توزيعها عليهم، وهناك ملاحظة نشير إليها فيما يخص تزايد انتشار الرباطات على سواحل المغرب الأوسط⁴، بعد القرن الخامس هجري على خلاف النشاط البحري الواسع وربما يعود ذلك إلى الظروف السياسية التي كان يعيشها المغرب في ظل الشيعة الذين سيطروا على المغرب الإسلامي بعد سقوط رقادة وتيهرت ونظرا للسياسة الفاطمية ومحاولاتها فرض المذهب الشيعي في بلاد المغرب

¹ - حسين خضري: المرجع السابق، ص203، الكعك: المرجع السابق، ص17.

² - المهدي البوعبدلي: مراكز الثقافة، المرجع السابق، ص53. حسن علي حسن: المرجع السابق، ص65. محمد بن معمر: المرجع السابق، ص343.

³ - نور الهدى الشريف: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2000، 2001، ص32.

⁴ - الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص54-55.

الإسلامي بالقوة ومحاربتها لأهل السنة ومطاردتها وقتل علماء المالكية، فقد دافع علماء السنة ورجال الدين بقوة الشيعة المتطرفة وحاربوا عقيدتهم وتحولوا إلى عناصر تقاوم الشيعة واستمر هذا الوضع إلى تاريخ مغادرة الفاطميين لأرض المغرب الإسلامي وهذا ربما من أسباب قلة الرباطات والتي لم يكن مسموحا بوجودها خلال هذه الفترة خوفا من تأليف وتجميع العامة ضدهم خصوصا وأن الشيعة الفاطميين كانوا يعلمون دور وأهمية شيوخ الرباطات، وهذا لا يخدم السياسة الفاطمية فأكد أنهم ناصبوهم العداة وربما العامل الثاني الذي يفسر قلة الربط قبل القرن الخامس وهو قوة الأسطول البحري الذي ملكه الأغالبة والفاطميون والذي كان يهاجم المدن والجزر الأوربية في البحار ومن خلال ذلك فقد تحولت الموانئ المغاربية إلى مواطن انطلاق عمليات الفتح الإسلامي باتجاه أوربا المسيحية، غير أن هذا التفوق الإسلامي البحري سيتراجع إبتداءا من القرن الخامس الهجري، وتتحول القوة إلى أوربا التي أخذت تبحث عن السبل للوصول إلى بلاد المغرب الإسلامي، وهذا ما عزز تواجد الرباطات على سواحل المغرب الأوسط تحسبا لأيّ مواجهة مع المسيحيين وبذلك فقد تحولت تلك الرباطات الممتدة من شرشال شرقا إلى ندرومة غربا إلى نقاط للمراقبة وتابعة تحركات العدو. أما خلال فترة الموحدين فإن الأسطول البحري زاد من قوة هذه الدولة ولم تعد هناك رباطات لهذا الغرض بل ستقتصر على دورها التعليمي والتربوي.

ورأيت من الضروري الوقوف أو الإشارة إلى تلك العلاقة بين الرباط والزواوية. فكلاهما لعبا دورا هاما في نشر الثقافة والتعليم لكل الطلبة الذين وجدوا بتلك المراكز عبر كامل بلاد المغرب الإسلامي.¹ فالرباط كان دوره التدريس والجهاد والعبادة، لكن إبتداءا من عصر الموحدين فقد حدث الانفصال فكانت الرباطات بمثابة الأم²، وابتداءا من القرن السابع

¹ - علي عيشي: المرجع السابق، ص ص: 110. 111.

² - محمد عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص: 40، عثمان الكعال: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب، معهد الدراسات العالمية، ص: 52.

الهجري أخذ الرباط في الاختفاء وحلّت محله الزاوية، وذلك بحكم التحولات والتغيرات التي حدثت في منطقة المغرب الإسلامي ونعني بذلك تمكن و ترسيخ المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي بعيدا عن المواجهات والصراعات مع أي عقيدة أخرى، ثم أن الموحدين أصبحوا من القوة بمكان لرد أي خطر أجنبي مسيحي أو غيره بعدما امتد نفوذ سلطانها إلى الأندلس، وبعد زوال هذه الدولة وظهور بدلها¹، الدويلات المعروفة. وهم بنو حفص بالمغرب الأدنى، وبنو زيان بالمغرب الأوسط، وبنو مرين بالمغرب الأقصى، واحتدام الصراع بينهم على الزعامة والتوسع لم يعد من أهمية للرباط وظهرت بدله الزوايا² كوريث به فاستمرت في القيام بوظائفها الدينية والتعليمية فقط، والتي لم تكن تختلف كثيرا عن الرباط. والخلاصة أن الرباط والمرابطة قد شكلت أداة فعالة لغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في بلاد المغرب الإسلامي عامة.

كما ساهمت في تعميم التعليم الديني والعلمي والصوفي وتحولت إلى مراكز لنشر الحضارة والدفاع على أراضي المسلمين.

ج - موارد الأربطة:

لقد كانت الأربطة ملجأ لفئات شعبية واسعة ومختلفة ظلت تتردد عليها والتي كانت تحتاج إلى إمكانيات مادية كبيرة لتوفير متطلبات ومستلزمات واحتياجات طلبة العلم، والمريدين، فكانت الهبات من ذوي الإحسان وما يوجد به البعض الآخر كلها تسخر لإطعام وتحسين المعيشة للطلبة، فتموين عملية التعليم لا شك أنها تتطلب مصادر متنوعة و دائمة.

¹ - الحسن أسكان: تاريخ التعليم، المرجع السابق، ص: 86. 87. ينظر أيضا علي عيشي: المرجع السابق، ص: 11.

² - اعتماد على عنوان الدراية، فإن الزاوية قد يعود ظهورها إلى أواخر القرن السادس الهجري في شمال افريقية بعد ظهورها في المشرق و هي متولدة عن الرباط الذي كان معروفا منذ القرن الأول الهجري في شمال افريقية. الغبريني: المصدر السابق، ص50 - ينظر أيضا: ابن مرزوق، المصدر السابق، ص.24

فبالنسبة للأوقاف والتي تسمى أيضا الأحباس وربما تصنف على أنها أهم موارد التعلّم خلال تلك الفترة ويرجع الفضل إليها في دعم والمحافظة على استمرار التعليم من خلال ما توفره الأوقاف. ففي كثير من الأحيان كانت توقف لها الأوقاف من قبل الأمراء والحكام لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات¹، ثم الإنفاق على كل المؤسسات التعليمية الموجودة من المساجد والكتاتيب والرباطات والزوايا الموجودة في المدن الكبرى كجاية وتلمسان وغيرها.² ولهذا فقد كثرت الأحباس عليها لتقوم بوظيفتها على خير وجه³.

وكانت الإعانات تذهب لصاح العلماء المدرسين لتسديد رواتبهم ومساعدة الطلبة وكل من يسهر على خدمة هؤلاء.⁴

وإلى جانب الأوقاف نجد الهيئات والإعانات من طرف الأمراء والحكام الذين كانوا في قمة السخاء والعطاء مع الطلبة والعلماء كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول⁵، كما لا يمكن تجاهل دور أهل الخير من المحسنين المحبين للعلم والعلماء لتشجيعهم على بدل الجهد وإعانتهم، وحتى أموال الجزية التي كانت تجمع توجه لفئات الطلبة وخدمة المؤسسات

¹ - الونشريسي: المعيار، ج7، المصدر السابق، ص171.

² - عادل عبد العزيز: المرجع السابق، ص64.

³ - كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص177.

⁴ - عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص21

⁵ - علي ابن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص31 وما بعدها. بوزيان الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993، ص221.

التعليمية خلال تلك الفترة¹. فكل هؤلاء الطلبة وجدوا كل الاهتمام والمعاملة الحسنة من قبل الدولة والتي أغدقت عليهم المنح والعطايا.²

¹ - محمد حسن العيدروسي: المغرب العربي في العصر الاسلامي، دار الكتاب الحديث ط1 القاهرة، 2008، ص538.

² - نفسه، ص545.

العلوم الدينية:

لقد تميزت الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي عموماً خلال فترة القرنين (6-7هـ) (12-13م) بتقدم ملموس وواضح فيما يخص العلوم الدينية باعتبار أن الحركة الموحدية كانت إصلاحية دينية فكان القصد من ورائها تحقيق أغراض دينية خالصة ومحاربة الفساد والجهل الذي سيطر على عقول الناس.¹

فقد عرفت العلوم الدينية اهتمام كبير من طرف الموحدين فشجعوا مثل هذه العلوم وجعلوا القرآن والسنة المصدرين الأساسيين لاستنباط الأحكام²، إذن هناك طابع ديني للموحدين جعل تأثيرهم كبير في تطور العلوم الدينية حتى ازدهرت حركة التأليف خلال هذه الفترة المدروسة فكتب التراجم لا تكاد تخلو من ذكر العلماء الذين برزوا في هذا المجال.³

¹ - عبد الله كنون: المرجع السابق، ص 100.

² - فمن الخطأ اعتبار القرآن مجرد كتاب يبشر بعقيدة جديدة والأصح أنه أسس لحضارة انسانية بلغت أوج رقيها وعطائها وازدهارها خلال العصور الوسطى، انتجت قمة التطور الفكري والاجتماعي والروحي. بشير رمضان التليسي، جمال هاشم، المرجع السابق، ص 259.

³ - إذ نجد مثلاً كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، الذي يمثل ثروة عظيمة في تراجم الرجال والأعلام وآثارهم عبر التاريخ، يقع في 29 مجلداً ترجم فيه صاحبه لأكثر من 12000 ترجمة. صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، ج1، تحقيق أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث التاريخي للطباعة والنشر 2000، ص7. لقد عرف المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة (6-8هـ) (12-14م) حركة تأليف واسعة النطاق شملت مختلف أنواع العلوم، ظلت تدرس عبر المساجد والزوايا المتواجدة في حواضر المغرب الأوسط، ابن قنفذ: الوافي، المصدر السابق، ص5.

1. علوم القرآن:

كانت هذه العلوم مجالات للدراسة في مراكز الثقافة الإسلامية وفي العالم الإسلامي كله¹ وهذه العلوم هي القراءات، التفسير، الحديث وعلوم الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام.... وقد زاد اهتمام أهل المغرب الأوسط بهذه العلوم منذ فترة المرابطين وظل هذا الاهتمام قائماً إلى فترة الموحدين والزيانيين² وما بعدها.

أ- علم القراءات:

ويأتي في مقدمة هذه العلوم التي اهتم بها المسلمون باعتبار هذا العلم طريق إلى تفسير وفهم القرآن ولم يخرج الموحدون ولا الزيانيون عن هذا الإطار منذ عهد محمد بن تومرت الذي فرض على أتباعه قراءة حزب من المصحف كل يوم³ وكذلك حافظ خلفاء المهدي على هذه العادة، فعبد المومن الخليفة كان معظماً للدين وسندا قويا في تنفيذ أحكامه وتعاليمه، فكان يلزم أتباعه بترك الهوى والهزل والاهتمام بالعلوم الدينية⁴ ونظرا لكثرة العلماء يتعذر علي ذكر كل هؤلاء ولذلك اقتصرنا على بعضهم، نجد أبو الحسن علي بن عبد الله بن خلف الأنصاري درس على يده، وجلس إليه الكثير من الطلبة والفقهاء من كل جهات العالم الإسلامي لغزارة علمه، وقد عرف عنه الحديث والتفسير والتجويد والقراءات، فرغب

¹ - محمد حسن العيدروسي: المرجع السابق ص 566 - 567، القاهرة، 2008، ص 566-567. فالعلوم القرآنية من تفسير، قراءات وحديث كان المنبع والمصدر الذي يستمد منه أهل المغرب الأوسط، عقيدتهم ومناهج حياتهم وأنواع تفكيرهم وهذا ما يفسر كثرة انتاج هذه العلوم، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الاسلامي 1998، ص9.

² - عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ ج3، العهد الإسلامي، المرجع السابق، ص340-341.

³ - عبد الله علي علام، المرجع السابق ص294، حسن علي حسن: المرجع السابق ص471-472. -

ابن أبي زرع، القرطاس، المصدر السابق: ص115.

⁴ - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص469.

الناس الأخذ عنه، ومن مؤلفاته التي اشتهر بها "ري الضمان في علوم القرآن" في سبعة وخمسين جزء¹ ت570هـ كما برز في دولة الموحدين في هذا المجال أبو بكر يحيى بن محمد بن خلف، الهوزني الإشبيلي والمقيم بسبته والذي توفي عام 602هـ / 1205م، والعالم علي بن محمد بن يوسف اليابري الضرير المتوفى سنة 617 / 1220م، والذي كان أستاذا لأبناء الخلفاء في القراءة والتجويد.²

فعلم القراءات هو العلم الذي يعرف به كيفية أداء كلمات القرآن اختلافاً واتفاقاً³، أو هو معرفة القراءات المشهورة وكيفية أداء الحروف، ويضاف إليه فن رسم حروف القرآن في المصحف بهدف ضبط نصوص القرآن الكريم، وهناك قراءات مختلفة وعديدة لكن المشهور منها لدى عامة الناس في بلاد المغرب الإسلامي⁴ خلال الفترة المدروسة والتي كانت تلقن لطلبة العلم قراءة نافع⁵ وهي قراءة أهل المدينة والتي رويت عن نافع بعدة طرق وبواسطة رواة متعددين أشهرها بالمغرب والأندلس آنذاك رواية ورش.¹ الذي قرأ على نافع².

¹ - ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، السفر الخامس، ص 237.

- الجليلي سلطاني: الشعر الديني على عهد الموحدين، رسالة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي القديم، كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران 2001، 2002، ص45.

² - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص484.

³ - إبراهيم، محمد المغني، دليل الحيران على مورد الضمان في فن الرسم والضبط باعتبار قراءة الإمام نافع، لمحمد بن محمد الشريف الخراز، دار الكتب، الجزائر، (د-ت) ص10.

⁴ - كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج2، ص

⁵ - هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي أصله من أصبهان انتهت إليه القراءة فيها وهو أحد القراء السبعة المشهورين فقد أقرأ الناس نيفا وسبعين، توفي 169هـ، ينظر شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي، غاية النهاية في طبقات القراءة تحقيق برجستراسر ج2، ط1، =

لقد برز الكثير من القراء في المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة سأحاول أن أقف على بعضهم.

- محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، القلعي³: الذي توفي عام 581هـ- 1185م، فهو المقرئ والنحوي، كان حسن القراءة، محبوباً من طرف الجميع بما في ذلك الأمير أبو عبد الله بن عبد المومن وإلى بجاية، وقد التقى في قلعة بني حماد بعدة مشايخ منهم الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي، وأبو الحسن علي بن شكر بن عمر القلعي وأخذ عن المقرئ أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، وقد انتقل إلى بجاية واستقر بها وقرأ بها وجمع حوله الكثير من الطلبة.

- أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي: والذي كان معاصر للمعافري، كان مسقط رأسه المسيلة، ثم ترعرع ونشأ في بجاية، وكان من أصحاب الصوفي أبا مدين

=دار الكتاب العلمية لبنان 2006، ص330- بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي ج5، مطابع دار المعارف، 1973، ص2.

¹- شفيق لامة: مجالس العلم والمناظرة بالمغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2011، 2012، ص130. هو الإمام عثمان بن سعيد بن عدي بن غروان بن سابق الصري ولقبه ورش، رحل إلى المدينة للقراءة على نافع مولى ابن عمر فقرأ عليه ختمات من القرآن سنة 155هـ، ثم رجع إلى مصر فكان شيخ القراء.- محمد باي بلقاسم: الجذور التاريخية لرواية ورش في بلاد المغرب، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر جويلية 2007، ص ص41-42.

²- هو نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي، حليف حمزة بن عبد المطلب، يعد أحد الأئمة القراء السبعة الذي وقع عليهم الاتفاق، كان عالماً صالحاً مجاب الدعوة، إمام في علم القراءات، قرأ عليه الإمام مالك القرآن، انتهت إليه رئاسة الأقرء بالمدينة، محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص42.

³- الغبريني: المصدر السابق، ص140، علي عشي: المرجع السابق ص200.

شعيب الاشبيلي وكان معجبا بأبي حامد الغزالي ومن تأليفه، "التفكير فيما تشمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" على نهج كتاب الأحياء للغزالي وكلامه فيه أحسن من كلام الغزالي وأسلم، يدل على إحاطته بعلمي الباطن والظاهر معقولا ومنقولا¹ توفي عام 581هـ-1185م.

- أبو محمد يوسف بن مفرج بن سعادة الاشبيلي:² لقد برز في العلوم الدينية وهو الفقيه والمقروء والضابط والمجود والملم بالرواية يسمى أحيانا التلمساني بالإقامة فقد جلس إليه الكثير من الطلبة والفقهاء يتعلمون منه فقه القراءات كيف لا، وهو الذي تتلمذ على يد أبي بكر العربي بن العربي، فتخرج على يده الكثير من علماء القراءات³ توفي عام 600هـ-1203م.

- محمد بن عبد الرحمن التيجيبي أبو عبد الله: نزيل تلمسان الذي توفي سنة 610هـ-1214م أخذ القراءات عن معلمه أبي أحمد بن معط، وأبو الحجاج الثغري، لم يكتف بذلك ورحل إلى بلاد المشرق لمواصلة طلب العلم⁴ والبحث عن شيوخ للاستفادة منهم. كما نجد عالم آخر برز في العلوم النقلية وهو: محمد بن أحمد بن الحجام التلمساني: الذي تعلم القراءات السبع على يد أبي العباس الأعرج، ثم انتقل إلى فاس بالمغرب الأقصى وهو المولود بتلمسان سنة 558هـ، وفيها قرأ القراءات السبع على يد الأعرج توفي بمراكش

¹- الغبريني: المصدر السابق، ص66-72، أحمد التتبتكتي: المصدر السابق، ص167. عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص177.

²- ابن مريم: المصدر السابق، ص227.

³- يحيى بن خلدون: المصدر السابق ص129، ابن مريم، المصدر السابق، ص227.

⁴- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص303.

بالمغرب الأقصى سنة 614هـ، 1217م¹ وقد كان زاهدا أديبا، واعظا ألف كتابا سماه "حجة الحافظين ومحبة الواعظين"².

- **أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني:** المتوفى عام 625هـ، فهو الفقيه والمقرئ محدث ومتكلم من أهل تلمسان، جلس لطلب العلم عنده خير علمائها منهم أبو علي بن الخراز وأبو الحسن أبي قنون، ثم انتقل إلى فاس ومراكش واشييلية هذا الكومي تولى القضاء ببلده مرتين كان حافظا محققا حسن السيرة شاركا في الفقه الحديث عارفا بروايته من مؤلفاته "الإقناع في كيفية الإسماع"³.

- **ابن عفرأ محمد بن عبد العزيز:** وعنه حمل القراءات محمد بن عبد الله القلعي المتوفى 611هـ-1214م وقد جلس للأستاذية ببجاية وأقرأ الناس وانتفعوا به، وكان يعاصره ببجاية أحمد بن محمد المعافري والذي استفاد منه خلق كثير، وله كتاب: "التيسير للداني في القراءات السبع" كما وجد أيضا بالمغرب الأوسط علماء كان لهم الفضل في تدعيم هذه العلوم الدينية كأحمد بن محمد الصدفي المتوفى سنة 674هـ، وله كتابا في قراءة ورش.⁴

- **أبو عبد الله القرطبي:** محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري 578هـ-671هـ (1183-1273م) عرف بزهدة وصلاحه وغزارة، علمه من أهم مؤلفاته،

¹ - التادلي: المصدر السابق، ص339-340، عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص346.

² - علي عشي: المرجع السابق، ص202.

³ - الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص80، عادل نويهض: المرجع السابق، ص77، عمار هلال: العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3-14هـ) ديوان المطبوعات الجامعية (د-ت) ص21.

⁴ - شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب الأقصى، موريطانيا، السودان ط1، دار المعارف، مصر 1995، ص97.

"الجامع لأحكام القرآن" وإلى جانبه نجد شخصية أخرى من المغرب الأوسط كان لها أثر في هذا المجال وهو **أبو عبد الله الشاطبي**: فهو الآخر كان ملما بعلم القراءات متقنا لها استقر ببجاية لوقت طويل من أجل الدراسة، فكان إلى جانب القراءات يجيد الشعر وله معرفة بالنحو واللغة¹، كما لحق أيضا بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة فئة أخرى من العلماء قدمت من الأندلس نذكر منهم أبو عثمان بن سعيد الأندلسي والذي كان إماما في القراءات وقد توفي سنة 654هـ. وأبو العباس ابن خضر: **الصدفي** إمام القراءات والرواية، توفي ببجاية سنة 674هـ²

ويستمر عطاء علماء المغرب الوسيط خلال القرن السابع الهجري و13 ميلادي في ميدان العلوم الدينية ومن ذلك:

- **سعيد بن علي بن زاهر**: نزيل بجاية وأقرأ بها الطلبة، ومحمد بن صالح الكناني، المتوفى سنة 699هـ، (1297م) والذي عمل كإمام بمسجد بجاية أكثر من ثلاثين سنة (30)³، ومنهم أيضا **أبو العباس المعافري**: والذي توفي في القرن السابع الهجريين فهو أحمد بن محمد بن عبد الله الفقيه والمقرئ تنقل بين قلعة بني حماد وبجاية وعندها لقب المؤرخ ابن حماد الصنهاجي وألف كتاب التيسير⁴.

- **أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الخزرجي أبو العباس**: فقيه مالكي ومقرئ ومحدث ومن أكابر القضاة ولد ببينسية ثم انتقل إلى بجاية وأصبح قاضيا بها⁵.

¹ - عبد القادر بوحسون: المرجع السابق، ص 60-63.

² - عبد الله عنان: مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط، مجلة الأصالة ع13-أبريل 1973 مطبعة البعث قسنطينة ص196.

³ - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 97.

⁴ - حاجيات: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 343.

⁵ - ابن قنفذ: الوفيات، المصدر السابق، ص 334.

- إبراهيم بن يحيى التجيبي: وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى التجيبي كان فقيها كما برز في علوم أخرى وكان مقرئ ومفتي وقد انتفع بعمله الكثير من الطلبة طيلة حياته¹، له مؤلف عنوانه "شرح الخلاق" في عدة مجلدات، توفي عام 633هـ (1235م).

- عبد الله بن محمد الفهري: هو أبو محمد عبد الله بن محمد الفهري ولد بتلمسان عام 567هـ، 1172م ثم انتقل إلى المشرق فاستقر بمصر ليواصل دراسته وتلقى العلوم على أيدي كبار العلماء في الفقه والأصول ثم توجه إلى القراءة هناك حتى وفاته عام 644هـ-1246م

كما يبرز خلال هذه الفترة عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس أبو محمد الزواوي: يوصف بأنه شيخ مشايخ القراءة² بدمشق، ولد بنواحي بجاية وانتقل شابا إلى مصر ودرس بالإسكندرية على يد أبي القاسم بن عيسى، وبالقاهرة على أبي العز محمد بن عبد الخالق، وكان على رأس مشيخة الإقراء، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام توفي عام 681هـ.

وإلى جانب هؤلاء نذكر أيضا: إبراهيم بن يوسف بن محمد وجيه الدين أبو الفرج البوني: فهو محدث ويعد من كبار المقرئين من أهل بونة، رحل إلى المشرق فاستقر بدمشق وتولى الإمامة بها، عرف عنه الإخلاص والصدق ومساعدة الناس وقضاء حوائجهم³، فقد كان حيا عام 612هـ-1215م.

¹ - محمد الطمار: المرجع السابق، ص 78.

² - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 162.

³ - المرجع نفسه، ص 48.

- **علي بن محمد التلمساني**: الذي كان حيا سنة 677هـ (1279م) المعروف بالضرير الكتامي يعرف بابن الخضار فهو الإمام والمقرئ من أهل تلمسان فقد قرأ بها على يد عبد الكريم التلمساني وانتقل إلى سبته وقرأ بها واشتهر بأحكام القراءات وحفظها.¹ ومن المقرئين نذكر **محمد بن محمد الحسين الخشي** من فقهاء بجاية وعلماؤها في وقته، وقد اعتمد عليه قاضي بجاية محمد بن إبراهيم الأصولي وقال عنه الغبريني، أن له خط رائع ورواية ومقروءات.²

كما ورد ذكر عدد من العلماء الذين اجتهدوا في تطوير هذه العلوم بالمغرب الأوسط ك**الحسن بن عبد الله بن ويحات أبو علي الراشدي التلمساني** والذي نشأ بها وكان من كبار المقرئين وأعلمهم بمواضيع الوقف من الآيات، وقد رحل إلى مصر ومات هناك حوالي 685هـ، 1286م، ومن بينهم أيضا: **عتيق بن محمد أبو بكر الردائي** فهو يعد شيخ الإقراء بقلعة بني حماد، رحل هو الآخر إلى دمشق فقرأ على الأهوازي وعلى بن نفيس وقرأ عليه محمد بن محمد بن معاذ الاشبيلي.³

ننتهي إلى أن علم القراءات هو علم يبحث في الاختلاف⁴ في القراءات⁵ المتواترة لألفاظ القرآن الكريم وحروفه وفائدته صونا لكلام الله تعالى من التحريف، وقد عرف اهتماما متزايدا

¹ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص73.

² - الغبريني: المرجع السابق، ص252- عادل نويهض: المرجع السابق، ص133.

³ - نفسه، ص148.

⁴ - يؤدي هذا التباين إلى سهولة حفظ القرآن وتيسير نقله على هذه الأمة، بشير رمضان التليسي، جمال هاشم: المرجع السابق، ص262.

⁵ - محمد ساعد السنجاري: الأفكاني، إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد تحقيق محمد فاخوري، محمد كمال حسن، ط1، مكتبة لبنان 1998، ص54.

ووجد رعاية من ولاة الأمر خلال الفترة التي ندرسها من قبل أهالي المغرب الأوسط، فقد صار علم القراءات علما منفردا تناقله الناس بالمشرق والأندلس وكانت العناية به بالغة¹.

¹ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 278.

ب- التفسير:

يأتي التفسير في المرحلة الثانية بعد القراءات، وقد زادت أهمية التفسير بعد أن دخلت شعوب وقوميات الإسلام، وليس من السهل عليها فهم كل معاني القرآن والظروف التي نزلت فيها السور والآيات، لذلك لا بد من شرح كلام الله تعالى ليفهمه جميع الناس، ويمكن أن نقول بأن التفسير¹ هو العلم الذي يعرف به نزول القرآن وأسباب نزوله وترتيب الآيات حسب نزولها بالمدينة المنورة أو بمكة وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومجملها وحلالها وحرامها وأمرها ونهيها²، فيصح لنا أن نقول بأن التفسير هو الكشف والإظهار والبيان بحيث يصبح الكلام لا يعتره الغموض والضبابية.³

فالقرآن هو المصدر الأول للتشريع، وليس من الممكن أن تعم فائدته ونستخلص عبره دون فهم مضمونه، لقد كان التفسير في بادئ الأمر فرعا من علم الحديث ولذلك ظهر في مجاميع الحديث الكبيرة بجانب موضوعات الفقه.⁴

¹ - "أما التفسير فأعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمون ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا، جملا وآيات، آيات والتفسير صنفين، تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين، والصنف الثاني من التفسير هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة..." ابن خلدون، المقدمة المصدر السابق ص446.

² - تهانوي محمد ابن علي ابن القاضي: كشف إصلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان، الناشر بيروت، 1996، ص335.

³ - مجموعة أساتذة، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أو لنوفمبر 1954، سنة 2007 ن ص129-130.

⁴ - كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص7.

فقد اتخذ المسلمون في تفسير القرآن اتجاهين يعرف أولهما بالتفسير المأثور عن النبي (ص) والثاني التفسير بالرأي، أي الاعتماد على العقل أكثر من النقل.¹

فجمهور المفسرين المغاربة والأندلسيون ساروا على نهج المأثور عن النبي (ص) وصحابته، وتجنبوا طريق العقل والتأويل الذي التزمه الشيعة والمعتزلة²، فالتفسير يتطلب علما ومعرفة دقيقة وقد ورد أن الرسول (ص) لم يكن يفسر إلا القليل من الآيات وكذلك أصحابه والتابعين من بعدهم.³

لقد اهتم علماء المغرب الأوسط والأندلس خلال فترة الموحدين والزيانيين اهتماما كبيرا بالقرآن الكريم وعلومه، فكانوا يتدارسونه في الكتاتيب والمدارس والمساجد، وقد استقدمت الدولة الموحدية العلماء من الأندلس⁴ للإستفادة من علومهم بالمغرب نظرا للمكانة الحضارية التي وصلتها الأندلس آنذاك، والتفوق الكبير لهؤلاء على المغاربة في عدة مجالات، مما سمح بظهور عدة مفسرين في المغرب الأقصى والأدنى، فرحل إليهم الكثير من الطلبة للترود بالعلوم من مختلف نواحي المغرب الإسلامي نذكر منهم أبو الحسن علي بن محمد التيجيبي المراكشي صاحب كتاب "اللب المقفل على فهم القرآن المنزل" وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمران المزدغني، صاحب مؤلف "تفسير القرآن الكريم"⁵ وقد عرف هذا العلم منذ العصور الأولى لاتصال علماء المغرب بالمشرق والرحلة إليه فعادة ما كان طلبة العلم يعودون محملين بالعلوم الشرعية ومن ضمنها علم التفسير.

¹ - عبد الله علام، الدولة الموحدية، المرجع السابق، ص271، عبد العزيز فيلالي. المرجع السابق ص437.

² - عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ص396.

³ - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، 437، ينظر ابن مريم، المصدر السابق، ص219.

⁴ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص279.

⁵ - عبد الله علام: المرجع السابق، ص298، محمد المنوني: العلوم، المرجع السابق، ص44.

ومن التفاسير التي اشتهرت عند المغاربة خلال فترة الموحدين تفسير أبو عبد المعروف "بابن زنين" الفقيه المالكي ومن الوعاظ الأدباء من أهل البيرة له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ منها "أصول السنة" "منتخب الأحكام" تفسير القرآن¹ كما ظهرت خلال تلك الفترة مجموعة من المفسرين كابن عطية الغرناطي² وأبو بكر العربي صاحب "أحكام القرآن" وعبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي ت608هـ ألف في تفسير القرآن وفسر مشكل الكتاب والسنة³ ثم يأتي كتاب الكشاف للزمخشري (467هـ-538هـ).⁴

وكتاب "التفضيل" للمهدوي وكتاب "الوجيز في شرح كتاب الله العزيز" لعبد الحق الغرناطي⁵ وفي عصر المنصور الموحي كان يدرس تفسير "ابن برجان عبد السلام بن عبد الرحمن الإفريقي الصوفي" الذي روي عنه عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي نزيل بجاية.⁶

¹ - ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص207، شفيق لامة: المرجع السابق، ص132.

² - في كتابه الوجيز في شرح كتاب الله العزيز والذي كان أكثر شيوعا وذبوعا بين الناس ويقول فيه ابن خلدون وجاء محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحني -ابن خلدون، العبر، ج1، المصدر السابق ص471، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ص438.

³ - محمد المنوني: حضارة ..، المرجع السابق، ص33.

⁴ - من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجج على مذاهبهم الفاسدة لكن المحققين من أهل السنة حذروا منه واعتبروه إنحراف ينبغي الاحتياط منه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة -ابن خلدون، المقدمة: المصدر السابق، ص447-448.

⁵ - عثمان الكعاك: موجز، المرجع السابق، ص208.

⁶ - محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحي، أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب (580-595هـ) ط2، المطبعة الملكية الرباط 1996، ص197.

وفي بجاية بالمغرب الأوسط¹ قامت نهضة بفضل دروس الإمام المحدث **عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي** وتلاميذه حتى صارت بجاية صلة الوصل بين الأندلس والشرق.²

وقد أقدم المغاربة على التفسير بمحاولات عديدة فقد ألف **محي الدين بن عربي الأندلسي** تفاسير كثير بلغت أحيانا الستين، وتفسير آخر في ثمانية أجزاء على طريقة المفسرين، ولا يعرف على وجه الدقة هل تمت عملية التأليف في الأندلس أم أثناء تواجده ببجاية، ونعثر على عدد من المفسرين الذين دخلوا المغرب الأوسط واستقروا به نذكر منهم الفقيه الفيلسوف **أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي** (580هـ-1185م) المسمى أبا حامد الصغير جمع بين العلم والعمل والورع وبين علمي الظاهر والباطن له المصنفات الحسنة أهمها "التفكر فيما تشمل عليه السور والآيات والمبادئ والغايات"³.

ونجد أيضا **أبو الحسن التجيبي الحرالي** (638هـ) صاحب مؤلف "مفتاح الباب المقفل عن فهم القرآن المنزل" وقد عرف عنه الاجتهاد والنشاط الدائم في المسجد الجامع ببجاية⁴

¹ - وأهم الكتب المتداولة في علم التفسير كتاب الكشاف والبيان لابن اسحاق الثعالبي وكتاب أحكام القرآن للقرطبي، وكتاب التفصيل للمهدي وكتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز. عثمان الكعاك: موجز المرجع السابق ص208

² - محمد الرشيد: المرجع السابق، ص133، أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله، ج1-2، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1989، ص156-157.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص66.

⁴ - محمد الشريف سيدي موسى: الحياة الفكرية في بجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13-16هـ) رسالة ماجستير، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2001، ص116.

كما برز خلال هذه الفترة العالم أبو محمد الكبير محمد بن عيسى بن محمد بن بقي الغافقي الاشبيلي المتوفى 617هـ كان معتنيا بعلوم القرآن، ترك مصنفا في التفسير سماه "الجمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية" أضاف إليه زيادات شملت آيات الأحكام¹ ومن ورجلان ظهر عالم اقتحم مجال العلوم النقلية هو الآخر يدعى أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الذي يعتبر من أشهر فقهاء الإباضية وعلمائها وقد ارتحل إلى الأندلس وأخذ الكثير من علمائها ثم عاد إلى مسقط بورقلة واستقر بها، ترك لنا مؤلفات هامة أهمها "تفسير القرآن الكريم"²

كما عثرت على تراجم لعدة علماء وفقهاء من المغرب الأوسط تركوا مؤلفات عديدة في هذا الميدان نذكر منهم أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي والذي عاش في القرن السابع الهجري، فهو الفقيه الواعظ، رحل إلى المشرق والتقى بعدد من العلماء منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ صدر الدين سليمان الحنفي وشرف الدين السبكي وشمس الدين الأصفهاني عالم بالفقه وأصول الفقه وأصول الدين وله مشاركة في علم المنطق وعلوم العربية وتكلم على تفسير كتاب الله وحديث الرسول (ص).³

ومن وهران نعثر على علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك، النحوي واللغوي الشاعر والمفسر الذي كان حيا سنة 615هـ، وقد سمع منه يوسف بن خليل الدمشقي من مؤلفات بن المبارك، تفسير القرآن الكريم.

¹ - ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، المصدر السابق، ج4، ص234-235، الجيلالي سلطاني: المرجع السابق، ص46.

² - خالد بلعربي: دراسات وأبحاث في التاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي للمغرب الإسلامي في العصر الوسيط حامل بيداغوجي قسم التاريخ جامعة سيدي بلعباس 2005-2006، ص55.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص200.

وفي عنوان الدراية يذكر لنا الغبريني شخصية أخرى اسمه أبو محمد عبد الحق الأزدي الاشبيلي المتوفى سنة 628، والمذكور آنفا فهو القاضي المحدث والعالم وقد برز في علوم القرآن وعلم الحديث وعلم الأصول والنحو والأدب والتاريخ والأدكار، وله مآثورات كثيرة وقد لخص كتاب "تاريخ الطبري" ومن جملة من أخذ عنه القاضي العالم أبو عبد الله محمد بن عبد الحق ابن سليمان التلمساني وغيرهم¹ وإلى جانب هؤلاء نجد أسماء أخرى وردت في التراجم دون ذكر تاريخ ميلادها أو وفاتها كما هو الحال مع عبد الرحيم بن علي بن إسحاق بن مروان القرشي البوني الفقيه والمشارك في بعض العلوم² ويحيى بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني الذي كان حيا عند سنة 652هـ فهو يعد من الوعاظ والفقهاء بتلمسان كما سكن الإسكندرية وسمع بمكة من أبي الحسن بن البناء من آثاره تفسير القرآن الكريم وكتاب في الرقائق³ وأيضا نجد عبد الله بن محمد بن عمر بن عيادة القلعي، عالم مالكي باحث ومشارك في عدة علوم.⁴

ومن العلماء بجاية كذلك أبو محمد عبد الحق إبراهيم بن محمد المرسي المنوفي حوالي 662هـ له علم وحكمة وعرف بلاغته وفصاحته، له مشاركة في معقول العلوم منقولها.⁵

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 193.

² - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 51.

³ - المرجع نفسه، ص 83.

⁴ - الغبريني: المصدر السابق، ص: 180، عادل نويهض: المرجع السابق، ص: 266.

⁵ - التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 184.

2- علم الحديث:

الحديث أو السنة هو ما أثر عن النبي "ص" من قول أو فعل أو تقرير لشيء¹ رآه، وتأتي مكانة الحديث عند المسلمين مباشرة بعد القرآن، وصعوبة الحديث أنه لم يدون في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لنهي عن ذلك خوفاً من اختلاطه بالقرآن الكريم، لذا كان القرآن مدوناً عند وفاة الرسول، وإن لم يكن قد جمع، بينما كان الحديث غير مدون ولكنه كان يروى وحفظ في صدور الرجال مما صعب فيما بعد جمعه وحصره²، فلم يكن في عصر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار من تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين أولهم أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن الكريم، وثانيهما لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ولأن أكثرهم لا يعرفون الكتابة. ونتيجة لما أصاب المسلمين من اختلاف وصراع وعدم الاستقرار واختلاط العرب بالأقوام الأخرى وانتشار الإسلام في مناطق جديدة، ثم الإبتعاد عن تعاليم الإسلام وبداية تحريف أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هو ما جعل جملة من العلماء يشرعون في تصحيح الأحاديث النبوية مما مسّها من تحريف سواء بالزيادة أو بالنقصان، ووضع قواعد ومعايير للتمييز بين الحديث الصحيح والحديث الضعيف وهو ما يظهر من خلاله علم الحديث، تولاه المحدثون والحفاظ، وقد شملت هذه العملية السند والمتن، لقد نال الحديث الشريف الدرجة القصوى من اهتمام علماء المسلمين بعد القرآن الكريم إذ هو أحد أصليين قام عليها التشريع الإسلامي³ ولم تكن كل مصادر الحديث محل ثقة المسلمين بل اختار العلماء ممن صحّت روايته واتصل سندها ولم يتعرض رجالها للطعن ومن هذه المصادر

¹ - حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج1، ص411.

² - بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص447-450+ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت 2007، ص8.

³ - حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص411.

الصحيحان البخاري¹ (194هـ/256هـ)، الذي قام برحلته الطويلة سنة 210هـ في طلب الحديث، فزار خرسان والعراق ومصر والشام. وكان من أوعية العلم يتوقد ذكاء ولم يخلف مثله ذكاء²، وقد إلتزم في نقل الأحاديث التي أوردها فيه أعلى درجات الصحة، واشترط لنقلها شروط خاصة. ومسلم³.

¹ - هو أبو عبد الله بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري مولدا ووطنا، فقد كان أول المتجهين من أفراد عائلته إلى دائرة النور فغير منهج آيائه في الحياة وشارك في الحركة العلمية مختارا أهم جوانبها في عصره وهو جانب خدمة الحديث النبوي فقد عرف بالورع والتقوى فرحل إلى كبار الأئمة لأخذ العلم والحديث النبوي عنهم، ونال بالتقوى في الرواية والأمانة العلمية ثقة النقاد والمحدثين، له مؤلفات كثيرة منها الجامع الصحيح، الأدب المفرد، القراءة خلف الإمام، كتاب الضعفاء، بر الوالدين، الجامع الكبير، وكتابه الجامع الصحيح، أولاه عناية كبيرة فانتقاه من ست مائة ألف حديث وكان لا يكتب حديثا إلا إذا اغتسل وصلى ركعتين واستخار الله وتيقن من صحته لأنه أراد أن يكون حجة بينه وبين الله فهو حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله "ص". أحمد الشنواني، رحل البخاري إلى شيوخ الحديث في مختلف البلاد فذهب إلى البصرة، بغداد، الكوفة، مكة، المدينة، الشام، حمص، عسقلان، مصر. محمد عجاج الخطيب: الوجيز في علم الحديث ونصوصه، المؤسسة الوطنية للفنون، المطبعية، الجزائر 1989، ص276، - فهرسة محمد بن قاسم: المصدر السابق، ص68.

² - ابن العماد شهاب الدين الحنبلي الدمشقي (1032-1089م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، حققه محمد الأرنؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق 1988، ص252.

³ - هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري (204-261هـ) (820-875م)، رحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق وأشهر كتبه صحيح مسلم والمسند الكبير، والجامع مرتب على الأبواب والكنى والأسماء والأفراد والوحدات وتسمية شيوخ مالك وكتاب المخضرمين وكتاب أولاد الصحابة فهو الحافظ من أئمة المحدثين، شوقي أبو خليل: أطلس الحديث النبوي، دار الفكر بدمشق، 2005، ص12 - شوقي أبو خليل: أطلس السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، 2003، ص236. - ابن العماد: شذرات، المصدر السابق، ص272. - محمد عجاج الخطيب، المرجع السابق، ص290.

وأبو داود¹، وصاحب السنن الترميذي²، وصاحب الجامع ابن ماجة³، والنسائي⁴ صاحب السنن، ومالك بن أنس صاحب الموطأ⁵ وهو كتاب حديث ممزوج بالفقه ويعد المصدر

¹ - هو سليمان الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (202-275هـ) (817-889م) إمام أهل الحديث في زمانه رحل إلى بغداد والبصرة وبعض العواصم الإسلامية له السنن جمع فيه 4800 حديثاً وله المراسيل في الحديث وكتاب الزهد - شوقي أبو خليل، أطلس السيرة، المرجع السابق، ص236. - ابن العماد: شذرات، المصدر السابق، ص313. - محمد عجاج الخطيب، المرجع السابق، ص285.

² - هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترميذي (209-279هـ) (824-892م) كانت ولادته في أوزباكستان الحالية يعد من أئمة علم الحديث وحفظته تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه زار عدة دول كخرسان، العراق، الحجاز، عمي في آخر عمره وكان يضرب به المثل في الحفظ من تصانيفه، الجامع الكبير المعروف باسم صحيح الترميذي والشمال النبوية والتاريخ والعلل، شوقي أبو خليل: أطلس الحديث، المرجع السابق، ص14. - ابن العماد: المصدر السابق، ص327. - محمد عجاج الخطيب، المرجع السابق، ص287.

³ - هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الربيعي القزويني (209-273هـ) (824-887م) من أهل قزوين تنتقل بين بغداد والبصرة والشام ومصر والحجاز في طلب الحديث وتمكن من تصنيف كتابه سنن ابن ماجة الذي فيه حوالي 4341 حديثاً منها 3002، حديث في الكتب الخمسة الصحاح، شوقي أبو خليل نفسه ص237. - ابن العماد: المصدر السابق، ص308. - محمد عجاج، المرجع السابق، ص291.

⁴ - هو أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن سنان بن بحر بن دينار (215-303هـ) (830-915م)، القاضي والحافظ وهو المعروف بصاحب السنن جال في عدة بلدان واستوطن مصر فجسده مشايخها فخرج إلى الرملة بفلسطين ودفن ببيت المقدس وله السنن الكبرى في الحديث وله الضعفاء والمتروكون في رجال الحديث وخصائص علي ومسند مالك، شوقي أبو خليل: أطلس السيرة، المرجع السابق، ص237. - ابن العماد: المصدر السابق، ص15. - محمد عجاج، المرجع السابق، ص289.

⁵ - ولد مالك بن أنس على أرجح الروايات سنة 93-785م ينتمي إلى دوي أصبح وهم قوم من اليمن وقد أسلم قومه في عهد الرسول "ص" وكان أهل بيته يعينونه على الحديث واستطلاع أخبار الصحابة وفتاويهم وقد توارثوا الفتاوى خلفاً عن سلف فأنس يكون قد ولد في أسرة اشتهرت بالرواية فجده مالك =

الأول للمذهب المالكيين وأخذ المذهب يكتمل على أيدي تلامذته فأرسوا، أركانه وقواعده،
فذلك يدل على مكانة¹ الإمام مالك في الحديث والفقه² وعلى كل فإن الحديث عرف تطورا
ونهضة نظرا لاهتمام الموحدين به اهتماما كبيرا، ظهر ذلك من خلال استدعائهم للمحدثين
من الأندلس إلى جانب المحدثين المغاربة وبذلك نال أهل هذا العلم مكانة واحتراما في ظل
الدولة الموحدية.³

=بن أبي عامر كان من كبار التابعين روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأم المؤمنين عائشة
وقد اتجه الغمام مالك بعد أن حفظ القرآن كشأن كثير من المؤمنين وبعد أن تفحص بالعربية اتجه إلى
طلب علم الرواية ومع علم الرواية الفقه. يعتبر أقدم كتب السنة وأصحها رتبته صاحبه على الأبواب
الفقهية وقد سمعه منه خلق كبير، فهرسة محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي القصار، ت1012هـ،
تحقيق، عبد المجيد خيالي: دار ابن رزاق للطباعة والنشر، الرباط 2015، ص65.

وفي الكتاب مجموعة من الحديث النبوي وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم تمس شؤون الحياة
ونظامها حتى منتصف القرن الثاني للهجرة أي الثامن ميلادي ويبدو أن تسمية الموطأ كانت تعبيراً عن
الحاجة العلمية والعملية إلى مؤلفات ميسرة سهلة يجد فيها الناس حاجاتهم من الأحكام القانونية العامة
والخاصة التي يطمنون إلى مطابقتها لتوجيه الدين الذي يقدم القرآن خطوطه الكبرى ويتولى الرسول "ص"
بيانه ويحتفظ أصحابه منه بما رأوا وسمعوا، أحمد الشنواني، المرجع السابق، ص14-18. - ينظر:
الذهبي: سير أعلام، النبلاء، المصدر السابق، ص3145.

¹ - اشتهر مالك بعلمه ومروءته وكرمه وعزة نفسه، وتوقير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى
طلابه في مجلسه كأن الطير على رؤوسهم. كان موضع احترام من العلماء والأمراء والخلفاء، ألف كتاب
الموطأ الذي اشتهر بين أهل العلم، وقد توخى فيه القوي من أحاديث أهل الحجاز، محمد عجاج
الخطيب: المرجع السابق، ص293-295.

² - صالح يوسف بن قرية: أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى،
للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص65.

³ - محمد المنوني: حضارة... المرجع السابق، ص35.

فمحمد بن تومرت-المهدي- الخليفة الموحي¹ وإمامهم الأول كان محدثا حافظا للحديث لكنه استند إلى أحاديث من نسيج الشيعة ليبرر مبادئ الإمامة والمهدوية التي اعتمدها ابن تومرت خلال فترة حكمه إضافة إلى الأحاديث الصحيحة التي أخذها عن الإمام مالك من خلال كتاب الموطأ بعد أن جردها من الأسانيد² فمحمد بن تومرت يعد مصدرا للحديث في دولة الموحدين³ ولما كان ابن تومرت صاحب مشروع إصلاحى ودعوة دينية هادفة فقد اعتمد توجهها يختلف عن المرابطين.⁴

ومثله أيضا أبو يعقوب يوسف الذي كان يحفظ أحد الصحيحين⁵ وربما يكون البخاري، فكان هذا الخليفة يحفظ متون الأحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا ويقول عنه ابن أبي زرع: وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوى وكان الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر⁶ وهو الذي صنف كتابا جمع فيه متون الأحاديث الصحاح تتعلق بالعبادات سماه "الترغيب"⁷ فيما كان المأمون حافظا للحديث ضابطا للرواية وضح عنه أنه كان يداوم على قراءة كتب: الموطأ والبخاري وسنن أبي داود.⁸

¹ - كان لابن تومرت تضلع في كثير من العلوم، كالفقه والأصول والحديث وعلم الاعتقاد والكلام، ابن أبي زرع، الأنيسي: المصدر السابق، ص181.

² - عبد الله علام: المرجع السابق، ص289.

³ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص237- جيلالي سلطاني، المرجع السابق، ص475.

⁴ - عبد الحق الطاهري، ابن تومرت والمذهب المالكي مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة عموم الأوقاف الرباط المغرب، ص88.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص155، عبد الله علام: المرجع السابق، ص300.

⁶ - ابن أبي زرع، الأنيس، المصدر السابق، ص102.، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص102.

⁷ - ابن أبي زرع، الأنيس، المصدر السابق، ص102.

⁸ - المصدر نفسه، ص249.

والخلاصة أن خلفاء الموحدين بعد ابن تومرت إبتداءاً من عبد المومن ومن تبعه ظلوا مهتمين بالحديث، لكن هناك اختلاف بينهم حول المهدوية والإمامة وبالتالي افتراق بعد اتفاق، فقد بدأ يوسف عهده بالابتعاد عن أحاديث الشيعة المهدوية إلى الأحاديث الصحيحة عند أهل السنة ومع وصول ابنه يعقوب المنصور أصبح أكثر خلفاء الموحدين اهتماماً بالدين بدل إنكار أحاديث المهدوية بل ذهب إلى أبعد من ذلك إذ لم يعترف بالإمامة والعصمة التي سيلغيها ابنه المأمون ولم يعد يذكر أو يسمع ما عرف بالمهدوية خلال الخطب والمراسيم وهو الآخر اعتبر ضمن حملة الحديث.¹

وأما بالمغرب الأوسط وبالخصوص في بجاية وتلمسان وباقي حواضر المغرب الأوسط في فترة الزيانيين كانت هناك عدة كتب تدرس في هذا المجال تذكر موطأ الإمام مالك ت 179هـ-796م، جامع ابي عبد الله محمد بن اسماعيل النجاري، ت256هـ، 869م، ومسند كتاب مسلم بن الحاج 261هـ-874م وجامع أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت 303هـ، 915م، وكتاب الاستنكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عمر عبد البر النمري القرطبي ت 463هـ، 1070م، وكتاب وارث الباجي ت474م، 1081م²، المختار الجامع بين المنتقى والاستنكار لأبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني³.

¹ - السلاوي، الاستقصاء... ج2، ص212، ابن أبي زرع: الأنيس، المصدر السابق، ص249، عبد الله علام: المرجع السابق، ص301.

² - عبد القادر بوباية، طرق التدريس، مجلة عصور الجديدة العدد 1ع جانفي 2011، مجلة فصلية يصدرها مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر جامعة وهران، ص54، عثمان الكعاك: موجز ، المرجع السابق، ص208.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص26.

وبعد هذا العرض البسيط والذي من خلاله استعرضت مكانة علم الحديث في المغرب الأوسط في ظل الموحدين والزيانيين وقد وصلت إلى خلاصة مفادها الاهتمام الكبير الذي أعطي للحديث خلال الفترة المذكورة (ق6-7هـ) (12-13م) وقد كان وراء هذا التطور عدد كبير من الفقهاء والمحدثين ساقف عند ذكر بعضهم.

- **يعقوب بن حماد الاغماتي:** هو أبو يوسف يعقوب بن حماد الأغماتي أصله من أغمات رحل على الأندلس فدرس جامع الترميذي بمرسية عام 511هـ، 1117م عن أبي علي الصفدي ثم انتقل إلى تلمسان واستقر بها وكان مدرسا بجامعة العنق سنة 523هـ¹

- **الصيقل موسى بن عيسى بن علي أبو عمران:** من فقهاء المالكية محدث حافظ للحديث ولد ونشأ وتعلم بتلمسان ثم رحل إلى الأندلس وقد أخذ عن القاضي المحدث أي الصفدي المتوفى سنة 514هـ، 1120م، وقد توفي هذا المحدث سنة 514هـ-1120م وهو من العلماء الذين عاشوا في الأندلس، كما نجد آخر يسمى **يحيى بن عيسى بن علي أبو الحسن المعروف بابن الصقيل** فهو أيضا حافظ للحديث ومن فقهاء المالكية فقد روى عن أبي علي بن سكرة وقد وصف بالعدل والصالح والراوي للحديث.²

- ونجد أيضا **ابن غزلون** المتوفى سنة 524هـ فهو أبو جعفر أحمد بن علي الأندلسي، انتقل إلى المغرب الأقصى، ثم نزل بتلمسان، روى الحديث عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، ونبغ في الحديث وجلس إليه العديد من الطلبة نقلوا عنه الحديث.

¹ - ابن عبد الله المراكشي، الذيل... السفر8، المصدر السابق، 425.

² - عبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية ع1، 1993، ص37 ينظر، خالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالمغرب الإسلامي من التأسيس إلى نهاية القرن السابع مجلة الحضارة الإسلامية وهران، ع3، أبريل 1996، ص119.

- ونبقى في تلمسان حيث نجد أبو محمد بن خليفة بن أبي عرجون ذو الأصل التلمساني قال عنه ابن بشكوال: كان يميل إلى الحديث ويحفظ كثيرا منه وكانت له اهتمامات بعدة علوم من عصره، رحل إلى الأندلس وتولى هناك القضاء¹ سنة 534هـ

- كما برز المحدث موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري أبو عمران فهو المحدث والحافظ سكن دلس²، رحل إلى الأندلس وأقام بها منذ سنة 535هـ إلى 540هـ درس الحديث باشبيلية من أبي بكر بن العربي وهي قرطبة من أبي عبد الله بن أصبغ وابن مسرة بالمرية من عبد الحق ابن عطية ثم عاد إلى المغرب الأوسط وحدث وأخذ الناس عنه³ توفي سنة 579هـ-1193م، وغير بعيد عن دلس نلتقي بعبد الله بن إبراهيم بن عيسى المتيجي الفقيه المالكي والمحدث ولد وتعلم بمسقط رأسه متيجة، رحل إلى الإسكندرية واستقر بها وحدث الناس بها، فقد كان من أهل العلم والحديث صالحا وثقة توفي بالإسكندرية سنة 625هـ، 1228م.⁴

وفي تلمسان نعر على أبو عمرو عثمان بن صاحب الصلاة كان من أهل العلم والدين وقد تولى مهنة القضاء، بتلمسان وهو شارح كتاب الأحكام الصغرى في الحديث لعبد

¹ - رمضان شاوش: باقة السوسان، المرجع السابق، ص79، عمار هلال، العلماء: المرجع السابق، ص22.

² - تدليس أو دلس، مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثين ميلا من شاطئ البحر المتوسط، تحيط بها أسوار قديمة متينة سكانها ذوو بشاشة ومرح يملكون أراضي زراعية كثيرة وتتبع دلس دائما عاصمة المغرب الأوسط في كل شيء حكومة وإدارة، حسن الوزان: المصدر السابق، ص17.

³ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص285.

⁴ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص358. - الإمام شهاب الدين الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، المصدر السابق، ص299.

الحق الإشبيلي المشهور بابن الخراط توفي عثمان سنة 542هـ / 1147م¹، فكان من أهل الدنوب والإصلاح².

وغير بعيد عن تلمسان نجد عالما آخر اسمه عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري المتوفى سنة 561هـ 1174م والذي يعد إماما في الحديث وله دراية بفقهِ الحديث وفي نفس المنطقة نجد شخصية أخرى اهتم بالأدب والحديث والتاريخ حيث نظم الآلي في فتوح الأمر العالي سنة 569هـ وله مجموع في غريب الموطأ فقد كان هو الآخر من حفظة الحديث³.

وأقصى جنوب المغرب الأوسط نجد أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (500-570هـ) يعد من أشهر فقهاء الإباضية وعلمائها والذي ألف كتاب سماه "ترتيب مسند الربيع بن حبيب في الحديث النبوي"⁴ عرف برحلاته المتعددة.

ومن تيهرت برز عبد الله بن منصور أبو محمد الذي يعد محدثا وقد كتب الكثير مجال الحديث رحل إلى المشرق وسمع الحديث هناك توفي سنة 553هـ-1158م⁵.

كما برز عالم آخر من قلعة بني حماد اسمه أبو عبد الله محمد بن علي ابن الرمامة (478هـ. 567هـ (1085م. 1171م) والذي نشأ في قلعة بني حماد وتعلم فيها الفقه والحديث عن أبي النحوي ثم انتقل إلى بجاية وتتنقل بين الأندلس وفاس حيث ولى

¹ - محمد رمضان شاوش، المرجع السابق، ص80.

² - ابن خلدون يحيى: المرجع السابق، ج1، ص108.

³ - البيهقي: المصدر السابق، ص85.

⁴ - عبد الحميد حاجيات: دراسات المرجع السابق، ص176، عادل نويهض: المرجع السابق، ص341،

عمار هلال: المرجع السابق، ص23.

⁵ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص:60

القضاء هناك سنة 536هـ وقد ألف كتاب "التقصي من فوائد التقصي" كان يميل إلى المذهب الشافعي.¹

ومن الذين اهتموا أيضا بالحديث جابر بن احمد من أهل تلمسان والذي كان صاحب لغة وأدب محبا للحديث وتحصيله، توفي بتلمسان حوالي 578هـ. 1182م.²

وفي بجاية نجد عبد الحق الأشبيلي البجاني المتوفى 581هـ. 1185م، والذي استقر في بجاية قادما إليها من الأندلس بعد انقراض دولة المرابطين، عرف بغزارة عمله ومعرفته بالحديث وقد اشتهر بمؤلفاته التي جعلت منه منارة علمية بالمغرب الأوسط مما جعل الكثير من الطلبة ينتقلون إليه لطلب العلم والجلوس عنده فهو الفقيه المالكي³، وظل يخطب في الجامع الأعظم ببجاية⁴، له تأليف كثيرة منها كتاب "المرشد" يتضمن أحاديث مسلم وكتاب "المعتل من الحديث"⁵، وكتاب "الجمع بين الصحيحين" وكتاب "كفاية الكفاية في علم الرواية"⁶، كما شرح عثمان بن صاحب الصلاة كتاب "الأحكام الصغرى في الحديث" الحديث" وهو تأليف آخر لعبد الحق الإشبيلي⁷، وفي بجاية نعثر أيضا على الفقيه أحمد بن

¹ - ابن الآبار، المصدر السابق، رقم 1710. حاجيات، دراسات، المرجع السابق، ص، 176. عادل

نويهض، المرجع، ص: 153. المبارك الميلي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص: 400.

² - ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص: 7.

³ - التنبكتي، المصدر السابق، ص: 279.

⁴ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص: 193.

⁵ - ابن الآبار التكملة، المصدر السابق، ص: 648.

⁶ - ابن فرحون، المصدر السابق، ص: 277، خالد الصمدي، المرجع السابق، ص: 119.

⁷ - يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص116. الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص168.

حاجيات: دراسات، المرجع السابق، ص177.

عبد الصمد الخزرجي القرطبي توفي سنة 582هـ. 1186م فهو الآخر نزيل بجاية تفوق في حفظ الحديث والاهتمام به.¹

ونختم القرن السادس الهجري بالمرور على أشير حيث وجد موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري، فهو محدث وحافظ للحديث، وقد استوطن دلس ثم رحل إلى الأندلس لمواصلة طلب العلم وأقام هناك لمدة خمس سنوات فجمع علوما من عدة شيوخ في اشبيلية، قرطبة والمرية، ثم عاد إلى المغرب الأوسط حيث توفي هناك في دلس سنة 589هـ. 1193م.²

كما نجد يحيى بن أبي بكر بن عصفور أبو زكرياء العبدري التلمساني 571هـ. - 646هـ / 1175م - 1248م، فهو المحدث ومن كبار علماء المالكية في وقته من أهل تلمسان، وعلي بن طاهر بن تميم القيسي أبو الحسن يعرف بابن محشره حافظ محدث عاش في القرن السادس الهجري وهو من فقهاء المالكية رحل إلى الأندلس لدراسة الحديث روي عن أبي بكر غالب بن عطية وغيره وروى عنه ابن أخته محمد بن علي بن الرمامة³. وأخيرا شيخ المريدين وإمام المتعبدين أبو مدين شعيب المتوفى سنة 594هـ 1197م فهذا الحافظ للحديث والذي كان متأثر بالترميدي ويحفظ جامعة وقد قرأ الحديث على يد شيخه عبد القادر الكيلاني في الحرم الشريف⁴. وكان يلزم كتاب الأحياء ويعكف عليه وترد عليه

¹ - ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج 1، ص 240. التبتكتي: كفاية المحتاج، ج 1، ص 72.

ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 10. ابن مريم: المصدر السابق، ص 108.

² - عمار هلال: المرجع السابق، ص 23. 24.

³ - الغبريني: عنوان الدراسة، المصدر السابق، ص 53. عبد الملك المراكشي: صلة الصلة، المصدر

السابق، ص 148. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 288.

⁴ المقري: المصدر السابق، ج 7، ص 137.

الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت وله مجلس وعظ يتكلم فيه، فقد جمع الله له علم الشريعة والحقيقة.¹

وقد تواصلت وتيرة هذا التطور العلمي وتنوعه خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وسأقف على ذكر بعض العلماء الذين برزوا في علم الحديث بالمغرب الأوسط.

- منهم أبو بكر بن سعادة الأشبيلي نزيل تلمسان²، فقد كان حافظ ومجودا ومحدثا أخذ عنه أبي الحسين شريح وأبي العباس بن حرب المسيلي، وروى عنه أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد الهواري وأبو العيش الخزرجي، ونجد أيضا العالم الكبير بالأحكام محمد به عبد الله بن مروان الوهراني المتوفى 601هـ.1204م. الذي شغل منصب قاضي الجماعة بمراكش بالمغرب الأقصى التي كانت قاعدة الثقافة وقتئذ وبإشبيلية بالأندلس.³

كما يخبرنا ابن أبي زرع عن الفقيه عبد العزيز التلمساني يوسف إبراهيم اللخمي المعروف بالدباغ، سكن تلمسان وتوفي بها، يصنف من رجال الحديث وحافظ ومتقن⁴، وقد انتقل إليها من المغرب، مركز الأدراسة فاس.⁵

كما اهتم بالحديث محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو عبد الله التيجيبي من أهل اشبيلية روى عن عدة شيوخ نذكر منهم، ابن بشكوال، وأبي طاهر السلفي، وغيرهما تنتقل بين فاس وسبته ورحل أخيرا إلى تلمسان، ومكث فيه حتى تاريخ وفاته سنة 610هـ.

¹ - المقري: المصدر السابق، ج7، ص136.

² - يحي ابن خلدون: المرجع السابق، ص129.

³ - ابن الأبار: التكملة، المصدر السابق، ج2، ص:374. الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص168.

عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص39.

⁴ - ابن ابي زرع: الذخيرة، المصدر السابق، ص14.

⁵ - خالد الصمدي: مدرسة، المرجع السابق، ص37.

ألف معجم شيوخه، ومعجم شيوخ طاهر السلفي وأربعين حديثاً، وقد اهتم أيضاً بالتاريخ إلى جانب رواية الحديث¹، كما ألف كتاباً "في الرقائق والوعظ"²، وكتاب في الفقر وفضله³.

ومن الذين برزوا في تلمسان في الحديث أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري الندرومي التلمساني والذي ذكرناه سابقاً في مجال القراءة فقد كان أيضاً محدثاً ومنتكماً فقد جمع بين الفقه والحديث، وله دراية برواية الحديث من كتبه "نظم العقود ورقم الحل والبرود"⁴.

كما ولي مهام القضاء بتلمسان مرتين⁵، فقد كان معظماً عند الخاصة والعامة⁶، ولا شك أن توافد الكثير من رجال العلم على مدينة تلمسان أدى إلى تكوين أجيال عن العلماء بين أهلها⁷. ومن مؤلفاته "المختار في الجمع بين المنتقى والاستنكار" في الحديث جمع فيه بين المنتقى للباقي والاستنكار لابن عبد البر، و"مختار المختار" لكتاب البخاري⁸، البخاري⁸، وله أيضاً "غريب الموطأ" وإعرابه "لباب" الأعراب، "فرقان الفرقان"⁹ كما نجد اسماً

¹ - حاجيات، أبو حمو: المرجع السابق، ص40. - حاجيات: دراسات، المرجع السابق، ص342.

² - رمضان شاوش: باقة، المرجع السابق، ص80.

³ - ابن الآبار: المصدر السابق، ص676. - المقري: ج2، المصدر السابق، ص360.

⁴ - ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص319.

⁵ - خالد الصمدي، مدرسة فقه الحديث بالمغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن السابع الهجري، جذورها، آثارها، مناهجها، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2006، ص38.

⁶ - عمار هلال: المرجع السابق، ص25.

⁷ - خالد الصمدي: المرجع السابق، ص38.

⁸ - ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5، ص317. - سلطان الجيلالي: المرجع السابق، ص48.

⁹ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص77.

اسما آخر اهتم بالحديث بالمغرب الأوسط خلال نفس الفترة هو محمد بن إسماعيل المتيجي العارف بالحديث وأهله وعلوم أخرى وقد توفي سنة 625هـ، 1227م¹

وفي قلعة بني حماد يبرز محمد بن علي بن حماد الصنهاجي المؤرخ والشاعر والأديب والفقهاء المتمكن، ولد ونشأ ببرج حمزة، وتعلم في قلعة بني حماد وبجاية وتلمسان، ورحل إلى الأندلس، حيث أخذ وأعطى، وتوفي بمراكش سنة 628هـ-1230م، وهو صاحب مؤلف "الأعلام بفوائد الأحكام"² وفي نفس الفترة وجد الفقيه أبو عبد الله الغزالي التلمساني من بيت علم ونباهة، درس بقرطبة وروى الحديث عن أبيه، وأبي عبد الله النصبي وكان حافظا للحديث وفقهها، تولى القضاء بقرطبة توفي سنة 621هـ³ وابن دحية السبتي الذي استقر بكل من تلمسان وبجاية فهو الراوي والمحدث والمليتم بضوابط الحديث مركزا على تواريخ المحدثين وإخبارهم.⁴

كما اهتم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي المولود بمدينة تنس بالحديث⁵ لكنه رحل إلى المشرق مارا بتونس، وزار كل من مصر والشام والحجاز، وأخذ الكثير من علمائها وروى عنهم الحديث، وسكن تلمسان حتى تاريخ وفاته سنة 670هـ-1272م، كانت له رئاسة التدريس بالمغرب كله وقد خلف شرحا كبيرا في عشرة أسفار على

¹ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 285.

² - خالد الصمدي: المرجع السابق، ج 1، ص 98، عمار هلال: المرجع السابق، ص 25.

³ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 228، عبد الحميد حاجيات، تلمسان المرجع السابق، ص 38.

⁴ - الغبريني: المصدر السابق، ص 228، ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر 8، ص 323

⁵ - مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل مسافة قريبة من البحر المتوسط يحيط بها سور وسكانها أقوام فظاظ غلاظ وكانت دائما خاضعة لملك تلمسان، حسن الوزان: المصدر السابق، ص 35.

كتاب "التلقين للفاضل" محمد بن محمد نصر البغدادي لكنه ضاع خلال حصار تلمسان من طرف المرينيين.¹ يقول عنه يحيى بن خلدون أنه كان من العلماء الصالحين زاهد ورع، ذو كرامات شهيرة ومكانة عند الملوك عظيمة حج وعاد إلى تلمسان وبها توفي سنة 680هـ، وقبره رحمه الله بالعباد²، وبتلمسان أيضا هناك الشيخ صالح أبو عبد الله بن مرزوق محمد بن أبي بكر بن مرزوق بن الحاج التلمساني ولد حوالي 629هـ، وجدته مرزوق هو الذي استوطن تلمسان في أيام لمتونة فكان عبد الله هذا من مشاهير وأولياء هذه المنطقة، فهو المتصوف والفقير والمحدث أخذ، علومه عن عدة شيوخ نذكر منهم أبي زكريا يحيى بن محمد بن عصفور العبدري، وأبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي فمات سنة 681هـ³.

وبتلمسان نعثر على محمد بن إبراهيم الأبي المولود بتلمسان عام 681هـ-1282م وبها نشأ وبدأ دراسته وطلبه للعلوم، ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج وبعد رجوعه إلى تلمسان اشتغل بالتدريس فأصبح من شيوخ العلوم النقلية والعقلية، حتى تخرج على يده جمع من العلماء والشيوخ كابن مرزوق الخطيب، والشريف أبو عبد الله، وسعيد العقباني، والإمام ابن عرفة ولسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون وأخوه يحيى ولم يترك لنا مؤلفا واكتفى بقوله إنما أفسد العلم كثرة التأليف وبنیان المدارس.⁴

¹ - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 82، ابن مريم: المصدر السابق، ص 67.

² - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 114، حاجيات: أبو حمو موسى، المرجع السابق، ص 42.

³ - المصدر نفسه، ص ص 114-115.

⁴ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 12، - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 81.

كما اهتم بعلم الحديث ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي محدث روى عن عبد
الله بن عبد الحق التلمستاني تنقل بين الأندلس وبجاية وتلمسان بالمغرب الأوسط، توفي سنة
684هـ.¹

¹ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق، ص128.

يعد الفقه¹ وسيلة السعادة الأبدية ولباب الرسالة المحمدية، وهو عمدة العلوم الدينية وعماد ونظام الخلق، ويتناول جميع المسائل التي تواجه الإنسان خلال حياته اليومية وفي كل الميادين، فالفقه يضع القوانين والأحكام الضرورية والعادلة، فمصدر التوجيه والتسيير والتحكم في الجوانب الدينية والأحوال الشخصية والمعاملات الاقتصادية والاجتماعية، بل يتعداها إلى كل أنواع القضايا الأخلاقية والمعاملات، فهو يعالجها باستمرار، وبأحكام وبقوانين صحيحة مقنعة²، ويسمى بعلم الدراية وهو معرفة النفس ما لها وما عليها³. ومن ذلك نقول أن الفقه الإسلامية هو من يؤسس ويحفظ القواعد السليمة التي تنظم حياة الإنسان⁴.

¹ - الفقه: هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكرهة والإباحة، وهي متلقاه من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. ابن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق، ص453. وهو بالعلم الشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم، والفقه في الأصل الفهم، حتى يقال أوتي فلان فقها في الدين أي فهما فيه، وفقه فقها أي علم علما والفقه الفطنة. ابن منظور، المصدر السابق، لسان العرب باب فقه، ص3450.

² - عبد العزيز فيلال: المرجع السابق، ص445.

³ - فالفقه في اللغة العلم بالشيء والفقه له وقد جعله العرف خالصا بعلم الشريعة. محمد عادل عبد العزيز، التربية المرجع السابق، ص91، ولكن مع تطور الزمن استحدثت ظواهر وقضايا جديدة لم يوجد لها نص صريح إما من القرآن أو من السنة، فلجأ الفقهاء والعلماء إلى إجماع الصحابة والاجتهاد بالرأي والقياس. ابن خلدون: المصدر السابق، ص457.

⁴ إبراهيم سلمان الكروي: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997، ص ص234-237.

لقد عرف علم فقه على مذهب الإمام مالك ازدهارا كبيرا بالمغرب والأندلس خلال فترة المرابطين والموحدين ثم الزيانيين، وقد عقدت له المجالس الحافلة للمناظرة عليه.¹ حيث عرف المغرب الأوسط حركة دينية نشيطة.

ونظرا للتطورات التي عرفتھا العلوم الدينية في العالم الإسلامي، فقد بدأ الاختلاف الذي انتهى بتعدد الاتجاهات الفقهية وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين الأولى مثلها أهل الحديث وهم أهل الحجاز، والثانية أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق²، فكان الحديث قليلا في أهل العراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قالوا أهل الرأي، على رأس هؤلاء يأتي أبو حنيفة 150هـ. 768م.³ فأما أهل الحجاز كانوا يقفون عند ظاهر النصوص من القرآن والسنة وكان أمامهم أنس بن مالك 179هـ. 796هـ⁴، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية.⁵ ثم برزت مدرسة أخرى تالفة أخذت طريقها وسطا بين مبدأ الاجتهاد والقياس ولا تهمش الحديث، تزعمها الإمام الشافعي (204هـ. 819هـ) والذي عمل على التقريب بين الحجاز وبين العراقيين رافضا مبدأ التشدد والتعصب في معالجة بعض القضايا⁶، وهكذا استطاع الشافعي أن يجمع بين منهجي أستاذه الأول مالك بن أنس إمام

¹ - شفيق لامية: المرجع السابق، ص 138.

² - ابن خلدون: المقدمة، المرجع سابق، ص 454، - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 445.

³ - نفسه، ص 454. - إبراهيم سليمان: المرجع السابق، ص 236-237.

⁴ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 446. - ابن خلفون الأندلسي: أسماء شيوخ المالك بن أنس

تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر (د،ت)، ص 19.

⁵ - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 454

⁶ - إبراهيم سلمان الكروي، المرجع السابق، ص 240.

دار الهجرة زعيم مدرسة الحديث، وأستاذه الثاني محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة زعيم مدرسة الرأي¹.

أما المدرسة الرابعة فقد مثلها أحمد بن حنبل 241هـ. 855م الذي يقول عنه ابن خلدون " وكان من علية المحدثين، وقرأ أصحابه على أصحاب الإمام أبي حنيفة مع قوة بضاعتهم من الحديث والرواية فاختصوا بمذهب آخر²، واتجه أحمد بن حنبل إلى دراسة الحديث والرواية والتقى بالإمام الشافعي في الحجاز فأخذ عنه الفقه والأصول³، وبذلك أصبح العالم الإسلامي يعرف عدة مدارس ومذاهب فقهية لكن الأكثر شيوعاً تلك التي أشرنا إليها وعددها أربعة ولم يبق أمام المسلمين في مشارف الأرض ومغاربها إلا التقليد لأحد المذاهب المذكورة⁴.

وكان المذهب المالكي⁵ قد انتشر في الأندلس والمغرب¹ وغيرها من المناطق، وعلى العموم سأتجنب الحديث عن هذا المذهب من حيث تاريخ دخوله أو على يد من كان

¹ - إبراهيم سلمان الكروي، المرجع السابق، ص: 240.

² - ابن خلدون، المقدمة، ص: 456.

³ - إبراهيم سليمان، المرجع السابق، ص: 240.

⁴ - ابن خلدون، المقدمة، ص: 456.

⁵ - يعد الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة (93. 179هـ) مؤسس المدرسة المالكية بالحجارة بالمدينة المنورة بعد تفوقه في علم الحديث، ويعتمد مذهبه على الكتاب والسنة في استنباط الأحكام الشرعية مع الابتعاد عن التأويل والاقتصاد في القياس وهم المذهب الوحيد ربما الذي لم يرسل دعاة في المناطق والدول بل نجد أن الطلبة والحجاج الذين قصدوا المدينة لأداء فريضة الحج أو الطلبة الذين رحلوا إليه لطلب العلم قد تأثروا به و هم من قام بنشر مذهبه في مناطق إقامتهم، و رغم دخول المغرب الإسلامي عدة حركات ومذاهب لكن من تعمق وغرس في هذه المناطق كان المذهب المالكي، رغم تعرضه لعدة هزات ومضايقات فقد بقي صامداً حتى تمكن من بلوغ كامل بلدان المغرب الإسلامي، رغم تأخره إلى غاية الدولة الزييرية التي أعلنت اتباع المذهب المالكي وقد نتساءل عن أسباب تمسك أهل المغرب =

ولكن يهمننا أن نعرف موقف الدولة الموحدية ثم الزيانية من هذا المذهب هل استمر العمل به أم لا؟ وما مدى صموده في وجه ثورة محمد بن تومرت الفكرية والفقهية والعقائدية في بلاد المغرب الإسلامي، ثم ما هي مكانة المذهب الظاهري في دولة الموحيدين؟.

في ظل دولة المرابطين كان هناك اهتمام بالفروع وتركت الأصول حتى نسي الناس كتاب الله وحديث الرسول، وحتى الأحكام الشرعية ظلت مستمدة من المذهب المالكي إلى أن سقطت هذه الدولة على يد الموحيدين، وقد بلغ الفقهاء مكانة عالية في هرم الدولة فكانت لهم امتيازات حتى انتهى إليهم الأمر والنهي²، لكن عندما أخذ الموحدون بزمام الأمور غيروا من

=بالمذهب المالكي أكثر من غيره فإننا نجد الإجابة عند ابن خلدون والذي يرجعها إلى تشابه البيئتين في البداوة، أي بلاد المغرب والأندلس والحجاز ثم أن كل الذين يقصدون الحج فهناك يجدون إمام دار الهجرة وبه تأثروا. - ابن خلدون: المصدر السابق، ص481، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ط3، دار الرشاد الحديثة، المغرب 2000، ص ص338-339. لكن بالنسبة للمغرب الأوسط فإن المعلومات عن تغلغل المذهب المالكي إليه في الفترة من الفتح الإسلامي تبقى ناقصة وذلك لضياح المدونات التاريخية الخاصة به، القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج1، ص25 فهناك نص لابن الصغير يشير إلى تواجد المذهب المالكي خلال فترة الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط ويمكن أن يكون قد تسرب إليها من المغرب الأدنى أو من الأندلس بحكم الظروف السياسية والعلاقات الرستمية مع الأندلس والتي سمحت بانتقال الأموال والسلع والأفكار والمذاهب، ابن الصغير: المصدر السابق، ص117-118، وبعد الرستميين والزييريين جاء دور الحماديين حيث تبنا المذهب المالكي بعدما أصبحت مركز حضاري وثقافي هام بالمغرب الأوسط وأخيرا نجد البكري يؤكد تمكن المذهب المالكي وترسيخه بتلمسان عاصمة المغرب الأوسط، البكري: المسالك: المصدر السابق، ص746.

¹ - حول أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب العربي، راجع عمر الطاهر نابي: مجلة، رسالة المسجد، ع3، السنة الخامسة، سبتمبر 2007، ص ص7-15.

² - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص137-138. - صاحب الحلل الموشية: المصدر السابق، ص68.

المنهج المرابطي الذي كان في نظرهم محاربة للاجتهد والفكر¹ فقد أقام ابن تومرت دعوته على القرآن والسنة واستنباط الأحكام منها، وحصر أصول الأدلة في القرآن والسنة والإجماع، وبالمقابل فقد حارب الفروع²، والحقيقة أن ابن تومرت لم يبدي عداً للمذهب المالكي لقناعته أنه راسخ في نفوس المغاربة، لكن موقفه ربما كان حول التوحيد وليس الفقه، ولذلك نجده يصنف كتاباً سماه الموطأ والذي هو شبيهه أو اختصار الموطأ أمام دار الهجرة³ بعدما حذف منه الأسانيد حتى يجعل حفظه ودراسته سهلة، وفي مقدور الطلبة فجعله مصدر لفقه العبادات وهذا لا يدع للشك أن ابن تومرت لم يهمل المذهب المالكي⁴ بل يعتبره تبني له ويكون بذلك قد دفع العامة إلى ترك الفروع التي تعودوا عليها ويظهر هنا مدى تشابه موقف الغزالي بما قام ابن تومرت تجاه الفقهاء والسلطة في دولة المرابطين.⁵

فتورة ابن تومرت⁶ الفكرية بدأت وتجلت من خلال مصنفاًته في العقائد بداية من رفض الفروع والرجوع إلى الكتاب والسنة، حتى أصبح القرآن الكريم له مكانته وأهميته في

¹ - عبد الواحد المراكشي: المرجع السابق، ص 245.

² عبد الحق الطاهري، مجلة دعوة الحق، المرجع السابق، ص 80.

³ - عبد الله علام: الدولة ..، المرجع السابق، ص 307.

⁴ - محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص ص 29-30.

⁵ - فقد اتهمهم ابن تومرت بالتجسيم فباشر حربه على هؤلاء المشركين الذين يشركون بالله صفات أزلية لذلك أعلن ابن تومرت الجهاد ضد المرابطين وأصحاب السلطان: الفرد بل، المرجع السابق، ص 274. -

أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص 82.

⁶ - حول أسباب ثورة الموحدين و أسبابها ينظر عباس الجراري: الموحدين ثورة سياسة و مذهبية مجلة المناهل عدد الأول 1973. تصدرها وزارة المكلفة بالشؤون الثقافية ص: 82. 85.

دولة الموحدين، بل إلزامي في المناطق المشككة للإمبراطورية انطلاقاً مما جمعه ابن تومرت في كتاب الموطأ.¹

كما نجده يأخذ بنظرية الشيعة في عصمة² الإمام وتسمية الخليفة بالإمام والذي من حقه تصحيح الدعوة الإسلامية والعودة إلى السنة وجهاد الذين يخالفون دعوة الإمام كما ارتكزت دعوته على نظرية المعتزلة³ فيما يخص الإدارة البشرية التي تمكن صاحبها من

¹ - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين دار الرشا الحديثة 2000. ص:257.

² - وعن عصمة ابن تومرت ينظر ابن قطان: نظم الجمان، ص93 وما بعدها وفيها يقول المراكشي " لما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه أدعى ذلك لنفسه وصرح بدعوى العصمة لنفسه وانه المهدي المعصوم وروي في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي فبسط يده فبايعوه على ذلك المراكشي المعجب، ص141. عباس الجراري المرجع السابق، ص105، عندما وثق في كلامهم بدأ يكلمهم عن المهدي المنتظر الذي يرفع الباطل ويثبت الحق ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت قبلة ظلماً وجوراً.. وهكذا كانت الأرض المغربية مجهزة لاحتضان مثل تلك المعتقدات فسارع ابن تومرت إلى استغلال ذلك . جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها، ص295، بشير رمضان التفليسي: المرجع السابق، ص273 فقد كانت مسألة المهذومة والعصمة عند ابن تومرت في أول أمر الموحدين عقيدة مفروضة لا مجال للبحث فيها. فالإمام يكون معصوماً من الباطل ليهدمه من الضلال ومن الجور والبدع والكذب والباطل، لكن آخر أيام الموحدين أخذت هذه المسألة تتراجع ابتداءً من يعقوب المنصور وانتهت مع إدريس المأمون. علي علام: الدولة، المرجع السابق، ص66. الفردبيل: الفرق، المرجع السابق، ص266. - محمد المنوني: حضارة المرجع السابق، صص42-43.

³ - من أشهر الفرق الدينية التي أثرت في الثقافة العربية الإسلامية كما أثرت على توجيه الحكم في بعض الفترات. ابن الأثير المصدر السابق ج5، ص117. حسن إبراهيم حسن تاريخ المرجع السابق ج2 ص162، وتعد المعتزلة من أهم الفرق الكلامية بل تعد أيضاً مؤسسة علم الكلام الحقيقي، فأصحابها يمثلون النظر العقلي وكانوا أوائل الذين وسعوا دائرة المعرفة الدينية بحيث تشمل العقل بل قدموا العقل على النص وقالوا بالفكر قبل السمع، وقالوا بوجود معرفة الله بالعقل وإذا تعارض النص مع العقل قدموا =

فعل الحسن والقبیح باختیاره ثم الدعوة إلى التوحید علی طريقة الأشعرية.¹ فوضع رسالته المرشدة متأثر بالأشعرية، وتمكن ابن تومرت من تعميمها علی كامل بلاد المغرب الإسلامي² فهذا العبقری البربري نجده أعجب بالحكمة أو النزعة الأشعرية وتعلق بها لما كان لها من الانسجام مع تطلعه إلى قوة تؤثر في تقویض دولة المرابطين وهذا في نظري هدف سياسي خالص ولم يكن يريد من الأشعرية أو الاتجاه الغزالي الذي تأثر به إلا طريقا يسلكه لتحقيق هذا المقصد السياسي³ وليس لنصرة أو نشر هذه العقائد لأن ذلك يتعارض مع

=العقل لأنه أصل النص. ولا يتقدم الفرع علی الأصل ومهما تكن المآخذ علی منهج المعتزلة في إسرافهم في استخدام العقل في الدين إلا أنهم ساهموا بقسط وافر في تطوير الحركة الفكرية في الإسلام. علي عبد الفتاح: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة مكتبية وهمية القاهرة، ط2، 1995، ص195.

¹ - الأشعرية: نسبة إلى أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن أبي موسى الأشعري(260هـ.324هـ) ولد بالبصرة تتلمذ علی يد أبو علي الجبائي و قد ظل الأشعري علی الاعتزال زمنا وبلغ في الجدل مرتبة كبيرة وتحول عن مذهب الاعتزال فأرادوا يكون متكلمًا بجميع بين الفقه والحديث وعلم الكلام. قد سلك طريقًا وسطًا بين مبدأ التقي والثبات. ابن عساکر الدمشقي تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب اللبناني بيروت 1979 ص ص34-37. ابن فرحون اليعمري الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهبية مصر 1351هـ، ص113 (برهان الدين إبراهيم 799هـ.397هـ) علي عبد الفتاح المغربي، المرجع السابق ص،270. فقد ظل المغرب الإسلامي علی مذهب السلف في الاعتقاد من غير تأويل حتى جاء تومرت حيث عمل علی تحويل الناس عن المذهب السلف إلى المذهب الأشعري بعد تأثره بهذا المذهب أثناء تواجده بالمشرق فانتقل بذلك أهل المغرب إلى طريقة أهل الكلام محملهم علیها حملا. إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب دخولها ورجالها تطورها وموقف للناس منها، منشورات قرطبة ط1، 2006، ص ص5-8.

² - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص258.

³ - فخلاصة تجربته في الحياة بين المشرق والمغرب تمكن من التعرف علی أحوال الناس ظاهرها وباطنها فعرف العيوب والأمراض وشخصها، فكيف أرائه وصاغها في مبادئ وأسس لنجاح دعتة وثورته، عبد المجيد النجار المهدي بن تومرت: حياته... دار الغرب الإسلامي 1983، ص350.

عصمة الإمام، التي يقول بها ابن تومرت¹ لأن العصمة للأنبياء والرسل فقط² فاعتقد أن ما شاهده ولمسه وسمعه عن أحوال المرابطين وما بلغه الفقهاء من مكانة أصبح يشكل خطراً على يد ابن تومرت وعلى عامة الناس، فاستيقنته نفسه وأدرك أهمية التصدي لهؤلاء لردهم عن انحرافهم ونفوذهم في السلطة فهل حاربهم بالتخلي عن المذهب المالكي أم استخدم وسائل أخرى لمقاومتهم، وما هو البديل الذي اعتمده ابن تومرت لإقناع العامة من البربر خاصة، وربما كتاب ابن تومرت الموطأ³ تكون فيه الإجابة أو نصفها لأنه شبيه بموطأ إمام دار الهجرة فهو جمع الأحاديث بعد أن نزع منها الأسانيد ليسهل حفظها وتداولها بين الطلبة وتلك قد تكون إشارة إلى أنه لم ينكر المذهب المالكي فعلا بدليل أن الأحكام الواردة في كتاب الموطأ هي مالكية الأصل.⁴

فقدرة ابن تومرت على المجادلة والإقناع، وحججه وذاكرته وقدرة حفظه وفطنته كلها كانت أسلحة صمد بها ابن تومرت في وجه من عاداه واقنع من ناظره وانتصر على من جادله⁵ لقد وجد المغاربة على المذهب المالكي وظلوا متمسكين به إلى اليوم لقد حقق أهدافه

¹ - محمد الفاضل ابن عاشور: الثقافة الإسلامية بين المرابطين والموحدين، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد خاص، أكتوبر 1969، ص749.

² - أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم ت456هـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ط2، 1996، ص5.

³ - كتاب الموطأ الذي صنفه ابن تومرت إنما هو مجموعة الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة برواية تلميذه عبد الله بن بكير وذلك بعد حذف الأسانيد، ابن القطان، المصدر السابق، ص173.

⁴ - ابن تومرت: أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص25-26.

⁵ - يقول عنه صاحب القرطاس: "أنه كان ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عظيم عارفاً بالأصول عالماً في علم الاعتقاد والجدل فصيح اللسان مقدماً ما على الأمور العظام، ابن أبي زرع: القرطاس، المصدر السابق، ص195.

السياسية قبل الدينية، وعلى نهج ابن تومرت استمر خليفة عبد المؤمن في تغيير المنكرات¹ ومواجهة كل تحريف فرد الناس إلى قراءة الحديث وحارب الفروع، وجعل من كتاب أعزما ما يطلب للمهدي بن تومرت دستور إمبراطورية يعتمد عليه التشريع ولا يجوز الاقتداء بغيره.

فخلص إلى أن الموحدين سواء ابن تومرت أو من جاء بعده، لم يتخذوا موقفا عدائيا معلنا ضد مؤسس المذهب المالكي ولا ضد مؤسسي مذاهب الفقه الأخرى ولكن ابن تومرت تميز عنهم باستعادة الرأي والظن وأمور أخرى² ومع ذلك نقول أن ابن تومرت لم يكن إلا مالكيًا³ مختفيا وراء نزعة ورغبته في البروز كفقيه مميز عن الذين سبقوه، وحتى عبد المؤمن لم يكن له الجرأة في الإخلال أو ترك ما بدأه معلمه ابن تومرت، بل نجده أميناً على إكمال ما شرع فيه صاحبه فالحركة الفقهية إذن أصولية اجتهادية تجاوزت منهم الفروع.⁴

أما خلال الفترة الزيانية فقد شهد المغرب الأوسط حركة دينية نشيطة شملت مختلف العلوم النقلية والعقلية وقد تمسك أهل المغرب الأوسط بالمذهب المالكي الذي كاد في فترة سابقة أن يزول، كان ذلك تزامناً مع فترة الحكم الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي والذين حاربوا المذهب المالكي بكل ما يملكون من قوة لكن بنو زيان تمكنوا من استعادة مكانة هذا المذهب بعدما أخذ يتراجع خلال الفترة الموحدية حين حاول ابن تومرت أن يسلك اتجاهها لم

¹ - عباس الجراري: المرجع السابق، ص ص 95-96.

² - هناك حادثة ينقلها لنا ابن الأثير عن أبو عبد الله الونشريسي أنه سأله محمد بن تومرت عن قصده من حضور مجلس فقال له الونشريسي أنني أتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن والموطأ وكثير من العلوم والأحاديث فقرأ عليه. ابن تومرت القرآن وأحاديث من الموطأ ينظر أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد به عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، ت 630هـ الكامل في التاريخ صححه محمد يوسف الدقاق مج 09 دار الكتب العلمية بيروت 2003، ص ص 198-199.

³ - الفردبيل: المرجع السابق، ص ص 266-267.

⁴ - ابن تومرت: المصدر السابق، ص 30 وما بعدها.

تتضح معالمه علانية جمع فيه بيث الشيعة والاعتزال والظاهرية والسنة وللحرص على تثبيت المذهب المالكي تم استقدام فقهاء من المذهب المالكي إلى المغرب الأوسط لتدريس والتعليم وبالتالي تعميمه على كل المغرب الأوسط فانتشرت كتب المالكية في الأوساط التعليمية¹، وخلال فترة المرينيين بتلمسان استعاد المذهب المالكي مكانته التي كان عليها قبل ظهور دولة الموحدين².

بعد الانتهاء من وضع المذهب المالكي في الدولة الموحدية، أنتقل إلى الحديث عن جدلية المذهب الظاهري³ بالمغرب الأوسط الإسلامي في ظل دولة الموحدين.

فإذا كان المذهب المالكي قد توطد واستقر بمصر وبلاد المغرب⁴ رغم الهزات التي تعرض لها، فلماذا نجد المراجع تذكر وتشير إلى اعتماد ابن تومرت وبعض خلفاء هذه الدولة للمذهب الظاهري⁵ فهي إشكالية تطرح نفسها بقوة وأصبحت إشكالا اليوم، يحتاج إلى

¹ - لمزيد المعلومات ينظر يحيى بن خلدون: ج1، ص ص130-131.

² - محمد عيسى الحرير، المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني 610-769هـ/ 12313-1465م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ص 340.

³ - القاضي عياض: المصدر السابق، ص54.

⁴ - إبراهيم الأبيديسي: تاريخ المجتمعات الإسلامية، ترجمة فاضل حنكر، دار الكتاب العربي، بيروت 2011، ص256.

⁵ - ينسب إلى أبي سليمان داوود الظاهري الأصبهاني المولود بالكوفة سنة 202هـ المتوفى ببغداد سنة 270هـ. حيث كان من انصار المذهب الشافعي ومن علماء هذا المذهب لكنه خالفهم، فيما يخص الأخذ بالقياس حيث أن الشافعي يعتبر القياس المصدر الرابع من مصادر التشريع في حين أن الظاهري يعتبر المصادر الحقيقية للتشريع هي النصوص فقط القرآن والسنة، ولا يجوز الاعتماد على الرأي أو القياس فهو يأخذ بظاهر النصوص دون البحث عن العلل وهذا المذهب لم تعرف أراؤه الفقهية إلا على يد أبي محمد علي بن حزم الأندلسي ت 456هـ الذي صنف كتابيه المحلّي والأحكام في أصول الأحكام حيث ضمنهما منهجه الظاهري، ونشير إلى أن هذا المذهب ظهر أولا بالمشرف ثم انتقل إلى المغرب والأندلس ومن إعلامه بالمغرب عبد الله بن محمد بن قاسم بن سليمان الظاهري، ابن بشكوال: الصلة،=

تمحيص وتدقيق وتنقيب في المصادر والمراجع لحل هذه الإشكالية أو تبسيطها. فقد انتشر هذا المذهب في ظروف تميزت بتطور كبير وتداخل بين السياسة والاجتماع والدين والاقتصاد والتحضر وفي فترة إزدهر فيها الفقه وبلغ درجة عالية، وأخذت فيه أبواب الاجتهاد تغلق.¹

وربما ثورة إبن تومرت تدخل في هذا الإطار التجديدي الذي يعتمد على دور العقل في استنباط الأحكام بالاجتهاد فدعوته تركز على الكتاب والسنة والإعراض عن الرأي والقياس وفي هذا يقترب من المذهب الظاهري في مبادئه التي تتمحور حول الأخذ بظاهر النص والابتعاد عن الجدل والفلسفة والمنطق.²

ولكن هل يعني هذا أن إبن تومرت تبني الظاهرية منذ بداية ثورته وخاصة أن ابن حزم³ يرفض عصمة المهدي ومع ذلك فإن البعض حاولوا أن يجعلوا منه فقيها ظاهريا⁴

=المصدر السابق، ج2، ص465، أحمد بكير محمود المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب دار كتيبة للطباعة والنشر والتوزيع 1990 دمشق بيروت، ص21، إبراهيم سليمان الكروي المرجع في الحضارة العربية الإسلامية. مركز الإسكندرية للكتاب 1997. ص241، إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص30.

¹ - إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص31.

² - عباس الجراري: المرجع السابق، ص108.

³ - ولد ابن حزم بقرطبة سنة 384هـ/994م، كان أبوه وزيرا للحاجب المنصور، كان من أهل العلم والأدب وكان له في البلاغة يد قوية، كان ابن حزم في أول أمره شافعي لكنه أصبح من الظاهرية الذين يرفعون لواء السلام، شاركهم مواقفهم ضد الأشعرية وضد الصوفية وتقديس الأولياء وضد الخرافات جميعا، الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم ت456هـ الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، تحقيق، محمد إبراهيم وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت 1996، ص-ص3-4.

⁴ - ابن تومرت: أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص27.

فهل كان بإمكان ابن تومرت الجمع بين أفكاره ومبادئ الظاهرية وكيف يتمكن الجمع بين الشيعة والحزمية فأبن تومرت لم يصدر منه ما يؤكد ظاهرته ويقدر ما هناك ما يجعلنا نقول بأنه يؤمن بها. فعبد الله كنون يكشف لنا ويقنعها أن هناك فرق بين تواجد فقهاء ظاهريين¹. وقيامهم بنشاطات عملية فكرية داخل دولة الموحدين وبين اعتناق ابن تومرت² ومن جاء بعده للمذهب الظاهري، وربما تكون الحقيقة التي تزيل جزء من الضبابية التي تكتسي هذا الموضوع، إلا وهي ظاهرة الدولة الموحدية من عدمها، فكما قلت المصادر لم تشر إلى محاربة الموحدين للمذهب المالكي واتباعهم للمذهب الظاهري لكن فترة الخليفة يعقوب المنصور (580-595هـ) ربما كانت فترة التوجه إلى تطبيق ذلك، يبدو من خلال تصريحاته بأن كل الفقهاء عيال على ابن حزم³. وهذا الإعجاب يعود إلى مكانة ابن حزم العلمية وطريقة تفكيره ومواقفه من عدة قضايا لا أكثر. وبالتالي لا يمكن الجزم بأن الموحدين في زمانه كانوا على الظاهرية الخالصة⁴.

¹ - عبد الله كنون النبوغ المغربي: المرجع السابق، ص124 وما بعدها. - ابن تومرت: أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص29.

² - مهما يكن فإن ابن تومرت لم يكن يتبع ابن حزم الظاهري حرفيا رغم ميله وإعجابه به إذا يعتبر أحد الروافد التي أغرف منها ابن تومرت علومه ولو فرضنا أنه كان ظاهريا لما سكت فقهاء المرابطين عن هذا التوجه كما اتهموه بالخارجية. صاحب الحلال الموشية المصدر السابق ص:111. علي عشي المرجع السابق ص:226.

³ - المقرئ: نفخ الطيب، ج3 المصدر السابق، ص247.

⁴ - أبو زهرة: المرجع السابق، ص523.

رغم أن هذا الخليفة¹ اتخذ قاضيا ظاهريا هو محمد بن يزيد بن عبد الرحمن على مراكش ثم قرطبة فأحكامه كانت ظاهرية أحيانا ومالكية أحيانا أخرى إرضاء للعامة² ومثل هذه الإجراءات التي صدرت من يعقوب المنصور تكون قد أطلقت يد الكثير من الظاهرين بين داخل دواليب الدولة الموحدية جعلته ظاهريا عند بعض المؤرخين.³

وربما ما قام به هذا الخليفة عندما منع الناس من الخوض في علم الأصول والكلام وأمر الفقهاء ممن ولاه بتأليف كتاب على شاكلة ما جمعه المهدي ابن تومرت لكنه يضم ما حوته الكتب الصحاح مما يتعلق بأمور الدين من عبادات وصلاة وغيرها من المصنفات العشرة وهي كتاب الموطأ والترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن البزار وسنن أبي شيبة وسنن الدار قطني وسنن البهقي، ولعله بذلك أراد إزالة المالكية من المغرب وجمع الناس على الظاهر من القرآن والحديث⁴ ولم يكتف بذلك بل منع حتى كتب المهدي بن تومرت من التداول بين الطلبة والقراء ورغب الناس⁵ في العودة إلى ما أنزله الله وما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي الأخير وبعد أن استعرضنا واقع المذهب المالكي والظاهري خلال القرنين 6 و7هـ، 12 و13م نصل إلى خلاصة مفادها، أن الدولة الموحدية حتى وإن كانت فيها

¹ - يقول عنه ابن كثير أنه كان ديناً، حسن السيرة، صحيح السريرة كان مالكي المذهب ثم صار حزمياً ثم مال إلى المذهب الشافعي واستقضى في بعض بلاده منهم قضاة "الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي 701-774هـ، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج16، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط1998، ص687.

² - أحمد بكير: المرجع السابق، صص64-65.

³ - عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص255.

⁴ - ابن أبي زرع: القرطاس، المصدر السابق، ص138، ألفرد بل: المرجع السابق، ص278.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص292.

إشكالية تفضيل مذهب على آخر وعدم الكشف عن مذهب الدولة الرسمي بل فقط كان هناك جمع الأفكار ومبادئ متعددة ومتناقضة أحيانا وظفت لخدمة أهداف سياسية وأمنية حققت لخلفاء هذه الدولة التبعية والإخلاص والاستقرار كما أنه لم يكن هناك عداء صريح ومعلن ضد المذهب المالكي ولا أتباعه، فلا شك أن ابن تومرت وبحكم ولادته وطفولته فقد تعلم مبادئ المالكية وترى عليها وحتى وإن كان على دراية بمبادئ التي كانت انتشرت ببلادنا بعد سيطرة الفاطميين على بلاد المغرب الإسلامي فلا يمكن أن نجزم بأنه تشبع بها إلى درجة الاقتناع والتطبيق فلم يكن بإمكانه مواجهة أتباع المذهب المالكي بالقوة والعنف لأنه كان على علم بأن الفاطميين لم يتمكنوا من فرض مذهبهم حتى بسطان السيف لذلك خلق حركة فكرية تومرتية مزج فيها بين كل الاتجاهات، فقد قام المستشرق المجري جولد زيهر بنشر مجموعة كتب لابن تومرت تمثلت في كتاب أعز ما يطلب والعقيدة والمرشدة وكتاب الطهارة الذي يقال أن المنصور¹ جمع كتابا على شاكلته في الصلاة وكل هذه الكتب لم يتأكد فيها ولم تشر إلى التوجه الظاهري للموحدين وإذا كان أمام الموحدين لا يرى برأي الظاهرية وهو المؤسس لهذه الدولة فكيف نحكم على من تبعه من الخلفاء أنهم كانوا كذلك. فقط أن المنصور هو من أبدى إعجابه بابن حزم وقال فيه قولاً محموداً فلا يصح لنا أن نحكم عليه وقومه بالظاهرية وكل ما قام به هو عملاً وليس انتماءً² والمالكية هي من انتصرت وسادت في النهاية فالمغرب الأوسط مع كل هذه الأحداث كان يعيش نوع من الحرية خارج ضغط ونفوذ الذي كان يمارس على الرعية من قبل خلفاء الدولة الموحدية فالعدد الكبير من الفقهاء الذين تواجدوا بهذه المنطقة كانوا مالكين وحافظوا على تمسكهم بمذهب إمام دار الهجرة ثم بسبب التصوف الذي يعتمد على البساطة والتقشف بعيداً عن

¹ - فيعقوب المنصور كان غرضه هنا تأصيل الفقه بعيداً عن الرأي والقياس وهو يشترك هنا مع الظاهرية ويتفق معهم، لكن هذا لم يكن معلناً من قبل الموحدين فالاجتهاد مقبول والتقليد مرفوض، ابن خلكان ج7، المصدر السابق، ص11.

² - عبد الله كنون: المرجع السابق، ص124 وما بعدها.

الإكراه والضغط¹ وفي الأخير نقول أنه لا يوجد نص ثابت نقيم على أساسه الحجة على ابن تومرت ومن خلفه أمروا بفرض وإتباع المذهب الظاهري، وبالمقابل فدعوة هؤلاء كانت العمل والتمسك بالكتاب والسنة.²

فكتب التراجم والسير التي نعثر فيها على فقهاء القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وجدنا فقهاء ظاهريين إلى جانب الفقهاء المالكيين، ومع ذلك فإن العلاقة لم تكن دائما على ما يرام حيث كان الخلاف يطفو على العلاقات بينهم من حين لآخر فهذا القاضي البجائي حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580هـ 1184م) له مؤلف بعنوان "النبراس في الرد على منكر القياس" وهذا الكتاب أعجب به الغبريني³ رغم انه لم يطلع عليه، ومن الذين وقفوا في وجه الظاهرية والحزمية الفقيه البجائي أبي زكرياء الزاوي 611هـ. 1214م⁴ والذي ظل مرفوضا من قبل زعماء هذا الاتجاه، ونجد بالمقابل فقهاء آخرون مالوا إلى الظاهرية بالمغرب الأوسط كمحمد بن عبد الله بن مروان أبو عبد الله الأندلسي ولد بوهران 603هـ. 1203م فهذا الفقيه⁵ والأديب كان على المذهب الظاهري وقد أعجب به الخليفة الموحي حيث عينه قاضيا بتلمسان ثم مراکش التي توفي

¹ - فتحة محمد: النوازل الفقهية في المجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي ، من القرن 6: مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1999، ص136.

² - عبد الهادي حسين: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية، ع2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1981، ص329، وما بعدها.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص ص66-67.

⁴ - نفسه، ص136.

⁵ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق ص: 113. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر 8، ص339. حاجيات: ضمن كتاب تاريخ الجزائر، الجزء الثالث، ص342. ابن سعيد أبي الحسين علي بن موسى الأندلسي 610هـ. 685هـ. الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الابياري، دار المعارف مصر 1945 ص29.

بها¹ 601. 1213م كما نعثر على الفقيه أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية 633. 1235 الظاهري المذهب من مؤلفاته "منهج الجمر في تحريم الخمر"² ورغم الاختلاف بين المالكية وإتباع الظاهرية فإن الخلفاء لم يسمحوا بظهوره وهذا يعود إلى العدد الأكبر من الفقهاء المالكيين الذين ظلوا متمسكين بمذهبهم رغم نفوذ سلطان الموحدين، ويكفي أن نستعرض هذا الكم الهائل في الفقهاء المالكيين الذين ارتبطوا بالمغرب الأوسط سواء بالمولد أو بالإقامة، ولعبوا دورا هاما، حيث تحول إلى مركز حضاري ومقصد الطلبة والعلماء من بلاد المغرب الإسلامي خاصة والعالم الإسلامي عامة ومن هؤلاء.

الفقيه موسى بن حماد الصنهاجي الذي توفي بمراكش سنة 535هـ، وابن عرجون التلمساني الفقيه، والمحدث والقاضي توفي بتلمسان سنة 534هـ³، وأبو عبد الله بن عيسى من أهل أجادير فقيه وضالع عرف بالورع والتقوى والصلاح ولد سنة 536هـ⁴ كما وفد على تلمسان الفقيه أبو الحسن علي بن خيار البلنسي الفاسي 541هـ. 605هـ. الذي استقر بتلمسان وتعلم بها على يد أبي الحسن بن قنون، فهو متصوِّف ومشارك في عدّة علوم كالفقه⁵ والأصول، فهو من الرافضيين للتقليد ويميل إلى النظر فالاجتهاد والتصوِّف توفي بفاس.⁶

¹ - صلى عليه عبد الله الناصري بن المنصور: الحافظ ابي عبد الله محمد به عبد الله بن أبي بكر البلنسي ابن الآبار: المصدر السابق، ص161.

² - المقرئ: ج2، المصدر السابق، ص9. - عبد الله كنون: ج1، المرجع السابق، ص159.

³ - مجموعة من الأساتذة: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص129.

⁴ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص112.

⁵ - أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي ثم الفاسي: المعروف بابن القاضي، جدوة الاقتباس في ذكر ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1973، ص483.

⁶ - علي بن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص44.

ومن أشهر نجد الفقيه **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الصنهاجي**، مالكي المذهب استند إلى كتاب إمام دار الهجرة "الموطأ" وبمكانته العلمية فقد تسابق الناس إلى الأخذ عنه بل أن الأمراء والملوك تفاخروا بمجالسته والاسترشاد بعلمه وآرائه¹ فقد روى عن أبي الحسن الجدامي والقاضي عياض وقد سمع أبا جعفر بن غزلون وأبا بكر بن العربي بالأندلس، كان حافظاً ثقة توفى في شهر رمضان 561هـ.² وكان أحد الأعلام والشيوخ المشهورين³ صنف كتاب "الإفصاح"، وكان مالكي المذهب⁴ فالقرن السادس عرف أيضاً بروز **أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي قنون** الفقيه المالكي⁵ المتوفى سنة 557هـ، 557هـ، 1162م اشتهر بمؤلفه "المقتضب الأشفي في اختصار المتصفي"⁶

ومن أعلام الفقه المالكي بالمغرب الأوسط وجد **حجاج بن سكاتة أبو يوسف الجزائري** الذي ولد 561هـ-1166م⁷ ونشأ بالمغرب الأوسط.

وفي تلمسان ظهر الفقيه **عبد الله بن محمد الفهري** المولود سنة 567هـ-1172م، وسرعان ما غادرها قاصداً بلاد المشرق فنزل بالقاهرة وبها أكمل دراسته العلمية في الفقه والأصول حيث لقب بشرف الدين، ألف شرح "المعالم في أصول الفقه" للرازي وشرح "التببيه

¹ - ابن الأبار: ج1، المصدر السابق، ص304.

² - الإمام شهاب الدين أبي الفلاح يحيى بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي: 1032-1089م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1984، ص307.

³ - الذهبي أعلام، المصدر السابق، ص505.

⁴ - الصفي: ج17، المصدر السابق، ص289.

⁵ - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص102.

⁶ - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص100.

⁷ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص120.

في فروع الفقه الشافعي للشيرازي" والمجموع في الفقه وغيرها¹، ومن المعاصرين لهذا الفقيه محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي القلعي والذي استوطن فاس كان حافظا للفقه نظارا فيه بارعا في معرفة أصوله، شافعي المذهب من مؤلفاته "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" ومختصر في أصول الفقه² ونبقى دائما في القرن السادس الهجري وبالمغرب الأوسط حيث برز الفقيه أبو موسى بن عمران بن داقل التلمساني المتوفى سنة 578هـ³ الذي يقول عنه صاحب الذيل والتكملة بأنه عرف بالنزاهة والعدالة وسيرته الحسنة أخذ العلم عن كثير من الشيوخ في موطنه الأصلي، ثم سكن مراكش فدخل الأندلس⁴ طالبا للعلم، لقد جمع بين الفقه والأدب، فقد كان من رجال الفقه وحافظا قائما بأصوله مما جعله يعتلي قضاء اشبيلية⁵ فهو القاضي والخطيب والشاعر⁶ توفي بمراكش. ومن المسيلة برز الفقيه المالكي⁷ أبو حسن بن علي بن محمد المسيلي المعروف بأبي حامد الغزالي فهو مالكي المذهب من مصنفاته الحسنة "التذكرة في أصول الدين"⁸ يصفه صاحب نيل الابتهاج بالابتهاج بالفقيه الفاضل العابد المجتهد.⁹

¹ - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 81.

² - عبد المالك المراكشي: السفر 8، المصدر السابق، ص 326-327.

³ - المصدر نفسه، ص 254-266، الجيلالي سلطانيين: المرجع السابق، ص 50.

⁴ - يحيى بن خلدون: المرجع السابق، ص 102.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 245-246.

⁶ - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص - عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 341.

⁷ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 345.

⁸ - الغبريني: المصدر السابق، ص 66.

⁹ - ابن فرحون: نيل الابتهاج على هامش الديباج، المصدر السابق، ص 4.

ومن الذين عاشوا في فترة الإمام أبو الوليد يزيد بن أبي الحسن عبد الرحمن من سلالة بني أمية القرطبيين كان أبوه عالما فقيها، فأخذ عنه ولده العلم فقد نال مكانته في الفقه كما أخذ علمه عن ابن العربي وشريح بن محمد وأبي القاسم بن رضا وغيرهم حتى أصبح قاضي بسكرة حتى توفي بها سنة 581هـ، 1194م ولم يخلف لنا تاليفا.

وفي نفس السنة تقريبا نجد الإمام أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الاشبيلي، الفقيه¹ الجليل وأحد الأعلام، روى عن أبي الحسن، عرف عنه الورع والصلاح ولزوم السنّة² اتخذ من بجاية موطنًا له حتى توفي بها، له مؤلف مشهور يسمى "الأحكام الكبرى والصغرى" ثم "الجمع بين الصحيحين"³.

وإلى جانب هؤلاء نجد صالح بن خلفي الأوسي الأنصاري 500هـ-586هـ، يكنى أبا الحسن كان فقيها متمكنا لقي بتلمسان أبا جعفر بن باق، وأخذ عنه علم الكلام ولقي بتونس أبا محمد عبد الرزاق الفقيه.⁴

كما عرفت سنة 581هـ-1185م بروز الفقيه البجائي محمد بن عبد الحق الاشبيلي المالكي الذي رفض دعوة الموحدين لتولي القضاء لأنه كان من الموالين للمرابطين حيث سارع إلى الوقوف إلى جانب بنو غانية الذين قدموا لغزو بجاية سنة 580هـ-1184م وتوفي قبل أن يستعيد الموحدون بجاية.⁵

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 73.

² - ابن فرحون: المصدر السابق، ص 175.

³ - شهاب الدين: الشذرات، المصدر السابق، ج 6، ص 444.

⁴ - ابن الأبار: ج 2، المصدر السابق، ص 222.

⁵ - المصدر نفسه، ص 166، علي عشي: المرجع السابق، ص 218، محمد عمرو الطمار: تاريخ الأدب، المرجع السابق، ص 168.

وفي نفس الفترة يأتي **الظاهر عمارة بن يحيى بن عمارة** الذي كان حيا سنة 585هـ¹ 1189م، تصدر القضاء ببجاية هو الآخر تحول إلى مساند لبني غانية² خلال غزوهم لبجاية وأصبح خطيبهم لكن الموحدون عفوا عنه.³

ومن المعاصرين لهذا الفقيه في المغرب الأوسط العالم **أبو الحسن علي بن يحيى القاسم الحميري الصنهاجي البطوي**، فهذا العالم الذي استقر بالمغرب الأوسط كان من الصالحين، عرف بتواضعه وأعماله الخيرية وصاحب مؤلف "المقصد المحمود في تلخيص العقود" الذي انتشر وشاع استعماله بين الناس فهذا الحافظ والمدرس والفقيه البجائي توفي سنة 585هـ⁴.

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص75-76، السلاوي: ج2، المصدر السابق، ص143.

² - ينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة وهم أبناء عمومه قبيلة لمثونة وبنو غانية هم أبناء علي بن يوسف المسوفي أحد ضباط جيش يوسف بن تاشفين وقد أنجب علي هذا ولدين هما يحيى ومحمد ويقول المراكشي في يحيى بن غانية وكان حسنة من حسنات الدهر، واجتمع له الكثير من المناقب منها أنه كان رجلا صالحا شديد الخوف من الله مع علو قدم في الفقه وروايات الحديث وكان شجاعا فارسا واستقر محمد بجزر البليار وكان طموحا ولم يستطع الموحدون أن يخضعوا شوكة بني غانية إلا في عهد الخليفة الرابع الناصر وقد استولى الموحدون على عاصمتهم ميورقة سنة 600هـ، 1203م، لكن يحيى ظل يحارب الموحدين بافريقية حتى سنة 607هـ - عبد الله علي علام الدولة، المرجع السابق، ص203، وكان من نتائج الاستقرار الذي فرضته معركة الأرك في الأندلس التفرع إلى مشكلة إفريقية فقام الخليفة الناصر بتوجيه حملة عسكرية برية وبحرية لحصار المدن التي احتلها بنو غانية خاصة المهديّة ما بين 601-603هـ انتهت بالقضاء عليهم نهائيا وانتهى أمر بني غانية في افريقية، أحمد عزاوي: المرجع السابق، ص241-242.

³ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص241-242.

⁴ - عبد المالك المراكشي: ج8، المصدر السابق، ص214. سلطاني: المرجع السابق، ص50.

ولن نترك فترة القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي دون ذكر الرجل الصالح الفقيه أبو مدين شعيب بن الحسن ت594هـ/ 1127م الذي كان يرد على فتاوى المذهب المالكي في حينها¹ وكان من أعلام العلماء كان يلزم كتاب الأحياء ويعكف عليه² كما برز خلال هذا القرن علماء أجلاء نذكر منهم عبد الله بن محمد بن عبد الله الذي يكنى أبا محمد³ يعرف بابن الأشيري⁴ الذي يكون قد سمح من أبا جعفر بن غزلون وأبا بكر العربي بالأندلس، فهو بالحافظ والثقة وتوفى سنة 561 هـ.⁵

ونجد أيضا عبد الله بن محمد بن جبل الهمداني من أهل وهران وأصله من الأندلس كان خطيبا فقيها مفهوما، توفي بمراكش سنة 557هـ⁶ وكان أحد الأعلام والشيوخ المشهورين لقي القاضي عياض بالأندلس صنف كتاب "الإفصاح" وكان مالكي المذهب.⁷

وهناك إشارات إلى فقهاء عاشوا في العهد الموحد بالمغرب الأوسط كعلي بن أبي نصر، فاتح بن عبد الله البجائي، وموسى بن حماد الصنهاجي، الذي توفي بمراكش، وصالح بن أبي صالح خلف بن عامر الأنصاري، درس بالأندلس ثم مدينة تلمسان كان فقيها مشهورا وتوفي سنة 586هـ.⁸

¹ - المقرئ: نفع الطيب، ج7، المصدر السابق، ص136.

² - نفسه، ص137.

³ - الصفي: ج17، المصدر السابق، ص455، ابن الأبار: ج2، التكملة ص304.

⁴ - شهاب الدين: المصدر السابق، ج6، ص330

⁵ - الذهبي: أعلام، المصدر السابق، ص504.

⁶ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص200.

⁷ - ابن الأبار: ج2، المصدر السابق، ص304.

⁸ - عبد المالك المراكشي: المصدر السابق، رقم 1887 - علي عبد الله علام ص314.

وهكذا نخلص إلى أن المغرب الأوسط عرف تطورا علميا وفكريا وحضاريا خلال هذه الفترة الموحدية ويعود ذلك إلى الكم الكبير من العلماء.

وكذلك خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي فإن المغرب الأوسط يعرف أكثر نشاطا في مجال الفقه بل أصبح هذا العلم من أهم الفنون التي أثر فيها علماء الدولة الزيانية على بلاد المغرب الإسلامي¹ وبذلك تواصلت الحركة العلمية وتبلورت واتسع نطاقها خاصة عندما أصبحت تلمسان حاضرة الدولة الزيانية فخلال هذه الفترة نجد الكثير من الفقهاء وصلوا واستوطنوا المغرب الأوسط من عدة جهات من العالم الإسلامي.

ففي مطلع القرن السابع الهجري نجد الفقيه محمد بن علي بن مروان بن جيل الهمداني² من وهران ونشأ بتلمسان فهو الفقيه الذي استبحر في حفظ المسائل، ولي قضاء تلمسان³ فعرف بنزاهته وعدله وحسن تصرفه، فكان محل إعجاب من ظرف الخليفة الموحد المنصور توفي سنة 601هـ-1204م.⁴

وفي نفس الفترة برز أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن حرج البلنسي الذهبي⁵ الذهبي⁵ ت 601هـ، 1204م يكنى أبا العباس كان يراعي أصول المذهب المالكي له عدة تصانيف منها: "حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة"⁶ كما صنف كتاب "الإعلام بفوائد مسلم"، وله عدة فتاوى في "توازل الأحكام" توفي في تلمسان.⁷

¹ - مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، ج2، المرجع السابق، ص305.

² - ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص161، يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص113.

³ - ابن سعيد: المصدر السابق، ص29، يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص113.

⁴ - ابن بشكوال: المصدر السابق، ج2، ص10.

⁵ - ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص117.

⁶ - الصفيدي: المصدر السابق، ج7، ص117.

⁷ - ابن فرحون: المصدر السابق، ص120، ابن الأبار، المصدر السابق، ص117.

ومن بجاية ظهر، أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى الأزدي (601-691هـ) الذي يذكره الغبريني ويصفه بالصالح والفقير المتعبد الذي كان على سنن الفقهاء¹.

ومن تلمسان وجد أبو محمد أبو فارس عبد العزيز عمر بن مخلوف المولود بتلمسان سنة 602هـ 1205م، نشأ بها ودرس الفقه والحديث، ومنها توجه إلى بجاية فكان خزانة مذهب مالك، وكان مشاورا وعلى فتواه العمل² ومرة أخرى من بجاية ظهر الفقيه محمد بن علي بن يخلف بن يوسف بن حسون أبو عبد الله 606هـ 1210م مالكي التوجه تعلم ببجاية، فأخذ عنه عبد الحق الاشبيلي وابن لؤلؤ وغيرهم³

ودخل الأندلس لطلب العلم⁴، توفى بالمغرب الأوسط⁵، ومن المعاصرين له في بسكرة الفقيه الحسن بن يحيى البسكري الذي كان حيا 607هـ 1210م. الذي يعد من فقهاء المالكية وقضاتها ببسكرة وعين قاضيا بالمغرب الأقصى خلال الفترة الدولة المرينية⁶.

ومن علماء القرن السابع الهجري أيضا محمد بن عثمان بن سعيد قاسمي أبو عبد الله الذي درس ببجاية على يد أبي محمد عبد الحق ابن الخراط وروى عن أبي العباس، فهو الفقيه والحافظ يقول عنه عبد المالك المراكشي أنه تسند إليه مسائل الخلاف توفى سنة 608هـ 1211م⁷. وفي نفس الفترة برز إبراهيم بن أبي بكر عبد الله بن موسى أبو إسحاق

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص122.

² - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص81.

³ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص120.

⁴ - عبد المالك المراكشي: السفر 8، المصدر السابق، ص342.

⁵ - محمد الطمار: تاريخ، المرجع السابق، ص69.

⁶ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص62.

⁷ - عبد المالك المراكشي: السفر 8، المصدر السابق، ص323.

إسحاق (609-690هـ/1213-1291م)¹، الفقيه التلمساني من فقهاء المالكية يكنى أبا إسحاق²، كان فقيها عارفا بعقد الشروط وإماما في الفرائض³ روى عنه الكثير ممن عاصروه. ومن المعاصرين له أيضا الفقيه محمد بن عبد الرحمن، نزيل تلمسان⁴ له عدة مؤلفات نذكر نذكر منها: "فضائل الشهور الثلاثة"⁵، رجب شعبان، رمضان، وكتاب "الترغيب في الجهاد" فيه خمسون بابا في مجلد توفي سنة 610هـ.1214م.⁶

وفي بجاية برز محمد إبراهيم الأصولي أبو عبد الله التجائي، الفقيه والقاضي في بجاية لعدّة مرات كما عين في نفس الوظيفة بمرسية ومراكش، تعرض للنفي من قرطبة ثم عفي عنه، اعتنى بإصلاح المستصفي لأبن حامد الغزالي⁷، ومهم أيضا أبو زكرياء يحيى بن بن أبي علي المعروف بالزاوي، الفقيه الزاهد والصالح المولود بني عيسى من قبائل زاوة⁸، درس بقلعة بني حماد، ثم انتقل إلى المشرق للاستزادة في العلم من حديث وفقه⁹، ومن الذين برزوا في تلمسان خلال هذه الفترة مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني التلمساني درس على يد أبيه السابق الذكر وغيره بتلمسان وبمراكش وكان فقيها

¹ - التتبيكي: الديباج، المصدر السابق، ص147.

² - ابن مريم: المصدر السابق، ص55.

³ - الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص5.

⁴ - ابن الآبار: ج2 المصدر السابق، ص ص102-103.

⁵ - الصفدي: ج3، المصدر السابق، ص ص193-194.

⁶ - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص342.

⁷ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص18.

⁸ - الغبريني: المصدر السابق، ص136.

⁹ - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص102.

حافظا للمسائل بصيرا بالفتوى في النوازل عين قاضيا على تلمسان سنة 613هـ.1217م، ثم بغيرناطة و مرسية.¹

ومن الذين عاشوا في تلمسان نجد الفقيه الحسين بن علي بن محمد أبو علي الأغماتي الذي كان حيًا بعد 615هـ.1218م²، ومن اكبر الفقهاء والقضاة في تلمسان خلال خلال القرن السابع الهجري، محمد عبد الحق اليفرنى التلمساني كان من رواة الحديث وفقهيا³، حافظا متكلمًا، له مؤلفات كثيرة، منها مستصفي المستصفي⁴ "حدود أنواع الحكم الشرعي"، "التذكرة للنوادر المتخيرة" وكتاب "الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة"، "فصل المقال" ت625هـ.1227م.

وهناك فقيه آخر كان قد عاش إلى جانبه في المغرب الأوسط هو أبو عبد الله بن عبد الحق بن سليمان اليعفري البطوي الفقيه والحافظ والمتكلم، يقول عنه صاحب بغية الرواد "كان وجيها ببلده عند السلاطين والأمراء". نوفي سنة 625هـ.1225م.⁵

كما برز الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق بن الحاج التلمساني المولود سنة 629هـ/1229م.⁶ حيث كان من الصلحاء المشاهير الأولياء والإعلام، متصوفا، زاهدا، عابدا، أخذ عن الفقيه عبد الله محمد بن اللجام والفقيه أبي زيد اليزناسي وكلهم أبناء تلمسان.

ومن المعاصرين لأبي عبد الله الفقيه أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي الذي توفي 628هـ.1230م الذي برز في علوم الفقه والقراءات والتفسير ومصطلح الحديث تخرج

¹ - عبد المالك المراكشي: السفر8، المصدر السابق، ص374.

² - عادل نويهض: المصدر السابق، ص22.

³ - ابن الأبار: ج2، المصدر السابق، ص319. - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص102.

⁴ - عبد المالك المراكشي: السفر8، المصدر السابق، ص317-320.

⁵ - يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص113.

⁶ - المصدر نفسه، ص115.

على يده عدة فقهاء وهو الذي شرح كتاب "الإعلام بفوائد الأحكام" لشيخه عبد الحق الاشبيلي.¹

وبجاية ظهر الفقيه منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي ناصر الدين أبو علي² 631-731هـ (1234م.1331م) من أكابر فقهاء المالكية³ نشأ وتعلم ببجاية شرح رسالة أبي زيد.⁴ ومن تلمسان تذكر الفقيه أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل موفق الدين أبو الحسن الفقيه الصوفي⁵ المالكي انتقل إلى مصر، من آثاره⁶ "مجاميع في التصوف" توفي بالقاهرة سنة 633هـ/1236م.⁷

ونعثر في تراجم القرن السابع هجري الثالث عشر الميلادي على الفقيه إبراهيم بن يحيى بن محمد التجيني المتوفى سنة 633هـ/1235م.⁸ الذي يعرف بأبي إسحاق كان مشاركا في عدة علوم له مؤلف بعنوان "شرح الخلاف" في عدة مجلدات.⁹

ومن العلماء الذين نزلوا بتلمسان عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد اليخفشي الفزازي.¹⁰ فهو شاعر وفقه مالكي ومشارك في عدة علوم، برع في علم الأصول والفروع¹¹،

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص73.

² - التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص350.

³ - عادل نويهض: المصدر السابق، ص302.

⁴ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص54.

⁵ - الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص39.

⁶ - التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص88. ابن مريم: المصدر السابق، ص8.

⁷ - عادل نويهض: المصدر السابق، ص67.

⁸ - محمد الطمار: المرجع السابق، ص78.

⁹ - الحاج محمد رمضان شاوش: المرجع السابق، ص420.

¹⁰ - المقري: المرجع السابق، ج4، الهامش 1.

¹¹ - ابن الآبار: ج2 المصدر السابق، ص1641.

توفى 627هـ.1229م. ومن وفيات سنة 637هـ.1239م. **علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي**¹، نزيل بجاية له كتاب² "الوافي". ومن فقهاء بجاية وعلمائها نجد **محمد بن محمد بن الحسين الخشني أبو عبد الله** من فقهاء وعلماء المالكية ذكره صاحب عنوان "الدراية"³ وصاحب "تعريف الخلف"⁴ توفى سنة 640هـ.1242م. ومن وفيات سنة 644هـ.1246م. نجد **أبو العباس أحمد بن عثمان بن المتوسي الملياني** الذي استقر ببجاية ودرس الفقه وأصول الدين فكان إماما في الفقه⁵. وقد عاصره العالم عبد الرحمن بن عبد الله ضياء الدين الزواوي الذي تولى وظائف الشيخ أبو عمرو بن الحاجب وجلس في حلقاته ودرس مكانه بزواوية المالكية بدمشق ومشارك في علوم كثيرة⁶.

ومن قسنطينة برز الفقيه والعالم **يحي بن عباس بن أحمد أيوب القيسي المعروف بأبي زكريا**. وهو من فقهاء المالكية ولد ونشأ في قسنطينة⁷. ثم رحل إلى الأندلس فأخذ بها عن عدة علماء منهم أبو عبد الله بن نوح، وأبي الخطاب بن واجب توفى سنة 649هـ.1281م.

وخلال منتصف القرن السابع الهجري نصادق عدة فقهاء بالمغرب الأوسط نذكر منهم **محمد بن عبد الله مروان أبو عبد الله التلمساني** ت 651هـ.1253م أصله من المرية

¹ - التتبعاتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص318.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص148. المغربي: المرجع السابق، ص387.

³ - الحفناوي، ج1، المرجع السابق، ص489.

⁴ - الغبريني: المصدر السابق، ص252.

⁵ - نفسه، ص171.

⁶ - الحافظ عماد: البداية والنهاية، ج17، المصدر السابق، ص161-162. - عادل نويهض:

المرجع السابق، ص161-162.

⁷ - ابن شكوال: المصدر السابق، ص421، رقم 983.

بالأندلس وكان أكابر الفقهاء الظاهرين¹ كثير المطالعة لكتب ابن حزم، ومن الفقهاء الذين رحلوا من تلمسان إلى مكة خلال هذه الفترة الفقيه يحيى بن محمد بن موسى التجيني أبو زكريا²، الذي يعد من أهم فقهاء وعلماء تلمسان سمع من أبي الحسن بن البناء، سكن الإسكندرية.³

ومن المعاصرين له البجائي علي بن لأبي نصر فاتح ابن عبد الله أبو الحسن فقيه مالكي⁴، متقناً، حافظاً، ثقة عدلاً أخذ العلم وسمعه من يونس بن يحيى الهاشمي⁵ بمكة وأبا الحسن بن جبر بالقدس، والدمياطي بدمشق، والابيارى بالإسكندرية، فعاد إلى بجاية للتدريس.⁶

ونبقى في بجاية دائماً حيث الفقيه عمر أبو علي بن أحمد العمري البجائي⁷، الذي رحل إلى المشرق ولقي هناك أفاضل العلماء وحج بيت الله ورجع إلى بجاية فجلس إلى كرسي التدريس⁸ إلى أن توفى بها سنة 660هـ. 1260م.

ومن قسنطينة يبرز الفقيه حسن بن علي بن ميمون بن فنذ القسنطيني المحدث والفقيه من أعيان قسنطينة توفى سنة 664هـ. 1265م⁹. كما وجد الفقيه محمد بن إبراهيم

¹ - عادل نويهض: المصدر السابق، ص 78.

² - المصدر نفسه، ص 83.

³ - الذهبي أعلام: المصدر السابق، ت/1540، ص 231.

⁴ - الغبريني: المصدر السابق، ص ص 137-138.

⁵ - التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 321.

⁶ - ابن شكوال: المصدر السابق، ص 627.

⁷ - الغبريني: المصدر السابق، ص 228.

⁸ - الحفناوي، ج 1، المرجع السابق، ص 291. - عادل نويهض: المصدر السابق، ص 39.

⁹ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 355.

الغساني، درس بتلمسان مسقط رأسه عند أبي عبد الله التجيني السابق الذكر وابن عبد الحق وغيرهم، وواصل دراسته بسبته واشبيلية كان مشاركا في الفقه.¹

ومن أكبر الفقهاء الذين سكنوا بجاية **عبد الله بن محمد بن محمد بن عمر بن عيادة القلي أبو محمد** ت 699هـ/1071م² عالم وفقه مالكي أخذ عن أبي العباسي الملياني وقد أدركه الغير بني يدرس بالجامع الأعظم³، وهو أول من بدأت قراءة الفقه عليه، لقد كان منقطعا عن الدنيا⁴، حافظا للتاريخ.

ومن الفقهاء الذين يذكورهم الغبريني **أبو محمد عبد المنعم بم محمد يوسف بن عتيق الغساني** من أهل المغرب الأوسط⁵ اشتغل بالفقهاء ببجاية كان يشاور أهل العلم والفضل فكان معظما عند أهل بلده و ولاية الأمر توفى سنة 670هـ.1272م. لقي الكثيرين من المشيخة كابي الحسن الحرالي السابق الذكر له فقه وافر⁶. وفي نفس السنة توفى الفقيه إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام أبو إسحاق التنسي المطماطي. المالكي انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب الإسلامي تنقل بين مصر وتونس والشام والحجاز ثم عاد إلى تلمسان ودرس بها إلى أن مات⁷ سنة 670هـ.1272م.

¹ - يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ص103.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص65.

³ - التنبكتي: المصدر السابق، ص216.

⁴ - الحفناوي: ج1، المرجع السابق، ص240.

⁵ - الغبريني: المصدر السابق، ص132.

⁶ - نفسه، ص119.

⁷ - عادل نويهض: المصدر السابق، ص85. - خالد بلعربي: المرجع السابق، ص326.

ومن فقهاء بجاية الكبار أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن احمد بن عمر الأنصاري كان حيا سنة 675هـ.1285م. الصوفي المالكي. أصله من الأندلس¹. قال عنه الغبريني " يحمل فنوتا من العلم والفقه والفرائض والحساب عرض عليه منصب القضاء فرفضه شهد له الناس بعلمه ومكانته، حتى قيل لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله². توفى ببجاية التي قرأ بها على عدة مشايخ، له فنون من علم الفقه والمنطق والتصوف.

ومن الأئمة المعاصرين له الفقيه أبو القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي 675هـ/1276م. فهو رجل فقيه ومن مشايخ التقوى والدين والورع. استوطن بجاية مدة من الزمن فانتفع به الناس علما وعلماء فكان معتنيا بحمل علم الفقه والحديث³.

ومع اقتراب نهاية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي سجل عدة فقهاء في المغرب الأوسط أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر 680هـ.1281م، درس في بجاية ورجل إلى مشرق وكان له اهتمام بالفقه ودراية بأصول الفقه⁴.

ومن المهتمين بالفقه خلال هذا القرن المذكور يعقوب بن يوسف الزواوي عبد السلام البجائي⁵. درس الفقه في بجاية على المذهب المالكي⁶. وفي غيرها من المغرب الأوسط كان مجلسه معتبرا، ويعد من المفتين والمشاورين في وقته نشط في إلقاء الدروس⁷.

¹ - التبتكتي: المصدر السابق، ص280.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص86.

³ - المصدر نفسه، ص117.

⁴ - نفسه، ص205.

⁵ - الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص564.

⁶ - الغبريني: المصدر السابق، ص265.

⁷ - مجموعة من الأساتذة الحواصر... المرجع السابق، ص127.

وفي تلمسان أشتهر محمد بن احمد بن عمر أبو عبد الله بن الدراج التلمساني 693هـ.1294م من فقهاء المالكية فهو الفقيه والقاضي ونظرا لمكانته العلمية كان من خاصة يوسف بن يعقوب المريني حتى ولاه قضاء سلا.¹

ثم الفقيه أبو القاسم أبي بكر اليمني ابن زيتون² 691هـ.1292م المشهور ابن زيتون له علم وافر وفضل واعتدال، رحل إلى المشرق وحصل له على الفقه والعقائد الكلامية والجدل والمنطق يذكره الغبريني بأنه الرجل الصالح والمخلص.³

ومع نهاية القرن السابع الهجري نعثر على تراجم عدة علماء كان لهم أثر بالغ في تطور الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط نذكر منهم إبراهيم بن أبي بكر التلمساني⁴. المتوفى سنة 697هـ. 1297م حيث كان فقيها نابها وله في الفرائض أرجوزة تسمى التلمسانية⁵. وهي ضابطة للفرائض محكمة عجيبة شرحها أكثر من فقيه من المغرب الأوسط الأوسط مثل ابن زاغو.

ومن قلعة بني حماد ظهر الفقيه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله الأزدي⁶. يعتبر من حملة العلم. ومن أكابر أولى النهى والفهم وكان من المقربين لخلفاء عبد

¹ - عادل نويهض: المصدر السابق، ص75.

² - ابن فرحون: المرجع السابق، ص99.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص115.

⁴ - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص102.

⁵ - ابن فرحون: المصدر السابق، ص147.

⁶ - الحفناوي: المرجع السابق، ج2. ص1222.

عبد المؤمن لظاهرته¹ كان المرجع في الفتاوى وعلى قوله العمل ومع ذلك كان له انقباض على الناس توفى خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي.²

ووجد فقهاء عاشوا في القرنين السابع والثامن الهجري تذكر منهم الفقيه إدريس أبو العباس البجائي³. من فقهاء المالكية للكبار⁴ وعلماء بجاية في وقته ولكثرة صلاته أطلق عليه فارس السجاد⁵.

فهو عالم مهاب ووقور نقل عنه بعض الفقهاء منهم ابن عرفة⁶، وأحمد بن زاغو ومحمد بن بن بلقاسم المشدالي وغيرهم ونجد فقيها آخر خلال هذه الفترة هو أبو علي حسن بن بلقاسم بن باديس الذي يعتبر من فقهاء المالكية من أهل قسنطينة لقيه العبدري في أواخر القرن السابع الهجري وله هيبة ووقار.⁷

ثم يأتي الفقيه محمد بن موسى بن النعمان شمس الدين لأبو عبد الله المزالي التلمساني⁸ 606. 683 هـ (1209. 1284م) الصوفي الزاهد من فقهاء المالكية ولد ونشأ بتلمسان من آثاره "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام".⁹

¹ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 352.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 189.

³ - المقرئ: المصدر السابق، ج 5، ص 255.

⁴ - التبتكتي: المصدر السابق، ص 99.

⁵ - ابن فرحون الديباج، المصدر السابق، ص 138.

⁶ - الحفناوي، المرجع السابق، ج 2، ص 30.

⁷ - عادل نويهض: المصدر السابق، ص 27، العبدري: رحلة العبدري، المصدر السابق، ص 95.

⁸ - الصفدي: المرجع السابق، ص 52-89.

⁹ - بروكلمان: ج 1، ص 371.

وهناك قائمة من الفقهاء الذين لعبوا دورا أساسيا في الحركة العلمية بالمغرب الأوسط في الفترة التي ندرسها كعبد الغني بن عبد الجليل التلمساني الذي كانت له اهتمامات بالفقه وكان أيضا صوفي توفي سنة 721هـ-1321م، له تأليف عنوانه "ذريعة الوصول إلى زيارة حضرة جانب الرسول"¹ والفقير محمد بن الحسن البحصي المعروف بابن الباروني ولد ونشأ ونشأ بتلمسان ثم انتقل إلى فاس فأخذ عن أبي الحسن الصغير² وابن زيد الجزولي، ثم رجع إلى تلمسان، حيث كانت له مكانته العلمية والفقير فيها حتى تاريخ وفاته 734هـ، 1333م والفقير أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور كان عالما بالفقه³ والفرائض والحساب.⁴

ومن هنا نخلص إلى أن المغرب الأوسط عرف عددا كبيرا من الفقهاء والعلماء سواء المقيمين أو الزائرين والذين انتشروا في حواضر ومدن المغرب الأوسط للتدريس والتلقين ونشر التعليم حتى تحولت هذه المنطقة إلى قبلة للطلبة الذين وفدوا على المغرب الأوسط، الذي كان يعج بالفقهاء والعلماء.

¹ - محمد شاوش: المرجع السابق، ص 82.

² - محمد شاوش: المرجع السابق، ص 83.

³ - التتبيكتي: المصدر السابق، ص 230، الغبريني: المصدر السابق، ص 227.

⁴ - الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 488.

4- علم الكلام والعقائد:

قبل الموحدين وأثناء الفترة المرابطية لم يكن هناك اهتمام أو رعاية لعلم الكلام¹ لأن ذلك يخالف مذهب السلف الصالح الذي تجنب الولوج في مثل هذه القضايا تعلمًا وتدريسًا²، فالناس على عهد المرابطين لا يعرفون من عقائدهم سوى عقيدة السلف بما فيها من تقويض وتسليم³ لقد دان أهل المغرب ذلك الزمان بنقد من ظهر منه الخوض في علم الكلام، بل اتهموا كل من يخوض فيه بالكفر واعتبروه بدعة في الدين ينبغي التصدي لها ومحاربتها،

¹ - يعرف ابن خلدون علم الكلام بقوله: علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 467، ينظر أيضا فيصل بدير عون: علم الكلام ومدارسه، مكتبة القاهرة 1982، ص 48، -محمد حسين محسنة: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، 2000، ص 97. وعلم الكلام أيضا معناه ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحمودة التي صرح بها واضح الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقوال، علي عبد الفتاح المغربي: الفرق، المرجع السابق، ص 11.

ويسمى أيضا الفقه الأكبر لأنه يتعلق بالأحكام الإعتقادية الأصلية ويسمى كذلك علم التوحيد والصفات وعلم أصول الدين، علي سامي النشار: المرجع السابق، ص 54، ينظر أيضا علي عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 135.

² - محمد حسن العيدروسي: المرجع السابق، ص 542.

³ - عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص 52.

وتلك سياسة أدت لا محالة إلى محاربة ومعاداة كل من يقترب منه¹ وقد قرر الفقهاء عند علي بن يوسف بن تاشفين تقبيحه حتى أمر بإحراق كتب الغزالي لما دخلت المغرب الإسلامي، فموقف المرابطين كان غاية في التشدد² من علم الكلام³ ومع ذلك لا يمكن نفي وجود من اهتم بهذا العلم⁴ كأبو بكر محمد بن الحسن الخضرمي المرادي وهو من أدخل علوم الاعتقادات إلى المغرب الإسلامي ومات 489هـ-1096م⁵، لكن بمجيء محمد بن تومرت تغيرت أوضاع المغرب الإسلامي وأصبح هناك ميل واهتمام بهذا العلم فابن تومرت يعد المعلم والداعي الأول إلى الاهتمام بهذا العلم⁶ والتركيز عليه ويكون بذلك قد وضع أسس وقاعدة علم الكلام بالمغرب الإسلامي مما جعل المغاربة يستجيبون له تدريجيا ولم يكن المغرب الأوسط بعيدا عن تلك التحولات والبناء الفكري والعلمي والعقائدي الجديد الذي أسس له محمد بن تومرت، والاهتمام بهذا العلم سيعرف تطورا وازدهارا مع بقية خلفاء الدولة الموحدية على خلاف فترة المرابطين حيث اهتمهم ابن تومرت بالجمود والتجسيم⁷ وبذلك يكون ابن تومرت قد أحدث انقلابا سياسيا وعلميا ودينيا.⁸

¹ - المراكشي: المصدر السابق، ص172.

² - لقد رفض بعض علماء المسلمين الكلام وهاجموا المتكلمين كالشافعي ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل واعتبروا المتكلمين بعد المشركين وبالمقابل هناك من دافع عنه لأنه أحد الوسائل التي يدافع بها المسلم عن دين الله ووسيلة لإثبات القدرة الإلهية، فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص51.

³ - صابرة خطيف: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية: جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص91.

⁴ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص221.

⁵ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص486.

⁶ - ابن أبي زرع: الأنيس، المصدر السابق، ص173، عبد الله كنون: النبوغ، ج1، المرجع السابق، ص121.

⁷ - محمد حسن العيدروسي: المرجع السابق، ص571.

⁸ - مبارك الميلي: المرجع السابق، ص338.

ولترسيخ هذه العقيدة الجديدة ألف ابن تومرت باللسان البربري ما يسمى "بالمرشدة" وأعز ما يطلب، وكان من أعلام هذا العلم في دولة الموحدين: أبو الحسن علي بن محمد بن خلود الأندلسي الأشبيلي 557هـ، 1162م، الذي شرح عقيدة ابن تومرت بفاس ثم جاء بعده تلميذه أبو عمر عثمان بن عبد الله القيسي المعروف بالسلاجي الذي يعود الفضل إليه في إقناع المغاربة بصحة عقيدة ابن تومرت¹ إذن ليس هناك شك أن ابن تومرت هو من حمل المغاربة على الأخذ بمذهب التوحيد الكلامي² فالمغاربة قبله كانوا لا يعيرون أي اهتمام لهذا لهذا العلم على حد قول السلفيين "فر من علم الكلام في أي صورة كما تفر من الأسد³ فعلم الكلام يتصدى لتأويل المتشابه من أي القرآن الكريم وهذا يتنافى ومعتقد السلف الصالح⁴.

وللتأكيد على تجاوب أهل المغرب الأوسط مع هذا العلم، نستعرض نماذج من العلماء الذين تركوا آثارهم في ذلك خلال فترة القرنين 6 و7 هجري (12.13 ميلادي).

• **عبد الحق الأشبيلي:** بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسن الأزدي الأشبيلي نزيل بجاية التي نشر بها علمه فقد عاش هذا الفقيه والمحدث المتكلم ما بين 510هـ. 581هـ.⁵

¹ - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 294.

² - على حد قول المراكشي: فإن طريقة ابن تومرت التوحيدية أشعرية لا هي معتزلة ولا هي مذهب السلف الصالح، عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 184، والبعض الآخر يرجعها إلى مذهب الحزمية وقد استمرت هذه العقيدة في الكلام إلى غاية سقوط دولة الموحدين، عبد الله علام: المرجع السابق، ص 304.

³ - الشهرستاني: الملك والنحل، ج 1، المصدر السابق، ص 119.

⁴ - علي عبد الله علام: الدولة، المرجع السابق، ص 304.

⁵ - ابن فرحون: الديباج، المصدر السابق، ص 276-277. ابن الأبار: التكملة، ج 2، ص 648. شهاب شهاب الدين: شذرات الذهب، ج 4، ص ، الذهبي: سير الأعلام الثلثاء، ج 3، ص 46.

• محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري التلمساني: 536. 625هـ،
1041. 1228م فقيه ومتكلم حتى أنه كان مكر ما عند السلاطين.¹ اشتغل هذا الندرومي
بالقضاء إلى جانب بروزه في الفقه كان متمكن في النحو، حافظا للحديث ومتكلم تنتقل بين
فاس ومراكش والأندلس.

• محمد بن حكم بن محمد بن احمد بن باق يكنى أبا جعفر: حدّث عنه أبو
الوليد بن خيرة و أبو مروان الصقيل. كان مفتيا بفاس ونال حظا عظيما من علم الكلام²
وبقي على حالة حتى تاريخ وفاته بتلمسان سنة 538هـ.

• أحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية بن نصر الأزدي: بلنسي أبو جعفر
روى عن صهره أبي الحسن بن هزيل، وأبي بكر بن العربي، وأبي عبد الله يوسف بن سعادة
وغيرهم، كان حافظا للفقه عارفا بأصوله مجيدا في علم الكلام، توفى بجزائر بني مزغنة سنة
547هـ أو 548هـ. 1153م.³

• الفقيه حسن بن أبي زكون: الذي توفى سنة 553هـ. 1158م والذي يذكره
عمار هلال ويثني عليه⁴ الذي يبدوا أنه كان مشاركا في عدة علوم بالمغرب الأوسط.

• أبو علي حسن بن علي المسيلي: الذي توفى سنة 580هـ. 1184م¹ صاحب
صاحب التذكرة في أصول الدين وكتابة التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات حسب
المبادئ والغايات² سلك أبي حامد الغزالي في كتاب الأحياء.

¹ - الزركلي: الإعلام ج 6 ص 186، الحفناوي: المرجع السابق، ج 2 ص: 395، ابن عبد المالك
المراكشي: التكملة السفر 8، ص 327.

² - ابن الآبار: التكملة، ج 1، ص 360.

³ - عبد الواحد المراكشي: الذيل، السفر 1، ص 143. ابن فرحون الديباج: المذهب، المصدر السابق،
ص 114.

⁴ - عمار هلال: المرجع السابق، ص 147.

• **صالح بن خلف الأنصاري الأوسي:** الذي توفى سنة 586هـ. 1190م ويكنى بأبي الحسن روى عن أبي علي منصور بن الخير، وأبي الحسن بن الطراوة وبتلمسان³، أخذ العلم عن أبي جعفر بن باق، كان فقيها متكلمًا و متمكنًا في علم الكلام روى عنه أبوه محمد بن حوط وأخوه سليمان.

• **الفقيه المتكلم علي بن محمد بن خيار البنسي:** سكن مدينة فاس وبها توفى، سمع من أبي عبد الله بن الرمادة، ولقي بتلمسان⁴ أبا الحسن بن أبي كنون كان تاركًا للتقليد مائلًا إلى النظر والاجتهاد تميز في علم الكلام والأصول والتصريف وهو القائل "تجدد نسيانا كذا كل هالك، ونأمن أحيانًا ولم يأتينا أمن"،⁵ توفى سنة 605هـ/1208م.⁶

• **محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيني المرسي:**⁷ الذي توفى سنة 610هـ. 1214م يكنى أبا عبد الله تجول في بلاد الأندلس طالبًا العلم، واستوطن تلمسان حتى توفى بها، وله تآليف كثير منها البرنامج الأكبر والبرنامج الأصغر.⁸

• **إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق بن دهاق:** المعروف بابن المرأة المتوفى سنة 611هـ. 1215م نزيل تلمسان بزراع في علم الكلام¹ يكنى أبا إسحاق فقد جمع بين الفقه

¹ - ابن قنفذ: أنس، المصدر السابق، ص34-35، التكني: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص104.

² - الغبريني: عنوان الدراسة، المصدر السابق، ص66.

³ - ابن الأبار: التكملة، السفر8، ص164.

⁴ - عبد المالك المراكشي: التكملة، السفر8، ص164.

⁵ - الزركلي: الإعلام، المصدر السابق، ج6، ص191.

⁶ - علي بن أبي زرع: الذخيرة السلبية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط 1972، ص45.

⁷ - المقرئ: نفع الطبيب، المصدر السابق، ج2، ص379.

⁸ - الزركلي: المصدر السابق، ج2، ص191.

والحديث والكلام الذي درسه بالأندلس² له شرح الإرشاد لأبي المعالي وكتاب في مسائل الإجماع.

• **محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي القلعي:** روى عن

الحسين ابن طاهر بن محشره بالمغرب الأوسط³ وصهره أبي إسحاق بن حماد وكان حافظا للفقهاء نظار فيه ذو اهتمام بعلم الكلام، عرف بتواضعه وورعه والانقطاع إلى العلم.

• **عبد الرحمن بن يخلفين بن أحمد البخفشي الفزازي:** الذي توفي سنة 626هـ،

1228م فقيه وشاعره وله اهتمام بعلم الكلام كان متشددا مع المبتدعة.⁴

الفقيه: والمتكلم الذي يذكره صاحب النبوغ المغربي⁵. فهو نزيل بجاية وتلمسان.⁶

• **محمد بن إبراهيم الأصولي المهدي:** من أهل بجاية⁷ رحل إلى المشرق فقصد

مصر ولي قضاء بجاية بعد ذلك كان متقدما في الفقه و علم الكلام حتى اشتهر بالأصولي⁸ كان يميل إلى قراءة كتب الغزالي اشتهر بالعكوف على العلوم القديمة الفلسفية⁹ كان دائم

¹ - ابن فرحون الديباج: المصدر السابق، ص147. - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص118. -

ابن الآبار: التكملة، ج1، المصدر السابق، ص140.

² - الصفدي: المصدر السابق، ج6، ص110.

³ - عبد المالك المراكشي: السفر، ج8، المصدر السابق، ص327.

⁴ - الزركلي: الاعلام ج3، المصدر السابق، ص342.

⁵ - عبد الله كنون: النبوغ، المرجع السابق، ص159.

⁶ - الغبريني: المصدر السابق، ص228. علي عيشي: المرجع السابق، ص232.

⁷ - ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص163.

⁸ - الغبريني: المصدر السابق، ص: 208

⁹ - الصفدي: ج2، المصدر السابق، ص259. عادل نويهض: المرجع السابق، ص18.

الاهتمام والحضور لمجلس المنصور الموحي كما عرف عنه ميله واهتمامه بالخلاف والجدل وشديد على الولاية.¹

• أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجزري التلمساني: 584هـ.656هـ.

1198. 1258م أحد فقهاء المذهب المالكي تربي بتلمسان ثم رحل إلى المغرب الأقصى ثم غادرها إلى مصر حيث جمعه اللقاء بعدة فقهاء أخذ عنهم علوم كثيرة من مؤلفاته شرح الجلاب.²

والخلاصة أن فترة القرنين (6 و7هـ)/(12، 13م) كانت فترة هامة من تاريخ المغرب الأوسط عرفنا من خلالها بروز عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين كان لهم أثر بالغ في تطور هذا العلم، وبالتالي الحركة العلمية بالمغرب الأوسط من خلال تحوّل حواضره الكبرى إلى مجال لالتقاء الفقهاء من كل أنحاء المغرب الإسلامي، والأندلس، وغيرها ساهموا بدورهم في دعم الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط. فالحركة العلمية بالمغرب الأوسط ظلت متواصلة طيلة القرنين (6 و7هـ) (12، 13م) بكل أطوارها ومجالاتها، مساهمة بذلك في رسم المكانة العلمية والجغرافية للمغرب الأوسط، ولا شك أن هذه المنطقة سرعان ما تحوّلت إلى مركز ثقافي وعلمي، تسربت منه العلوم والمعارف والفنون إلى المغربين الأقصى والأدنى، ثم إفريقيا السوداء والمشرق.

¹ - التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 278.

² - التنبكتي: المصدر نفسه، ص 29. الحفناوي: المرجع السابق، ج 2، ص 230. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 74.

1- علم التاريخ:

يقول ابن خلدون عن التاريخ " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على احوال الماضي من الأمم وأخلاقهم، والأنبياء وسيرهم، والملوك ودولهم، وسياستهم"¹.

وفي هذا المعنى يضيف قسطنطين أن "التاريخ يقوم على صناعة معينة، ولهذه الصناعة قواعدها وضوابطها وشروطها، وأنها توشك أن تكون أكثر الصناعات العقلية مطالب وأثقلها تكاليف، فهي تقتضي معارف متصلة بثتى العلوم والآداب والفنون وأسلوبا في التحقيق والتدقيق..."² والتاريخ أيضا التعريف بالوقت الذي به تضبط الأحوال³ فهو العلم الذي يتضمن ذكر الوقائع وأوقاتها وأساليبها ومظاهر الحضارة وازدهارها وعوامل انهيارها، إذن فموضوعه الإنسان والزمان.

¹ - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج1، ص 13، زينب محمد الخضيرى: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 2006، ص 54.

² - قسطنطين رزيق: نحن والتاريخ. مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وصنع التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط، 1959، ص 89.

³ - شمس الدين بن عبد الرحمان السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دراسة وتحقيق محمد عثمان، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص 20، وقد طبعه روزنتال مع الترجمة الذي جعله تعليقا على ترجمته الإنجليزية، ينظر: حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص 12 وينظر أيضا: شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص 15، حيث يقول أن أهم كتاب تناول الموضوع فهو كتاب السخاوي: الإعلان بالتوبيخ... لم يظهر قبله ولا بعده كتاب مثله تناول علم التاريخ الإسلامي كعلم بالبحث والدرس ولو أن اختصاصه كفقيه لم تمكنه من التعمق أكثر، ص 17.

لقد نشأ التاريخ¹ العربي نشأة طبيعية نظرا لحاجة المجتمع العربي الإسلامي استجابة للظروف السياسية والدينية والاجتماعية التي أصبح يمر بها المسلمون، ودخلوا التاريخ من باب معرفتهم لأيام العرب والسيرة النبوية وأخبار الصحابة.² بل وجعل القرآن بعض المعرفة التاريخية أمر لا يمكن الاستغناء عنه³.

ولكن هذا لا يعني أن المغاربة لم يكن لهم اهتمام بالتاريخ، فالأداسة والفاطميين وقبلهم الرستمييين والحمادييين والموحدين ثم الزيانيين كلهم كان لهم اهتمام بالغ بهذا الفن، فأكد أن الخلفاء والملوك وحكام هذه الدول قد اعتمدوا على مؤرخين كتبوا لهم وعنهم الكثير. فكتب التراجم والسير تعج بذكرهم⁴، وبحلول القرن السادس الهجري بدأت المحاولات الجادة في كتابة التاريخ للغرب الإسلامي وخلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين كانت كتابة قد أخذت تتوسع وتتوسع من تاريخ سياسة الملوك والدول والسير وللأمراء⁵ والأعلام.

وكما أشرت سابقا، إن فترة الموحدين بدأت تعرف تزايداً في الاهتمام بالتاريخ، فقد عرفت الحركة العلمية تطورا خلال عهدهم، فوجدت طائفة من المؤرخين المغاربة كتبوا التاريخ واقتحموا مجالاته المختلفة من سرد وتراجم للملوك والأمراء والبلدان⁶، وبذلك تكون قد

¹ - فأصل لفظ التاريخ العربي مشتق من لفظ Arch الذي ينطق في اليونانية "أرخ" ومعناه القديم أو القدم، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 115. ويذهب آخر إلى أن لفظ التاريخ هي كلمة يونانية تعني جذورها فعل النظر أو بالأحرى شاهد العيان. جوزف هورس: قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1982، ص 10.

² - ابراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص 246.

³ - مارغوليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2001، ص51.

⁴ - ينظر ابن غداري: البيان الموحي، المصدر السابق، ص-ص: 173-251. و ابراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص248.

⁵ - نفسه، ص 248.

⁶ - محمد المنوني: حضارة الموحدين، المرجع السابق، ص 47.

نشطت¹، ولكن الظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها منطقتنا وما نتج عنها من تغيرات وتقلبات قد أزلت وأخذت معها الكثير مما كتبه المؤرخون الذين عاشوا تلك الفترة.

ولم يكن المغرب الأوسط بمعزل عن تلك التطورات والأحداث السياسية والثقافية، فعلم التاريخ له أهميته عندنا كباقي العلوم الأخرى، وحتى وإن لم يكن له مكانته مقارنة مع العلوم الأخرى وذلك بحكم الميل إلى العلوم الدينية النقلية خاصة، وقد حاول بعضهم تفسير ذلك مرده على سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية قد أضعفت العناية بالتاريخ والسير وأخبار الأولين ومن المحتمل أنها أضعفت دافع التأليف في هذا المجال، وحتى الذي كتب من قبل لم يجد تقليداً أو رجوعاً إليه². وقد ذهب البعض إلى أن الرجوع إلى التاريخ ضد الدين والأخلاق³.

ونقلا عن الورتلاني "أن علم التاريخ منعدم عند أهل المغرب الأوسط فهو ساقط عندهم. فتري المتوجه منهم إلى ذلك يرى الكلام فيه مسقط من عين الله تعالى"⁴. لكن رأى ابن خلدون ومن تبعه في مدح التاريخ وتبيين محاسنه كافية للرد على من يعتقد في هذا الكلام بل وكل من جانب التاريخ وأبحر في غيره من العلوم الأخرى. فهو ليس لغوا وهو لا يقتصر على أخبار الماضي أو أساطير الأولين، بل هو "يدرس التجربة الإنسانية أو جوانب منها ويسعى إلى فهم الإنسان وطبيعة الحياة على وجه الأرض وبالتالي سيعيننا على قطع ما بقي من هذا الطريق"⁵.

¹ - الحيلالي سلطاني: المرجع السابق، ص 57.

² - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 321.

³ - المرجع نفسه، ص 322.

⁴ - نفسه، ص 322.

⁵ - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 12.

فلا يمكن أن تعقد الندوات والجلسات والنقاشات داخل بلاط الحكام أو خارجها دون ذكر الشخصا ص والظروف والأحداث التي كانت تشكل جزء من حياتهم وعنصرًا من دولهم، فأيام العرب ومسيرة الملوك وأحوالهم كانت تملئ أجنحة بلاطات الحكام.¹ ورغم ذلك فإن المغرب الأوسط ظل طيلة القرنين المدروسين 6 و 7 هـ. (12-13م) مجالًا للمؤرخين المغاربة وغيرهم الذين ساهموا في نشر معارفهم وعلومهم وتركوا بصماتهم وأثارهم التي ما تزال تخلدهم وتذكرهم نذكر منهم: أبو عمار عبد الكافي التناوتي الورداني: يذكره الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشرة (550-600 هـ) فهو مؤرخ وفقهه² ينسب إلى ورجلان التي كانت تسكنها قبيلته تناوت البربرية، فقد خدم العلم حتى وعاه³ ثم أخذ يفتيه ويعلمه، وكان ذا كرامات.⁴

أبو عمر، عثمان بن خليفة المارغني السوفي: ⁵ عالم وراو إباضي من مواليد واحة سوف التي كانت مركزا إباضيا هاما وقد ذكر ضمن كوكبة العلماء الإباضيين المنتمين إلى هذا البلد، وقد عرف عنه ميله إلى الجدل⁶ والكلام. يكون قد توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجري قبل 530 هـ/1135م.⁷

¹ - ابن مرزوق: المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص-ص: 275 - 277.

² - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص-ص: 485-486.

³ - تاديوس ليفتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 64.

⁴ - علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 157.

⁵ - ليفتسكي: المرجع السابق، ص 70.

⁶ - الشماخي: المصدر السابق، ص 420.

⁷ - يحي معمر: المرجع السابق، ص 168.

أبو عمران بن الشيخ أبي الربيع سليمان بن موسى: راو ومؤرخ¹ عاش خلال النصف الأول من القرن السادس.²

أبو اسماعيل أيوب اسماعيل: مؤرخ إباضي³ وشاعرا عاش في النصف الأول من القرن السادس، فهو مرجع إباضي هام. يقول عنه الدرجيني "إن سئل في العلم أجاب وأقنع، كريم مع طلبته وأهله، ذكرت عن كراماته الكثير".⁴

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي، ت 570 هـ / 1174م⁵ أحد أهم الإباضيين عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، كان له اهتمام بالتاريخ⁶ ويعلم أخرى، أصله أصله من سدراتة حج ثم سافر إلى قرطبة، توفي بورجلان. له عدة مؤلفات، منها:⁷ "التاريخ الكبير لورجلان وسدراتة ووادي ريغ" وهو غير معروف وكتاب "الدليل والبرهان"، "جوابات ورسائل"، "القصيدة الحجازية"، "تفسير كتاب الله" وكتاب "العدل والإنصاف"⁸، "ترجمة رجال الإباضية".

أبو زكرياء يحيى بن جعفر المزاتي: مؤرخ⁹، سكن واد ريغ، كان ضمن حلقات الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، توفي بعد 504 هـ - 1110م، قبل تأليف الجزء الثاني من كتاب السيرة لأبي زكرياء الورجلاني.¹

¹ - الدرجيني: المصدر السابق، ص 473.

² - الشماخي: المصدر السابق، ص ليفيتسكي، المرجع السابق، ص 80..

³ - ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 120.

⁴ - الدرجيني: المصدر السابق، ص-ص: 459 - 460.

⁵ - حاجيات: الجزائر في التاريخ، ج3، المرجع السابق، ص 341.

⁶ - علي يحيى معمر: المرجع السابق، ص 183.

⁷ - الشماخي: المصدر السابق، ص 444.

⁸ - ليفيتسكي: المرجع السابق، ص-ص: 129-130.

⁹ - الدرجيني: المصدر السابق، ص-ص: 459 - 460.

محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي أبو عبد الله 548-628 هـ (1154-1231م) مؤرخ وأديب وشاعر نشأ ببرج حمزة² درس في قلعة بني حمّاد ، تنقل بين بجاية وتلمسان بحثا عن العلماء ومجالستهم³، ورحل إلى الأندلس ثم مراکش التي توفي بها، له عدّة مؤلفات "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة"، و"أخبار ملوك بني عبید"⁴ و"عجالة المودع وعلالة المشبّع" الإعلام بفوائد الأحكام، تلخيص تاريخ الطبري"⁵.

يحي بن عباس بن أحمد بن أيوب القيسي: مشارك في عدّة علوم⁶ ولد بقسنطينة وبها تعلم، ثم رحل إلى الأندلس⁷ ثم عاد إلى بجاية وأفاد بها كثيرا، ألف برنامجا ضمنه شيوخه، وما سمعه عليهم

عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي: أبو محمد مالكي⁸ له اهتمام بالتاريخ، استقر ببجاية، مشارك في عدّة علوم أخرى ميالا إلى الفقه. كان مدرسا بمسجد بجاية⁹

أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي: الذي توفي سنة 629 هـ / 1233م فهو القاضي والمحدث برز في علم القرآن والحديث وعلم الأصول¹ والنحو والتاريخ وكان له في كل فن من هذه الفنون حظا وافرا.

¹ - ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 140، ينظر أيضا: صالح يوسف بن قرية: تاريخ مدينة المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، منشورات الحضارة، ط1، 2009، ص 210.

² - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 197، دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ج2، ص 473. أخذ عنه ابن خلدون في تاريخه، ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 91.

³ - عبد المالك المراكشي: الذيل، السفر الثامن، المصدر السابق، ص 311

⁴ - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص 39.

⁵ - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 48.

⁶ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 271.

⁷ - ابن الأبار: صلة الصلة، ص 202، رقم 393..

⁸ - الغبريني: المصدر السابق، ص 65. التتبعي: المصدر السابق، ص 139.

⁹ - صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 211. الحقاوي، المرجع السابق، ص 240.

أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبادة القلعي: الذي توفي سنة 669 هـ، كان من الحافظين للتاريخ، كان منقطعاً عن الدنيا متخلياً عنها، كان مفضلاً عند الخلفاء لا يقدمون على أمر إلا بعد استشارته.²

- حسن بن عبد الله الأشيري التلمساني: فهو جمع بين الأدب والتاريخ ت. 569 هـ- 1179م³. من أهل تلمسان نشأ بها وأخذ عن الأستاذ أبي علي بن الخراز. كان من أهل العلم. كان ناظماً ناثراً، يقول عنه صاحب التكملة وقفت عليه بخطة ومختصر في التاريخ.

- جابر بن أحمد القرشي التلمساني كان حياً سنة 578 هـ. 1182م. من أهل تلمسان روى عن أبي بكر بن خير وكان من أهل العناية بالرواية⁴ والمعرفة بأسماء الرجال وكانت له إجازات من مشايخ من أهل الحديث.⁵

- عبد الحق الإشبيلي البيجائي ت 581 هـ / 1185م. الذي خطا خطوة في التأليف من خلال كتابة معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم⁶ وكان يأتي من العلم بفنونه.⁷

- محمد بن عبد الرحان التجيبي أبي عبد الله نزيل تلمسان ت 610 هـ / 1214م كان من الملمين والمهتمين بالتاريخ والفتاوى وكتب في مناقب وسير حفيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه "مناقب السبطين الحسن والحسين".¹

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 13.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 93. التتبعي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 216.

³ - ابن الأبار: صلة الصلاة، ص 202، رقم 393.

⁴ - المصدر نفسه، ص 202، رقم 393.

⁵ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 68.

⁶ - خالد لصمدي: ج 1، المرجع السابق، ص 207، علي عشي، المرجع السابق، ص 256. عادل

نويهض: المرجع السابق، ص 167.

⁷ - الغبريني: المصدر السابق، ص 58.

أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى الأغماتي: فهو نحوي ولغوي ومؤرخ استوطن بجاية وولى بها القضاء، فكان أعلم الناس بكتاب سبويه، ذو أخلاق كريمة²

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي: ت 633 هـ / 1235م وفقهيه ومحدث وحافظ ومؤرخ سكن بجاية مدّة، من مؤلفاته: "النبراسفي تاريخ خلفاء بني العباس".³

أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سليمان بن محمد: يعرف بابن محرز البلنسي (569 هـ - 655 هـ) مؤرخ ولغوي وأديب⁴ درس بالأندلس قضى حياته في طلب العلم ومجالسه العلماء، فكانت تقرأ عليه كتب الفقه والحديث واللغة، فبعها كلها كان يقضي يومه بين التدريس والرد على المسائل ومقابلة أهل العلم والاختصاص.

أبو الحسن علي بن مؤمن بن علي الحضرمي. ابن عصفور 597 هـ - 670 هـ⁵ الذي ستوطن بجاية وفيها أصبح معلّم للأمير أبي يحيى رحل إلى إفريقية حيث أصبح أحد خواص مجلس المستنصر بالله، شرح جزء من كتاب الله العزيز، وكان ذا خلقٍ عظيم فقد كان حاملاً لواء العربية⁶، وله تأليف "الهلال".

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام التدلّسي يعد من الكتاب والفقهاء، وهو مؤرخ سكن بجاية وكان له اهتمام بالطب، ويكتب الشعر.⁷

¹ - ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص: 245..

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 196.

³ - نفسه، ص 228.

⁴ - نفسه، ص 242.

⁵ - صلاح الدين الصفدي: الوافي، ج22، 167.

⁶ - نفسه، ص 167.

⁷ - الغبريني: المصدر السابق، ص 294.

إبراهيم الغساني: ت 633 هـ - 1263م، مؤرخ موهوب وله دراية بعلم الأنساب¹ فهو تلمساني النشأة وبها تعلم على يد كبار العلماء، نذكر منهم أبي عبد الله التجيبي، وابن عبد الحق وغيرهما²

وقد أنجب المغرب الأوسط أهم علامة ومؤرخ خلال الفترة التي ندرسها وهو أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي أبو العباس الغبريني، القاضي والمؤرخ³، وله اهتمام بعلم الحديث والتفسير والعربية والمنطق، ويعد من كبار الفقهاء بالمغرب الأوسط، نشأ ببجاية⁴ وتعلم بها وأخذ عن أبيه. وتعود قوة إنتاجه⁵. وكثرة علومه إلى تعدد شيوخه الذين بلغ عددهم عددهم السبعين شيخا من المغرب الأوسط وإفريقية والأندلس وولي القضاء ببجاية لقوة شخصيته وسعة معارفه واهتمامه باللغة والفقه والتاريخ، حتى كثر حساده فقتل سنة 704 هـ⁶.

الدرجيني: أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي يخلف الدرجيني المزاتي، ولد ببلاد الجريد وتعلم بها وأخذ عن أبيه، ثم انتقل إلى ورجلان بالمغرب الأوسط وهو صغير حوالي 616 هـ / 1220م وبها جلس إلى علماء كبار على رأسهم أبو سهل يحيى بن إبراهيم عالم وشيخ ورجلان⁷. نمت ثقافته بالمطالعة والدراسة الشخصية⁸.

¹ - الحفتاوي، المرجع السابق، ج3، ص 332.

² - نفسه، ص 332.

³ - ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 128.

⁴ - الغبريني، المصدر السابق، ص 13.

⁵ - تعريف الخلف برجال السلف، المرجع السابق، ص 22.

⁶ - ابن فرحون: الديباج المذهب، المصدر السابق ص 136.

⁷ - الدرجيني: المصدر السابق، ص-ص: 10-12.

⁸ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 286.

ولا تخرج من هذه الفترة حتى نلتقي بعدة مؤرخين عاشوا في المغرب الأوسط تذكرهم المراجع لم يتم تحديد تاريخ ميلادهم ولا وفاتهم والذين ساهموا بقسط وافر في دعم وتوسيع الحركة العلمية والثقافية بالمغرب الأوسط خاصة عند الإباضية حيث نعثر على أسماء عديدة في تراجم الشماخي والدرجيني، نذكر منهم أبو موسى عيسى النفوسي الوجداني وأبو عيسى بن يوسف المذيوني مؤرخ الإباضية والذي كان معاصر لشيخ أبي عمرو أحد شيوخ الوهية، وأبو رحمة حنيني كاتب سير ومؤرخ من وجدان، وأبو سهل إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم راو وكاتب سير.

ومما سبق نستخلص أن التاريخ كان من العلوم الأساسية المتداولة في المغرب الأوسط بدليل التراجم التي عثرت عليها بتواريخها أو الأخرى التي يشار إليها فقط، فلا شك أن العدد الكبير من المؤرخين ساهموا في كتابة وتدوين وحفظ تاريخ المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة وكان مادة متوفرة لمن جاء بعدهم، فألفت الكتب والتراجم والسير والفهارس لقنت للطلبة والمحبين للعلم عبر مناطق المغرب الأوسط لأزمنة بعيدة ولولا الظروف السياسية والعسكرية التي مر بها مغربنا الأوسط والتي أزلت وأتلفت جزءا مهما مما كتب عن هذه المنطقة لمئنت مكتباتنا وكثرت المصنفات في هذا المجال، ومع ذلك فإن ما كتب ودون عن مغربنا الأوسط يزيدنا شرفا ويقينا بأن هذه المنطقة لم تكن معزولة عن بلاد العالم الإسلامي وما كان يجري فيها من اهتمام بالعلوم والمعرفة وتجعلنا بحكم أن أبناء المغرب الأوسط ساهموا بتطوير الحركة العلمية والثقافية بهذه البلاد.

2- علم الفلسفة:

الفلسفة معناها محبة الحكمة، والفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة. وهي نوعان القولية أي قول الحق والفعلية، فعل الصواب.¹

فالفيلسوف باللسان اليوناني محب للحكمة². وقد ظلت الفلسفة أم العلوم وأساسها، لكن لكن موقف المسلمين منها جعل الطلبة والدارسين والمهتمين بالعلوم يطرحون أكثر من سؤال، فهل يجوز التبحر فيها والكشف عن تفاصيلها وتفكيك خيوطها والوقوف على حقيقتها أم يكفي تجنبها.

فانطلاقاً من الفلسفة اليونانية لتي لا تقيم أهمية للأديان، فهي في رأي الفقهاء أقرب إلى الضلال وطريقة الإلحاد وتفسد العقيدة³. واقتداء بالسلف الصالح كالإمام مالك الذي لم يكن ويقبل بتأويل الآيات المتشابهات وكذلك فعلاً الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل.⁴

¹ - محمد بن اسماعيل السيد أحمد: ترتيب العلوم المحمدية أبي بكر ت 1145 هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 1985، ص 203.

² - نفسه، ص 203.

³ - محمد آيت حمو: ابن خلدون بين نقد الفلسفة والانفتاح على لتصوف، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2010، ص 17. يقول الفرابي: الفلسفة حدّها وماهيتها أنها العلم بالموجودات والفلسفة التي هي علم بالموجودات ليست في الحقيقة علماً واحداً بل تشمل علومًا متعدّدة عزمي طه السيد: الفلسفة والدين في مدينة الفرابي الفاصلة، أعمال الملتقى الدولي، الجزائر مارس 2010، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ص 22.

⁴ - عبد الله علي علام: الدولة... المرجع السابق، فالجزء الذي ينتقده البعض ومنهم ابن خلدون في الفلسفة ما تعلق بالعلم الإلهي، محمد آيت حمو: المرجع السابق، ص 21، والهجوم الذي يعلنه على الفلسفة لا يشمل كل أقسام الفلسفة، ولا شك أن اعتراف منه أن الفلسفة موجودة عنده، طالما أنه يقر أن العمران يزدهر عندما تنتشر العلوم العقلية وما الفلسفة إلا جزء منها، وحتى إن حكم عليها بالبطلان

ويبدو أن بدايات الفلسفة الأولى في بلاد المغرب الإسلامي قد وصلت خلال القرن الثاني، تزامنا مع تواجد الفكر الاعتزالي فهي إذن بذور للفلسفة. بينما ترسيمها كعلم في هذه المنطقة تأخر إلى غاية القرن السادس الهجري¹ وبحلول القرن السابع الهجري بدأ الاهتمام بها بدول المغرب الإسلامي. فخلال فترة المرابطين لم تعرف الفلسفة أي اهتمام لهيمنة الفقهاء على مجتمع المرابطين، وكان في حرق كتب لغزالي مظهرا يوحى برفضها، فلم تجد الفلسفة وعلم الكلام تأييدا من حكام المرابطين، إن المتفق عليه، أن الفلسفة عرفت نهضة متواصلة في عهد الموحيين.² فابن تومرت جاء يدعو إلى التحرر الفكري ومحاربة الجمود لعقلي مما جعل الفلسفة تتوسع أكثر خصوصا بعدما وجدت الدعم والمساندة من قبل بعض الخلفاء.³ والواقع أن انتعاش الفلسفة في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 6 و7 / 12، 13م كان نتيجة ازدهار الحركة لعلمية والثقافية، وقد نضيف عاملا آخر مهما هو السمعة التي كن يتمتع بها الفيلسوف ابن طفيل وكذلك ابن رشد باعتبارهم من المقربين للخليفة الموحي أبي يعقوب خاصة ابن طفيل الذي كان طبيبا له.⁴ ثم أن الفلسفة عند المشاركة فاقت فلسفة المغاربة ربما لبلوغ المشاركة درجة عالية من التحرر، ثم لكون منطقة الشرق كانت تعج بالفرق والمذاهب التي تبنتها الفرق.⁵

والفساد، فلا مانع من جني ثمارها ولاستفادة من فوائدها شريطة التسلح بسلاح الشرع وتكمن فوائدها في شحذ الذهن ي ترتيب الأدلة بالحجج لتحصل ملكة الجودة والصواب في البراهين. فابن خلدون يشترط =على دارس الفلسفة تعلم علوم الفقه والتفسير قبل الإقبال على دراسة الفلسفة لأن حدودها لكفر والإلحاد. محمد آيت حمو ، المرجع السابق، ص-ص: 25-31.

¹ - إبراهيم حركات: مدخل ج 1، المرجع السابق، ص 391.

² - محمد المنوني: حضارة، المرجع السابق، ص 69.

³ - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 175.

⁴ - شارل اندري جوليان: تريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1978، ص 163.

⁵ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 363.

بخلاف بلاد المغرب حيث كانت تدرس الفلسفة على أنها علم كباقي العلوم الأخرى دون أي موقف منها، وهذا طبعا ل فراغ بلادنا من المذاهب والفرق والصراعات التي كانت قائمة بينها، وفي نفس الفترة نجد أن الفلسفة في الأندلس تتكون قد قطعت أشواطاً وبلغت درجة التقدم ويبدو أن تأثير ذلك يكون قد امتد إل بلاد المغرب الأوسط.

فالموقف السلبي لبعض خلفاء¹ الدولة الموحدية جعل لكثير من الطلبة يتجنبون تعلم هذا العلم لتفادي غضب لفقهاء والخلفاء معاً رغم ما عرف عن الموحدين من حرية التفكير والتحرر بشكل كبير².

فوجد يوسف بن عبد المؤمن الذي عرف عنه ميله إلى الأدب وتفوقه في النحو وميله إلى الفلسفة، أمر بجمع كتبها³، كما جمع حوله ذوي الاختصاص من المغرب والأندلس، ولا شك أن رعايته للفلسفة يكون قد أعطى حافزا لهم لإنجاز أعمال فلسفية هامة، ويكفي أن نذكر عمل ابن رشد الذي ترجم ولخص كتب أرسطو وعددها خمسة في مجال الفلسفة سماه كتاب الجوامع⁴.

وابتداء من القرن السابع الهجري ظهر بالمغرب الوسط، عدد من الفلاسفة نذكر منهم.

¹ - ففي فترة يعقوب وخلال محنة أبي الوليد بن رشد التي جعلت لخليفة الموحدي يمر بتره العلم جملة واحدة انظر : عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 225، فأحرق كتب الفلسفة إلا ما كان من الطب والحساب، ولعل ه الحادث يكون قد أثر على انتشار الفلسفة والاستفادة منها ولولا تداركه الأمر وتراجعته عن موقفه، فأعاد الاعتبار للفلسفة وأكرم ابن رشد بع أن عفا عنه، نفسه، ص 225. وقد أقنعه من جديد بتعلم الفلسفة لكن ابن رشد توفي سنة 594 هـ، ينظر: ابن الأبار - التكملة، ج2، ص 685، ينظر أيضا محمد المنوني، لمرجع السابق، ص 69.

² - كادت الفلسفة أن تنحصر في أب يوسف ووالده، ابراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 362.

³ - ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص 392.

⁴ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 180.

عبد الوهاب بن يوسف: من أهل بجاية¹ الذي اهتم بأصول الدين وأصول الفقه إلى جانب الفلسفة وقد شرح كتاب في الحكمة سماه "كشف الأسرار عن غوامض الأفكار" الذي ألفه محمد الخونجي.²

ابن الرمامة: وهو محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي أبو عبد البله المعروف بابن الرمامة³، ولد في نهاية القرن الخامس الهجري 478 هـ - 1085 م. فهو فقيه وله اهتمام بالفلسفة⁴، درس ببجاية على يد أبي الفضل بن النحوي، تنقل بين المغرب الأقصى والأندلس، كان يميل إلى كتاب أبي حامد الغزالي⁵ "البسيط" ومن مؤلفاته: التقصي عن فوائد التقصي"، و"التبيين في شرح التلقين".

أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة: ت 660 هـ. كان عالما بالطب والفلسفة⁶ وهو فقيه وأصولي، درس بالأندلس ومراكش، وأصبح مدرسا ببجاية⁷ فكان من أحسن الناس خلقا. خلقا. وقد نشر علومه ببجاية.

أبي القاسم بن أبي بكر اليميني - ابن زيتون - ت 691 هـ. كان من أجمل الناس منظر استوطن بجاية مدة من الزمن، له دراية بالفقه والجدل والمنطق والجلل والمنطق والفلسفة.⁸

¹ - الغبريني، المصدر السابق، ص 233.

² - التنبكتي: نبل الابتهاج، المصدر السابق، ص 176.

³ - الغبريني: المصدر السابق، ص-ص: 153-152.

⁴ - ابن الابار: المصدر السابق، ترجمة 170. .

⁵ - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص 400.

⁶ - عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 107.

⁷ - الغبريني: المصدر السابق، ص-ص: 153-152.

⁸ - نفسه، ص 115.

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن الخطيب: الفقيه والنحوي المهتم بالأصول والفقه والحكمة والتصوف يقول عنه الغبريني مات قبل أن تظهر خزائن علمه.¹

أبو الحسين النميري الششتري: ت 688، فهو رجل صالح عابد أديب، له علم بالحكمة والتصوف²

كان صاحب علم وعمل، من مؤلفاته: "المقصد المحمود في تلخيص العقود"³. تأثر بالصوفي أبا مدين شعيب.⁴

إلى جانب المؤرخ البيجائي الذي يشير إليه الغبريني، ويقول عنه أنه درس في بجاية وله تحصيل في الفقه والأصول والحكمة⁵. نجد أيضا بعض الذين هاجروا إلى المغرب الأوسط من الأندلس وصقلية في مختلف المجالات منها الفلسفة كالشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الحق البيطوي الفقيه والحافظ والمتكلم ومتابع لعلوم أخرى⁶. كما دخل بجاية خلال هذه الفترة محمد بن عبد الله الزرهوني المعروف بابن الزق: الذي درس بها على يد محمد بن إبراهيم الأصولي⁷. كما وصل بجاية لهذا الغرض أبو العباس أحمد الجدلي الأصبهاني⁸ ومثلهم كثير، كمحمد بن إبراهيم الأصولي البيجائي العارف بالجدل والحكمة

¹ - الغبريني: المصدر السابق، ص 201.

² - المصدر نفسه، ص: 210.

³ - التنبكتي: المصدر السابق، ص 321.

⁴ - علي سامي النشار: أبو الحسن الششتري، الصوفي الأندلسي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ع1، السنة الأولى 1953، ص ص 153،

⁵ - الغبريني: المصدر السابق، ص: 204.

⁶ - عبد الله شريط: المرجع السابق، ص 108.

⁷ - ابن عبد المالك المراكشي: السفر 8، المصدر السابق، ص 8.

⁸ - الغبريني: المصدر السابق، ص: 185.

والفقه¹، فخلال هذه المرحلة التي ندرسها كان المغرب الأوسط وحواضره الكبرى كتلمسان وبجاية وورجلان قد تحوّلت إلى معقل ومركز لدراسة الفلسفة وكل العلوم المرتبطة بها، فهذا الكم الهائل من الدين وجدوا أو رحلوا أو استقروا ببجاية وتلمسان يدل على أهمية المغرب الأوسط كمركز ثقافي بالمغرب الإسلامي ككل، وظل مقصدا للعديد من الراغبين في تعلم وتعليم هذا العلم ومع ذلك لا يمكن الجزم بأن الفلسفة كان لها إقبال واهتمام كبير مقارنة بالعلوم الأخرى التي تناولتها في هذا البحث، وهو ربما يفسر عزوف الناس عن مثل هذه العلوم التي تراوحت ما بين القبول والرفض في نظر العامة. وحتى الخاصة. وهذا ما خلق بعض النفور من الفلسفة وقد بينا أن الكثير من رجال العلم والثقافة وقفوا موقفا رافضا للفلسفة، ناهيك عن الخلفاء الذين كانوا من حين لآخر لا يستقرون على رأي وموقف من الفلسفة، بخلاف العلوم النقلية والعقلية الأخرى التي وجدت إقبالا وتشجيعا من قبل العامة والخاصة.

¹ - ابن الأبار: التكملة، ج2، المصدر السابق، ص 35، التنبكتي: المصدر السابق، ص 378.

3-العلوم الأدبية :

يستخدم ابن خلدون مصطلح علوم اللسان العربي للدلالة على العلوم الأدبية ويحصرها في أربعة أركان على التوالي: اللغة، النحو، البيان والأدب فالإحاطة بها ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة¹.

أو هي العلوم التي تتصل بالعربية وهي اللغة والنحو والأدب و ما يتفرع عنها من علوم كالصرف والبلاغة والبيان والعروض فنستعين بها على فهم النصوص الواردة في القرآن والسنة.² فهي إذن العلوم العربية عند العرب.³

وقد زاد الاهتمام بالعلوم اللسانية خلال القرن السادس أيام الموحدين فازدهرت دراستها، وتعددت مواضيعها وأصبحت هذه العلوم شائعة، بل وبلغت غاية كبرى في هذا العهد.⁴

فخلفاء هذه الدولة كانوا متذوقين للعلوم الأدبية أو ما يعرف بالعلوم اللسانية، فابن تومرت الداعية الأول للموحدين كان لغويا ماهراً وفصيح اللسان⁵ وعبد المؤمن بن علي كان إماماً في اللغة والنحو والأدب فصيحاً⁶ وأيضاً كان خلفه عبد المؤمن، فهذا الخليفة يوسف الموحي كان أعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظ الناس للغة العربية⁷.

¹ - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 597، جمال أحمد طه، مدينة، المرجع السابق، ص 285.

² - الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 152.

³ - ابراهيم حركات: مدخل، ج 1، المرجع السابق، ص 153.

⁴ - ابن أبي زرع: الانيس، المصدر السابق، ص 203.

⁵ - المصدر نفسه، ص 161.

⁶ - ابن أبي زرع: الانيس، المصدر السابق، ص 203.

⁷ - المصدر نفسه، ص 205.

وكان من كتابه أهل العلم¹ والمعرفة والعقل والدين والعربية في الكتابة والبلاغة. ومثله كان الخليفة يعقوب المنصور فقيها في اللغة و مشاركا في كثير من العلوم.²

وبهذا الشكل، كان اهتمام خلفاء الموحدين بالعلوم اللسانية أحد العوامل الرئيسية في ازدهار وتطور الحركة العلمية خلال هذه الفترة، فمعرفة وفهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتأتى إلا بالتحكم في مثل هذه العلوم وهي أيضا أدوات للتواصل³ والتفاهم والتخاطب مع الرعية من جهة، والأمراء والملوك في باقي دول العالم الإسلامي وكانت المراسلات تتطلب استخدام اللغة العربية وعلومها.

وخلال القرن السابع، زاد الاهتمام بهذه العلوم واستمرت النهضة العلمية والأدبية، وفي ظل الدولة الزيانية أنشئت المدارس وكثرت المناظرات بين العلماء، ودخل بلاد هذه المملكة كبار الفقهاء ورجال الأدب الذين ظلوا على صلة بملوكها⁴ حتى نالوا الاحترام والكرم.

وهنا لا بد أن نقر باستمرارية الازدهار الثقافي الذي عرفه المغرب الأوسط أثناء فترة الحماديين، الذين سقطوا على يد الموحدين سنة 548 هـ - 1152م حيث تواصلت هذه الحركة العلمية والفكرية مع الموحدين الذين جعلوا من هذا الموروث مصدراً لنهضة علمية وفكرية زادت من أهمية المغرب الأوسط الحضارية خلال القرون اللاحقة، وخلال الفترة الزيانية تواصلت النهضة الأدبية حتى بلغت العلوم على اختلاف أنواعها قمة نضجها⁵.

¹ - المراكشي المعجمي، المصدر السابق، ص ص 237.

² - ابن أبي زرع، الأنيس، المصدر السابق، ص 216.

³ - عبد الله عنان: دولة الإسلام، المرجع السابق، ص 646.

⁴ - رابح بونار: المرجع السابق، ص 315، عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ص 343.

⁵ - فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، دار الفضاء للطباعة، مصر،

2007، ص 47.

ومن ذلك أن فترة القرنين 6 و 7 هـ / 12، 13 م. ميزها حب العلم والتفاني في طلبه كان ميزة الحكام والأمراء¹ وصحيح أن دولة الموحدين لم تكن مجرد حركة سياسية هدفها تقويض دولة المرابطين، ولكنها أيضا ثورة فكرية أطلقت حرية الفكر². فقد جمع ابن تومرت أحسن العلماء والأساتذة من كل مكان. ومن بعده نجد يغمراسن الزياني 636 / 681 هـ. يستندم أهل العلم ويعطف عليهم ويكرمهم، بل يفرط في الاهتمام بهم مما جعل المغرب الأوسط في عهده قبلة لاستقرار العلماء والأدباء والشعراء، وظلت سياسة الملوك الزيانيين قائمة على استقطاب أهل المعرفة والعلم.

فالغريني وبني ابن خلدون وبعض الكتب الأخرى حافلة بذكر أسماء علماء وأدباء ظهوروا واستقروا بالمغرب الأوسط وجلسوا للتدريس والوعظ في هذه المنطقة مساهمين بذلك في تنوع وتطور الحركة العلمية ودعمها خلال القرنين 6 و 7 هـ، 12، 13 م.³

وجدير بأن نثمن الهجرة الأندلسية بعد سقوط مدن الأندلس في يد المسيحيين، فنزل الكثير من الأندلسيين بمدن المغرب الأوسط كتلمسان ووجاية وجزائر بني مزغنة ووهران فمثّلوا هذه المدن علماء وأدباء⁴ وكانوا عوناً للمغاربة في هذا المجال، فتحول المغرب الأوسط إلى منارة للإشعاع العلمي والحضاري.⁵

¹ - نفسه، ص 47.

² - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر... ج2، المرجع السابق، ص 56.

³ - نفسه، ص 48، شرفي ضيف، المرجع السابق، ص 81.

⁴ - شوقي ضيف: عصر، المرجع السابق، ص 83.

⁵ - محمد الطمار: تاريخ الأدب، المرجع السابق، ص 66.

ف عوامل تطوّر العلوم الأدبية كباقي العلوم الأخرى مرده إلى دور الخلفاء الموحدين والملوك الزيانيين في تشجيع هذا المجال، حيث تدعمت الحركة العلمية بالكثير من المعارف والعلوم.¹

فقد ازدهر الأدب في هذه الفترة التي أدرسها بنوعيه الشعر والنثر باعتبارهما مظهرا من مظاهر الحركة الفكرية بالمغرب الإسلامي. علما أن هذا الازدهار يكون قد انطلق منذ فترة المرابطين واستمر إلى ما بعد الزيانيين².

فرغبة الكثير من أبناء الأمة في الوصول إلى المناصب العليا في الدولة لم يكن يشغلها إلا من كان على قدر من العلم والأدب حتى يكون أهلا لتولي هذا المنصب، وكان أيضا وراء تدفق الأندلسيين على بلاد المغرب الأوسط طلبا في المجد والثراء والجاه.³ وأنا اعتقد أن لهذا الإبداع والتنوع لأدبي مصدر إلهام آخر يعود إلى فضل الله سبحانه وتعالى الذي منح المغرب الأوسط مجالا جغرافيا متنوعا وجميلا كتلمسان وبجاية وغيرها من المدن الأخرى، والتي جعلت الأدياء والشعراء يتغنون بها ويذكرونها في كتاباتهم وإبداعاتهم وأشعارهم. فالطبيعة الساحرة والبساتين الممتدة والمياه لكثيرة والمناظر الخلابة ألهمت الكثير⁴.

ومن المؤلفات الأدبية التي كانت نماذج للتدريس ببلاد المغرب الأوسط، الكامل للمبرد، أدب الكتاب، لابن قتيبة، العمدة، لابن رشيف القيرواني، العقد الفريد لأبي عمران بن عبد ربه⁵ ت 328 هـ/939م الأمالي لأبي علي الفالي، زهر الأداب للحصري، مقامات

¹ - حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 487.

² - عبد الله كنون: النبوغ، المرجع السابق، ص 164.

³ - عبد الله كنون: النبوغ، المرجع السابق، ص 165.

⁴ - محمد الطمار: تاريخ الأدب، المرجع السابق، ص ص 122-123

⁵ - ابراهيم حركات: ج 1، المرجع السابق، ص 179.

الحريري¹ ومختصر الحاجب² والحماسة لأبي تمام، ومقصورة ابن دريد³ وشرح دواوين الشعراء كالمتنبي والمعري والمعلقات⁴.

¹ - الغبريني: المرجع السابق، ص 27.

² - مرتاض: المرجع السابق، ص 45.

³ - عثمان الكعاك: موجز، المرجع السابق، ص 219.

⁴ - الغبريني: عنوان الدراسة، المصدر السابق، ص 27.

أ) الشعر:

ومن الأدباء الشعراء الذين اشتهروا بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و 7 هـ 12، 13م

نذكر منهم:

يوسف بن محمد النحوي: ويكنى أبا الفضل، من قلعة بني حماد أو بسكرة¹ دخل سجلماسة وفاس ثم عاد إلى القلعة وبها توفي سنة 50 هـ 1119م كان من أهل العلم والعمل، ممن انتصر لعدم إحراق كتاب الأحياء²، للغزالي، كان عارفا بأصول الدين والفقهاء، وله المنفرجة الخفيفة³ ومن نظمه في مدينة فاس (البسيط).

يا فأس منك جميع الحُسنِ مُستترقٌ وساكنوك أهنهم بما رزقوا

هاذ نسيْمُك أم روح لراحتتِا ومآؤك السلسل الصافي أم الورق

أرضٌ تخلَّلها الأنهار داخلها حتى المجالسُ والأسواق والطرق

أحمد بن عبد الجليل التدمري: عاش بالميرية⁴ كان فارسا في مجال الأدب والشعر ومن علماء العربية، ألف عدّة كتب، سكن بجاية له حظ من قرض الشعر، وكان له كتاب التوطئة في العربية، وله شرح على كتاب الفصيح وشرح أبيات الجمل سماه شفاء الصدور.⁵

¹ - أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 583.

² - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 103.

³ - أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 583.

⁴ - ابن القاضي: جذوة، ج1، المصدر السابق، ص 138.

⁵ - ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص 139.

أبو بكر محمد أحمد السلمي

من بني سفيان تنقل إلى تلمسان، توفي بعد 557 هـ، 1162م¹ كان بارعا في الكتابة وله في الشعر والكتابة والنظم، من ذلك² البحر البسيط:

حيث لا نسبة إليك دعنتي بل دعنتا للألفة الأحساب

لي أصل يحكيه مجدك أصلا والمعالي في أهلها أنساب

مصعب بن محمد بن مسعود الخشني: يقول عنه صاحب الذخيرة³ النحوي الجليل ، قرأ ببجاية ت⁴604 عالما بالشعر ناقد له، عارفا بأخبار العرب وأشعارها وله شعر راق يقول فيه:

طال ليلي بالناصره لـ أرق العين فيه طيف ألمّا

خطرت فكرة على القلب منه مثلته للحظ عينيّ وهما

ليس اللّيل كاتِمًا لسُـراه خوف واش وكاشم أن ينما

وكان من أعرف الناس بكتاب سبويه⁵ أخذ عن أبيه علم العربية والآداب⁶.

¹ - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 105، ابن سعيد المعرني، المغرب، المصدر السابق، ص274.

² - ابن الأبار، التكملة، ج2، المصدر السابق، ص24.

³ - ابن أبي زرع: الذخيرة: المصدر السابق، ص-ص: 42-43.

⁴ - علي بن أبي الزرع الفاسي، الذخيرة، المصدر السابق، ص 42.

⁵ - ابن الابار: التكملة، ج2، ص 188.

⁶ - نفسه، ص 188.

عبد المؤمن بن علي الكومي (524 - 558هـ)¹ فقيه وأديب وشاعر² يُحب العلم والعلماء، سبق التعريف به من شعره (الطويل).

وقوموا لنصرة الدين قومة تائر وشدوا على الأعداء شدة مائل
هي الغزوة الغراء والموعد الذي تتجز من بعد المدى المتطاول
بها تفتح الدنيا، بها تبلغ المنى بها ينصف التحقيق من كل باطل
وله قصيدة أخرى في الانتصار على النصارى وفتح لمهدية.³

ولما قضينا بالمشارك أمرنا وتم مراد الله في كل مطلب
وأشرقت الشمس المنيرة فوقنا وأصبح وجه الحق غير محجب
وطهر هذا الصقع من كل كافرٍ وعاد بها الإسلام بعد تغيب

فقصائده وشعره فيه عذوبة ومفرداتها بسيطة معبرة عن إحساسه وفرحته بالنصر.

أبو مدين شعيب: فهو الصوفي والأديب والفقهاء⁴ والشاعر له قصائد كثيرة، اخترت منها بعض الأبيات من قصيدة أتاني زماني:

أتاني زماني بما ارتضني فبالله يا ظهر لا تنقضني
أيا ليلة الفضل عودي لنا لأنّ الحبيب علينا رضني

¹ - المراكشي المعجمي، المصدر السابق، ص ص 237.

² - صاحب الحلال الموشية: ص 157، رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 106.

³ - ابن القاضي: الدخيرة، المصدر السابق، ج 2، ص-ص: 446-447.

⁴ - دائرة المعارف الإسلامية، ج 1، ص 400.

سقاني بكاسٍ لهوى شربة فشاهدت في الكاس نوراً يضيء
من كان في سخطه مُحسناً فكيف يكون إذا ما رضي
فيا ربِّ صلِّ على المصطفى صلاة تدوم ولا تنقضني

فهي قصيدة توحى بمدى تعلق الصوفي أبو مدين بربه وحبه له فهو يرجو ويتمنى
رضا الرب ويخاف من سخطه.

وله قصيدة في الاستغفار يقول في بعض أبياتها¹:

استغفر الله مُجير الفُلك في الظلم على عباب من التيار ملتطم
استغفر الله منجي المستجير به إذا ألم ضرّاً من الألم
استغفر الله غفّار الذنوب لمنْ بالانكسار أتى والذل والندم.
الله ربي وطال اشتياقي واخترت بيتاً من قصيدة الفتية

وله عشرات القصائد منها الغوثية أو الغيثية وزاد الغرام، الله ربي، طال اشتياقي،
واخترت بيتاً من قصيدة الغيثية:

يا من يغيث الوري من بعد ما قنطوا ارحم عبيدا أكف الفقر قد بسطوا²

محمد بن أحمد بن محمد اللخمي المعروف بابن اللحام: ولد سنة 558 هـ / 1162م
بتلمسان³. عُرف عنه الزهد والصلاح، له اهتمام بالأدب وفنونه، توفي بمراكش⁴ سنة 619

¹ - بوزيان الدراجي: المرجع السابق، ص 162.

² - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 112.

³ - التنيكتي: التشوق، المصدر السابق، ص 75. عادل نويهص، المرجع السابق، ص 275.

⁴ - الدراجي: المرجع السابق، ص 388، رابح بونار: المرجع السابق، ص 322.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني: ولد ونشأ بتلمسان، كان محبا للفقهِ والأدب والنثر والشعر يقول في قصيدة يمدح فيها المنصور¹(الطويل)

أسيدنا بابن الإمامين أمرم
منوط بأمر الله وعنه معدل
نُصرتم لأن الحق أن ظهوره
وناصرة في اللغة ما كان يخذل

حسن بن عبد الله بن الحسن الكاتب الأشيري أبو علي: ولد بتلمسان² ونشأ وتعلّم بها، وانتقل إلى الأندلس، له دراية بعلم القراءات واللغة والأدب ويقول الشعر، كان معاصر للخليفة الموحيدي ابي يعقوب³ له كتاب مختصر في التاريخ سماه "نظم الالي في فتوح الأمر العالي"⁴.

اخترت له بعض الأبيات من قصيدة يصف فيها معركة حربية وقعت بين المسلمين والنصارى عام 569 هـ⁵ 1174م. من بحر "الكامل"

دارت رحاها الهالكات بالسبطاط
وشظا بها ريبُ الزّمان الشاطي⁶
وأهين فيها الشّرْك أي إهانَة
شفعت كربه هياطه بمياه
بأن لم تقم فيها قيامة ملكهم
فلقد رأوا جملاً من الاشرراط

¹ - ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص 143.

² - بوزيان الدراجي: أدباء وشعراء من تلمسان، ج2، دار الأمل للدراسات، 2011، ص 10.

³ - محمد الطمار: تاريخ الأدب، لمرجع السابق، ص 73.

⁴ - صاحب الحل الموشية: المصدر السابق، ص 150.

⁵ - ابن الابار: التكملة، ج1، المصدر السابق، ص 218.

⁶ - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 106-107.

وله قصيدة يصف فيه الشبل بمجلس الخليفة عبد المؤمن يقول فيها:

أنس الشبل ابتهاجًا بالأسد
ورأى شبه أبيه فقصد
ودعا الطائر بالنصر لكم
فقضى حاكم لـ ما ورد
انطق الخالق مخلوقاً
بالشهادات فكل له قد شهد
إنك القائم بالأمر لـ
بعدما طال على الناس الأمد¹

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي: يعد من كبار المتصوفة ولد سنة 610هـ. فهو من أكبر الكتاب والشعراء، ونظرا لطبيعة شعره الذي يميل إلى الفلسفة فإن أعماله وجدت معارضة من قبل علماء وفقهاء عصره²

علي بن سعد بن مسعود الأنصاري القلي أبو الحسن عاش هذا الأديب والفقير والشاعر خلال القرن السابع الهجري ومن نظمه:

ورائعة للشيب راع طلوعها
فأنزلتها بالقص في المنزل الأقصى
فنادى لسان الحال مهلا فإنها
بريد لجمع خلقها جاء لا يحصى³

ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الانصاري: التلمساني المكنى بأبي إسحاق فقيه وأديب وشاعر ولد سنة 690 هـ 1291م، عرف بأرجوزة نظمها في الفرائض حتى قيل أنه لم

¹ - البيهقي: المصدر السابق، ص 105.

² - الدراجي: المرجع السابق، ص 288.

³ - نفسه، ص 376.

يصنف مثلها في زمانه، كما قال، شعر يمدح فيه سيّد الخلق في مولده صلى الله عليه وسلّم
ومن شعره قصيدة مطلعها¹

الغدر في الناس شيمة سلفت قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من سرّيت له نعم منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاءها مضرة عنك عن معرفها
أما ترى الشمس تعطف بالن ور على البدر وهو يكسفها

أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني: ولد بتلمسان سنة 650 هـ² درس بها،
ثم ولي ديوان الإنشاء في فترة حكم أبا سعيد الأوّل، كان وافر الذكاء، يحفظ شعر المعلقات
ولامية العرب وشعر الخنساء وحسان بن ثابت وغيرها، فهو أيضا الشاعر الصوفي
والفيلسوف والفقير³، انتقل إلى سبتة ثم غرناطة، حتى قتل هناك سنة 708 هـ⁴. تاركاً خلفه
اشعاراً نشرت تحت اسم المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس⁵ الذي جمعه من
بعده عبد الوهاب بن منصور وله رسالتان نثريتان.

¹ - لسان الدين بن الخطيب الإحاطة: ج1، المصدر السابق، ص-ص: 664-665

² - المقرئ: نفع الطيب، المصدر السابق، ج4، ص 324.

³ - قال العبدري في رحلته عن أدب خميس التلمساني: وما رأيت لمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم ولا
من يتعلّق منه بسبب سوى صاحبنا ابن خميس وهو فتى السن وله عناية بالعلم، وله حظ وافر من الأدب،
وطبع فاضل في قرص الشعر: علي ابراهيم كردي: أدب الرجل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة
العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2013، ص 101، العبدري أبو عبد الله: رحلة العبدري، تحقيق
علي ابراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر ص 63.

⁴ - المقرئ: نفع الطيب، ج5، المصدر السابق، ص 370. الغبريني، المصدر السابق، ص 86.

⁵ - محمد مرتاض: من الأعلام، المرجع السابق، ص 62.

ومن شعره:

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو مني النفس لا دار السلام ولا الكرخ

ويقول في قصيدة أخرى¹:

سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء فعند صباها من تلمسان أنباء

وله قصيدة فيها إشارات فلسفية مطلعها:

سُحّت بساحك يا محل الادمع وتضرمت أسفا عليك الأضلع

قصائده فيها حنين وتألم على تلمسان وما أصابها جراء الحصار المفروض عليها. وكان من أهل علم السيمياء².

محمد بن عبد الله حافي رأسه: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الملقب بجمال الدين الشهير يحافي³ رأسه الزناتي أصلا، ولد بتلمسان سنة 606 هـ / 1209م. درس على يد عبد الرحمان الزيات، ارتحل إلى مصر ثم عاد إلى المغرب الأوسط. فإلى جانب تفوقه في الشعر كان أيضا أدبيا⁴. اشتغل بالتدريس في بيته، من شعره الطويل.

ومعتقد أن الرياسة في الكبر فأصبح ممقوتا بها وهو لا يدري
يجر ذبول الكبر رفعة ألا فأعجبوا من طالب الرفع بالجر.

¹ - رابح بونار، المرجع السابق، ص 323.

² - يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 109.

³ - عادل نويهض: علام، المرجع السابق، ص 119، مرتاض، المرجع السابق، ص 39.

⁴ - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 116. بغية الرعاة، ج1، ص 138

أبو عبد الله محمد بن حماد (548 هـ - 628 هـ / 1164م - 1231م) بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، عاش بالمغرب الأوسط خلال منتصف القرن السابع الهجري نشأ ببيرج حمزة¹ إحدى مدن المغرب الأوسط ثم انتقل إلى بجاية، ومن شيوخه أبي مدين شعيب² وعبد الحق الأشبيلي الأزدي. زار عدّة مدن بالمغرب الأوسط والأقصى، مؤلفاته فاقت 222 مؤلفاً. فقد كان مؤرخاً ولغويّاً وأديباً، عيّن كقاضي خلال العهد الموحي بالمغرب الأقصى. كان مرجعاً لدراسة ابن خلدون³ استوطن مراكش وتوفي بها، بعد أن ولي قضاء سلا. ومن شعره قوله في رثاء قلعة بني حماد بعدما قضى عليها الموحدون سنة 547 هـ - 1152م.⁴

إن العروسين لا رسم ولا ظل
فانظر ليس إلا السهل والجبل
وقصر بلارة أودى الزمان به
فأين ما شاد منها السادة الأوّل
قصر الخلافة أين القصر من حرب
غير اللجين وفي أرجائها زحل

فقد كان أديباً بارعاً النظم والنثر متقدماً في اللغات والآداب.⁵

¹ - عبد الرحمان الجيلالي: ج2، المرجع السابق، ص 77.

² - الغبريني: المرجع السابق، ص 27.

³ - محمد الطمار: تاريخ الأدب، لمرجع السابق، ص 66.

⁴ - عمار هلال : العلماء، المرجع السابق، ص 76.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: السفر 8، المصدر السابق، ص 1.324.

أبو علي حسن بن الفكون: يعد من أهم الشخصيات الأدبية بالمغرب الأوسط الذي ظل قريباً من البلاط الموحد¹، وقد نظم قصيدة في مؤسس هذه الدولة محمد بن تومرت عند زيارة قبره، وهو من الأدباء الذين تروق أشعارهم، فهو غزير النثر والنظم².

وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، وأحسن ما قال: (السيبط)

دع العراق وبغداد وشامهما	فالناصرية ما إن مثلها بلد
برّ وبحر وموج للغيوب به	مسارح بات عنها الهم والنكد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع	حيث الغنى والمنى والمعيشة الرغد

ومن نظمه القصيدة القافية (الطويل) يذكر فيها جمال قصر الربيع.

عشونا إلى نار الربيع وإنّما	عشونا إلى نار الندى والمُحلق
ركبنا بواديه جياذ زوارق	نزلنا إليها عن ضواير سبق
وخضنا حشاهُ والأصيل كأنه	بصفحته تبدي مروّق زنيق ³

فهو شاعر المغرب الأوسط، وله قصيدة مشهورة في رحلته من قسنطينة إلى مراكش كتب بها إلى أبي البدر ابن مرنديش وهو بقسنطينية⁴.

¹ - الحفناوي، تعريف، ج2، المرجع السابق، ص 124.

² - ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، المصدر السابق، ص 184.

³ - محمد الطمار: الروابط، لمرجع السابق، ص 171.

⁴ - ابن القاضي: المصدر السابق، ص 184-185.

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام: من الغرب الأوسط، تدلّسي الأصل درس بيجاية، كان كاتباً، فقيهاً، شاعراً يقول عنه صاحب عنوان الدراية "ما كان يحب أن ينسب إلا أنه من الفقهاء لا من الأدباء لكن الغالب عليه إنما هو من الأدب" ومن شعره (الطويل)

ولو لم يثبني غير أنني أحبه سعدت بذاك عمري ولا أشقى
كفى بي عزا أنه لي سيّد وأني عبد لا أريد له عتقا
ومالي والعتق المكدر عيشي رضيت بأن أبقى لمن شفني رقا

وكانت له ثقافة واسعة إلى جانب الفقه كالتاريخ والطب القضاء¹:

محمد الأريسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأريسي وهو من المعاصرين لابن فكون² تقلد ديوان الرسائل في بجاية لإتقانه لفنون الأدب من بلاغة ونحو وشعر حتى قيل أنه سلك طريق المتنبي في شعره، فهو من كبار أدباء وشعراء المغرب الأوسط خلال المائة السابقة. له شعر كثير في كل فن من فنون الشعر. ومن شعره في الزهد: (البيسط)³.

يا من على جوده المعهود أشكل ويا ملاذي إذا ضاقت بي الحيل
غرقت في بحر آثامي فخذ بيدي وأمنت بعفو فأنى خائف وجل
وله في الغزل نظم منه (الطويل)

لعلك يغد الهجر تتسمح يا بدر بوصلي فقد أودى بمهجتي الهجر

¹ - رابع بونار، المرجع السابق، ص 324.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص-ص: 287-289.

³ - محمد الطمار: الروابط، لمرجع السابق، ص 80.

أبيت كما ترضى الكآبة والأسى وأضحى كما تهوى اللضبابة والفكر

إذا قنطت نفسي ينادي بها الرجا رويدك كم عُسر على أثره يسر¹

أبو الحسن علي بن محمد بن شعيب الأشونى: ترك المغرب الأوسط قادما الأندلس² كان لغويا وأديبا ونحويا حافظا، درس على يد عبد الواحد محمد بن حبيب اللخمي، من آثاره نظما فيما يخص طلب العلم والاجتهاد فيه.³

إن العلوم لأشخاص معينة فلا يراهن الألب من درسا
من شرد النوم والظلماء عاكفة فكيف حتى يضاهيه الذي نعسا

وقال في نحوه:

تعلم خليلي حين الشباب تفق بالعلوم الرجال الكبارا
فمن واطب العلم، صاح صغيرا نفى عنه عند السؤال الصغارا⁴.

وفي القناعة:

لا تسأل الناس حبّ خردلة وسل إلهاً براك من طين⁵
فرزقه للعباد ذو سعة ليس بفان ولا بممنون

¹ - رابح بونار، المرجع السابق، ص 324.

² - مختار جيار: شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية، تقديم عبد المالك مرتاض، ص 388.

³ - محمد الطمار: المرجع السابق، ص 206.

⁴ - رابح بونار، المرجع السابق، ص 331.

⁵ - عبد المالك المراكشي: الذيل، س5، المصدر السابق، ص 388.

وله قصائد أخرى في الزهد وفي الاعتراف بالذنوب وقوة الرجاء وعفو الرب وفي وصف حاله حين دخل المغرب الأوسط، توفي سنة 537 هـ.¹

محمد الحسن القلعي: أبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي من أهل قلعة بني حماد، من شيوخه علي أبو عبد الله بن منداس ثم غادرها إلى بجاية فتلقى بها العلم على يد شيوخ آخرين منهم أبو الحسن الحرالي. فأصبح له باع في الأدب واللغة والنحو، قصده الطلبة لتلقي العلم من كل جهات المغرب الأوسط، وكان في علم العربية بارعاً يقول عنه الغبريني "...كان محكماً لفنونها الثلاثة : النحو، اللغة والأدب، وكان له درس يحضره من الطلبة فضلاًؤهم ونبهاؤهم"² من نظمه في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم .

من أجل أن يأنوا فؤادك مُغرماً وقلبك خفاق ودمعك يسجم

وما ذاك إلا أن جسمك منجد وقلبك مع من سار في الركب متهم

فقد كان سخي الدمع سريع العبرة³:

عمارة بن يحيى بن عمارة: أبو الطاهر عمارة بن يحيى الشريف الحسيني، العالم الأديب وكان من المعارضين⁴ للموحدين لما استرجعوا بجاية فألقى القبض عليه فاعتقل مع أصحابه، كان متقدماً في علم اللغة العربية والأدب وحسب الغبريني فإنه لم يتمكن من جمع ديوان شعره، ومن شعره (الطويل)

سلام كعرف المندل الرطب في الجمر وإلا كما هب النسيم على الزهر

¹ - عبد المالك المراكشي: الذيل، ص5، المصدر السابق، ص 390.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص 94.

³ - الحفناوي: ج2، المرجع السابق، ص-ص: 359-361.

⁴ - محمد الطمار: المرجع السابق، ص 80. عادل نويهض، المرجع السابق، ص 241.

فله من مقلتي بعبرة

تعبير فوق الخد عن كامن السر¹

أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري يعرف بابن محرز، البنسي المولود سنة 525 هـ بالأندلس تلقى علوما مختلفة من فقه وحديث رأى له الغبريني نظما ونثرا لا بأس، توفي ببجاية سنة 655 هـ²، فقد كان مؤرخا وأديبا متقنا، بعد أن لقي جماعة من العلماء الأفاضل منهم والده وخاله أبو بكر وأبو عامر³ اخترت بعض الأبيات من شعره.

لا غرو أن تلقى الكريم فتسأل

عذرا بالحاخي عليك مؤملا

ومعاودا وردي لكونك منها

ألقاك مزادا لكونك باذلا

أبدا أراك مقللا من قول لا

ومكثرا من قول هات لأنني

أبو الحسن زين الدين أبو زكريا بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي: 564 هـ - 628 هـ (1169-1231م)⁴ أحد أئمة عصره في النحو والأدب، شاعر وحافظ، اشتغل بالتدريس له الدرة الألفية في علم العربية. - وله أيضا- "الفصول" و"العقود" و"القوانين" في النحو⁵.

¹- الغبريني: المصدر السابق، ص 76.

²- محمد الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص 180.

³- الغبريني: المصدر السابق، ص 241.

⁴- عادل نويهض: المرجع السابق، ص 167.

⁵- الطمار: المرجع السابق، ص 187.

أبو بكر بن خطاب الذي كان من الفقهاء والشعراء وله في النثر الكثير، نال إعجاب الكثيرين كالتنسي والعبدي في رحلته¹، توفي بتلمسان سنة 636 هـ². ومن شعره في ابن خميس التلمساني

رقت حواشي طبعك ابن خميس فهفا قريضك لي وهاج رسيبي

لمثله يصبو الحليم ويمتري ماء الشؤن به وسير العيس

لك في البلاغة والبلاغة بعض ما تحويه من أثر محل رئيس

نظم ونثر لا تبارى فيهما عززت ذاك وذا بعلم الطوسي

ففي شعره نلمس فصاحة وجودة وإتقان كيف لا وهو رئيس ديوان الرسائل السلطانية بغرناطة ولما دخل تلمسان جعله يغمراسن بن زيان صاحب القلم الأعلى³

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله موسى الأنصاري 605-690 هـ (1213-1291): المولود بتلمسان سنة 609 هـ. انتقل إلى الأندلس ثم استقر بالمغرب الأقصى. كثر شيوخه، فهو فقيه وأديب ولغوي وإمام في الفرائض، له أرجوزة شهيرة في هذا الغرض، وله نظم في السيرة وقصيدة في المولد النبوي الشريف⁴ وفي غرض المدح منه الأبيات التالية⁵:

أرأيت من رحلوا وزموا العيسا ألا يزول على الطول حسيماً

أمست سوف يعود نسق ترابها يوماً بما يشفى لديك نسيماً

¹ - العبدي، رحلة العبدي، المصدر السابق، ص 62 وما بعدها.

² - الطمار، المرجع السابق، ص 210.

³ - التنسي، المصدر السابق، ص 13.

⁴ - محمد الطمار: تاريخ، المرجع السابق، ص 84.

⁵ - الغبريني، المصدر السابق، ص ص 85، 87.

هل من مؤنسٍ ناراً بجانب طورها لأنيسها أم هل يحس حسيساً

فقد كان أديبا ولغويا فاضلاً¹ محسناً ماهراً²

علي بن الزيتوني: من شعراء المغرب الأوسط ، فهو صاحب توشيح وترشيح وتقصيد وتقطيع وقد سار شعره غناء، وقد اخترت أبيات في مدح القضاة.³

نهاه عن محارمه نُهاه وقرّبه لخالقه نُقاها

وقال الله ليس سواي ربّ ولا لشريعتي أحدٌ سواه

هو البرّ العطوفُ على البرايا وبالأيتام يرحمُ من أتاهُ

أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن إبراهيم الحرالي: التجبي⁴ الفقيه في علم الحديث وله باع في العلوم اللسانية والآداب وله نظم في الشعر، كان بدأ أمره بمراكش ثم تخرّج عن الدنيا ورحل إلى المشرق، بعد أن حصل على علم فاق به أهل زمانه له التأليف الحسنة وله الشعر الفائق الرائق، غزلاً وتصوفاً.

من نظمه:

ما لنا منا سوى الحال العدم ولبارينا وجودٌ وقَدَم

نحن بنيان بنته حكمة وخليقٌ بالبنا أن ينهدم

نحن كتب الله ما يقرؤها غير من يعرف ما معنى القلم

¹ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 63.

² - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 120.

³ - العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 182.

⁴ - محمد الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص 180.

تحي لنا بعض إشارات التفلسف والتصوف عند هذا الشاعر .

أبو الحسن عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي: فهو محدث ومؤرخ ونحوي ولغوي شهير، وفصيح¹ وله نظم جميل جزل الأسلوب عادي المعاني له قصيدة يمدح فيها بني أيوب بمصر بعد مغادرته بجاية.²

أبو بكر محمد بن سيّد الناس اليعمري الإشبيلي (600-659) كان محدثاً لغوياً³ ومؤرخاً، يقول عنه الغبريني، "الشاعر الذي يكتب جيّد وينظم حسناً، درس على يد كبار الفقهاء والأدباء أذكر منهم لفضيه أبو العباس، أبو عمران، موسى بن حسين القيسي الزاهد. من شعره (الطويل).

أيا سائرا نحو الحجاز وقصده إلى الكعبة البيت الحرام بلاغ

ومنه إلى قبر النبي محمد يكون له بالروضتين مراغ

فبلغت ما أملت كم ذا اراغه أناس نسوا قصد السبيل فزاغوا

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي - أبو العلا المأمون: لقب بأبي دبوس لأنه كان لا يفارقه دبوس في بلاد الأندلس.⁴

¹ - محمد الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص 160.

² - رابع بونار، المرجع السابق، ص 324.

³ - محمد الطمار: المرجع السابق، ص 206.

⁴ - صاحب الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 169.

كانت له معارضة شديدة من قبل المخالفين له إلى أن توفي سنة 668 هـ بمراكش وبوفاته انقرضت دولة الموحدين ببني عبد المؤمن¹، كان فصيح اللسان قادرا على الكلام، لا يناظره أحد إلا افحمه² بلغيا أبيا³.

فقد كان الشعراء يمدحونه في كل وقت فيقابلهم بالبذل والعطاء، من ذلك أبو الحسن علي بن الفضل مدحه في قصيدة مطلعها:

ملك العليا امام مالك دنيا ودينا

وأتى الجامع زهدًا مع جمع الزاهدين

أيها المأمون صمم تصطليهم أجمعين⁴

أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عباس التجيبي: درس بتلمسان فكانت له عناية⁵ تامة بالأدب والشعر عني بالزهد والتصوف وله تأليف سماه "الاستيقاظ من سنة الغفلة"⁶ والاستنقاد من حيل التسويق والمهلة" ت 629 هـ.

مروان بن عمار البجائي: يكنى أبا الحكم، دخل الأندلس ورحل إلى مدينة فاس وأخذ عن أبي ذر الخشني الكثير من كتب العربية والأدب، ولقي أبا عبد الله بن حميد فأخذ عنه بعض كتاب سبويه من شعره توفي سنة 610 هـ.⁷

¹ - صاحب الحل الموشية، المصدر السابق، ص 170.

² - الناصري: الاستقصاء، ج 2، ص 235.

³ - انظر الملحق ص 274.

⁴ - ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر السابق، ص 279.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: السفر 8، المصدر السابق، ص 324.

⁶ - ابن الابار: التكملة، ج 1، المصدر السابق، ص 88.

⁷ - ابن الابار: التكملة، ج 2، المصدر السابق، ص 187.

لا يخدعَنَّكَ عن دين الهدى نَفَرٌ لم يُرْزَقُوا في التماس الحق تأييداً

عُمِّي القلوب عَرُوا عن كل معرفة لكنهم كفروا بالله تقليداً

عيسى بن عمران بن دافال الزياني أبو موسى الورد ميثي: كان من فضلاء أهل المغرب ونبهائهم وخطيباً وبليغاً، وشاعراً، مشاركاً¹ في كثير من العلوم. ونال أيام أبي يعقوب حظوة ومكانة. كان يتكلم عن الوفود ويخطب في النوازل. من أولاده علي قاضي بجاية. وطلحة قاضي تلمسان.²

أبو عبد الله الحلوي: الإشبيلي التلمساني، ظل يتنقل بين الأندلس والمغرب الأوسط، عاش فترة الدولة الموحدية من شعره.³

إذا نطق الوجود صاح قوم بأذان إلى طق الوجود

وذلك النطق ليس به اندماج لكن دق عن فهم البليد

أبو زكرياء يحيى بن علي الزواوي: توفي سنة 611هـ/ 1214م من أقطاب بجاية⁴، ولد في بني عيسى من قبائل زواوة، استقر ببجاية لنشر العلم وبيته، ومن شعره⁵:

مالي لدى ربي جزيل وسيلة إلا اتباع نبيه ويقيني

والدين حصن للفتى وعقيدتي أن القليل من اليقين يقيني

¹ - عبد الواحد مراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 181.

² - نفسه، ص 182.

³ - الدراجي: المرجع السابق، ص 288.

⁴ - الغبريني، المصدر السابق، ص ص 137-139.

⁵ - التادلي، التشوف، المصدر السابق، ص 428.

فقد انتهيت في هذا العرض إلى أن المغرب الأوسط قد عرف عددًا كبيرًا من الشعراء والأدباء الذين ساهموا بقسط وافر في إثراء الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7 هـ، 12، 13 م، وإن أغراض الشعر كانت مختلفة ومتنوعة ما بين المدح والتصوف... فطابع الدولة الموحدية الديني¹ وآثر المذهب المالكي خلال الفترة التي ندرسها جعل الأدب المغربي عامة يختلف عن المشرق إذا ابتعد قليلا عن الغزل والتغني بالخمير² وما إلى ذلك.

¹ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 491.

² - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 394.

ب) النثر:

يقول ابن خلدون عن هذا الفن والشعر معاً. "اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو كلام غير موزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام".¹

فالنثر هو الكلام والأداء للتعبير بدون وزن أو قافية محددة ويتفرع عنه عدّة فنون كالمقالات والرسائل والخطب والأمثال.²

ويبدو أن فن النثر عرف اهتماماً خلال الفترة المدروسة أي القرنين 6 و7 هـ (12م)، لما وجده من تشجيع من قبل السلاطين وولادة الأمر خاصة يغمراسن دون أن ننسى أثر وجغرافية وطبيعة تلمسان كجزء من المغرب الأوسط الذي كان مصدر إلهام للأدباء والشعراء في كتاباتهم الرسمية أو العادية.³

فقد بلغت الفنون الأدبية كالنثر والشعر درجة من التطور والازدهار فوجدنا النثر على أشكاله المختلفة كنثر الفقهاء الذي يتميز ببساطته بعيداً عن الأساليب البيانية لأنه يهدف إلى إيصال المعاني والعبر، ونثر التراجم الذي لا يرقى إلى النثر الفني والذي يركز على الحقائق والوقائع كما حدثت دون زيادة أو نقصان، وبدون جمالية وتتميق فلا مجال للخيال والإبداع هنا. وأما النثر الفني فهو الذي يحتاج إلى سجع وجمالية وتشبيه ومدح تجلى ذلك

¹ - عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 619.

² - بلعربي خالد: الدولة، المرجع السابق، ص 338.

³ - عبد العزيز فيلالي، المصدر السابق، ص 456.

في الرسائل الديوانية التي كانت تتم وتتبادل بين الملوك والأمراء داخل وخارج المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي.¹

وهذا الفن يكون قد وجد إقبالا وممارسة من قبل المغاربة، فهو أكثر استعمالا من الشعر في معالجة القضايا لكن معظم تلك الرسائل والمقامات والخطابة والتي مع الأسف ضاع منها الكثير لأسباب أمنية وسياسية في ظل الصراعات والحروب.

لقد بدأت الخطب والوصايا ببلاد المغرب الأوسط منذ عهد الدولة الرستمية وأخذ هذا النوع الأدبي يتطور إلى أرقى منازل لاعتماد الأئمة على الخطب والرسائل في نشر دعوتهم واستمالة الناس إليهم لمناصرتهم، ولا شك أن هذا النوع الأدبي استمر مع الدولة الحمادية والموحدية والزيانية وما بعدهم، فنقرأ في كتب السير والتراجم عن تلك الخطب والوصايا التي كانت تلقي في مساجد حواضر المغرب الأوسط هادفة ومركزة على النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجميع الصفوف والتعاون الداخلي ومواجهة لمخاطر الخارجية.

وفي بغية الرواد، نعثر على ترجمات لشخصيات في هذا المجال خلال القرنين 6 و7 هـ - 12 و13 م. كأبي عبد الله محمد بن الحجام الشاعر الصوفي² ت 619 هـ. وهو واعظ أهل زمانه وله مؤلف عنوانه، حجة الحافظين ومحجة الواعظين" كما نجد عبد الرحيم بن أبي العيش³ الخزرجي النقي الورع. وخير وصية نعثر عليها تلك التي تركها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني 760-791 هـ. لابنه تاشفين⁴ وتعرف بواسطة السلوك في سياسة الملوك فهي غنية ومملوؤة بالمواعظ والنصح والحكم، وعلى الحاكم العمل بها لنجاح

¹ - رابح بونار، المرجع السابق، ص 319.

² - شوقي أبو ضيف: المرجع السابق، ص 62.

³ - يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 137.

⁴ - انظر واسطة السلوك، المصدر السابق، ص 52 وما بعدها.

واستقامة حكمه. فقد غلب على نثر هذه الفترة أسلوب السجع، والمحسنات البديعية فضلا عن جزالة الألفاظ وسلامة اللغة¹ وقد شاع استخدام مصطلح رسالة أو كتاب في مكتباتهم الخاصة والرسمية².

ونذكر من الذين برزوا في هذا المجال أبا بكر بن خطاب الأندلسي الذي توفي سنة 688 هـ 1289م فلم يعرف هذا الأديب بشعره، بقدر ما عرف بكتابة الرسائل واعترافا بمكانته جعله يغمراسن صاحب القلم في قصره حتى ذاع صيته في بلاد المغرب والأندلس.³

كما اشتهر من الكتاب ابن وضاح الذي كان بارعا في فن الكتابة إذا كان هو الآخر من المقربين ليغمراسن بل من مساعديه. إذن فقد كان النثر يشع من وقت لآخر في المقامات التي كان الكتاب يتقنون فيها وفي الرسائل الإخوانية التي كانت متدولة⁴.

ولتأكيد ما قلناه ننظر إلى نثر سليمان بن عبد الله الكومي⁵ الذي يقول فيه "إلى عامل كثرت الشكاوي منه" "قد كثرت فيك الأقوال وأعضاني عنك رجاء أن تتيقظ فتصلح الحال وفي مبادرتي إلى ظهور الإنكار عليك نسبة إلى نثر الاختيار وعدم الاختيار فاحذر فإنك على شفا جرف هار"⁶ ومن الذين برزوا في النثر أيضا خلال هذه الفترة أبو عثمان سعيد بن بن حكم بن عمر بن حكم بن عبد الغني القرشي⁷ ولد سنة 601 هـ. بالأندلس واستوطن بجاية وأقام بها، كان بارعا في العربية والأدب وكثر نظمه ونثره، يقول عنه الغبريني "له علم

¹ - عبد العزيز فيلالي، المصدر السابق، ص 456.

² - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 62. أنظر الملحق ص ص 298-299

³ - عبد العزيز فيلالي، المصدر السابق، ص 456. التنسي، المصدر السابق، ص 205، الإحاطة ص 175.

⁴ - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص 75.

⁵ - انظر الغبريني، المصدر السابق، ص 254.

⁶ - رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 112. نفخ الطيب، ج2، ص ص: 100-101

⁷ - الغبريني، المصدر السابق، ص 254.

بالعربية والأدب ونثر وكتابه مستحسنة، فصيح القلم واللسان، توفي بثغر ميورقة سنة 680هـ¹.

ومن الذين دخلوا بجاية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار² الذي سكن بجاية والذي أفاد الكثير من الطلبة، فهو نحوي، ولغوي، وأديب، وكاتب، بارع، له مؤلفات منها "اللجين في مرثي الحسين"³، وله أيضا "دار السمط في أخبار أخبار السبط"، كما أبدع في النثر وله رسالة شهيرة إلى المستنصر توفي سنة 658 هـ بتونس. ومن الذين أبدعوا كتابة ونثرا وبلاغة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن الجنان، اخترت بعض ما جاء في نثره :

"السلام العميم الكريم والرحمة التي لا تبرح ولا تريم والبركة التي أولها كالصلاة وآخرها التسليم على حضرة الرسالة العامة والنبوية المؤيدة بالعصمة، سلام من يمد إليك يد الغريق وينجو الانقاذ ببركتك من نكل المضيق"⁴.

ومن الذين تركوا آثار في هذا الفن نجد أبو مدين شعيب في مجموعة من الرسائل، والأقوال، والوصايا، في الوعظ، والإرشاد، وقد جمعت هذه الأقوال في الرسالة المسماة: "بعقيدة أبي مدين" وأخرى تعرف "بأنس الوحيد ونزهة المرید في علم التوحيد والحكم"، ثم رسالة "مفاتيح الغيب لإزالة الريب"، "تحفة الأريب في نزهة اللبيب"، و"رسالة أبي مدين": وهي عبارة عن رسالة موجهة إلى المرید.⁵

¹ - محمد الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص 192.

² - المقري: نفح الطيب، ج3، المصدر السابق، ص 303.

³ - الغبريني: المرجع السابق، 254. محمد الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص 194.

⁴ - محمد الطمار: الروابط، المرجع السابق، ص 192.

⁵ - بوزيان الدراجي: المرجع السابق، ص-ص: 162-165.

1- الرسائل الديوانية: فإلى جانب الخطب والوصايا نجد فن الرسائل الديوانية الذي سيستمر في المغرب الأوسط منذ الرستميين إلى غاية ما بعد القرنين 6-7 هـ / 12، 13م، حيث اتخذت هذه الدول دواوين الإشراف على شؤون الدولة، ومن الذين برزوا في هذا المجال أبا عبد الله محمد المعروف بابن دفريز الذي يكون قد فر من مدينة بجاية بعد استرجاعها على يد الموحدين ومما جاء في رسالة كتبها إلى سلطانها الحمادي يحيى بن عبد العزيز.

"كتابنا ونحن نحمد الله على ما شاء وسرّ وتسليماً للقدر وتعديلاً على جزائه الذي يجزي به من شكر، ونصلي على النبي خير البشر وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بسحر.¹

كما نعثر على أبا القاسم عبد الرحمان يوسف المعروف بالقالمي الذي اتخذ عبد المؤمن سنة 548هـ كاتباً له وقد استمر في نفس الوظيفة زمن الخليفة الموحد يوسف فكان عندهم كاتب الإنشاء.²

ونجد أيضاً محمد الوغليسي في القرن السابع الهجري حيث كان في وقته المعتمد في المخاطبات السلطانية إنشاءً وجواباً.

ورد ذكره عند الغبريني إذ يصفه بصاحب المكارم وجمع بين الرواية وعلو المنصب³ وقد رأى له خطباً ونثرًا وكان رأس الجماعة الأندلسية ببجاية.⁴

¹ - شوقي أبو ضيف: المرجع السابق، ص 230.

² - رسائل موحدية: تحقيق أحمد عزوي، ج1، مجموعة جديدة، ص 19-116. أنظر الملحق ص272.

³ - الغبريني: المرجع السابق، ص 241.

⁴ - نفسه، ص 242.

وقد اتخذ يغمراسن أبو بكر محمد بن عبد الله الأديب الأندلسي المشهور كاتباً له¹ غير أنه توفي سنة 636 هـ / 1238م. يقول عنه يحيى بن خلدون "كان من أبرع الكتاب خطاً وأدباً وشعراً ومعرفةً.

ولما ارتحل إلى تلمسان كتب بها عن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان. توفي بها² إلى جانب الشاعر والأديب ابن خميس الذي كان يكتب له ولابنه من بعده.³

أمّا الرسائل الإخوانية فلو تمكنا من الحصول عليها في هذا العصر لأمكننا معرفة أحوال هذا الفن لكن يبدو أنها ضاعت كباقي الآثار الأدبية الأخرى، جراء الصراعات والحروب⁴، طبعا إلى جانب الفنون الأخرى كالمقامات وغيرها...

¹ - بغية الرواد، المصدر السابق، ص 205.

² - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 129

³ - نفسه، ص 208.

⁴ - رابح بونار، المرجع السابق، ص 320.

ج) النحو واللغة:

إن اللغة هي لغة كلا قوم، وفي أي عصر، فهي تدل على الأفكار وطريقة تفكيرهم وتكشف لنا عن النظم والأدوات التي استخدمت في تلك الحقبة الزمنية¹ فاللغة العربية غنية بألفاظها وبقواعدها ونحوها وصرفها واشتقاقها، وقد أصبحت اللغة العربية بعد ظهور الإسلام لغة الدين والفكر² ولم تنزل الأئمة من الصحابة والتابعين ومن تلاهم يحضون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، بها أنزل القرآن وبها بلغ رسوله عليه الصلاة والسلام رسالته.³ الآية، إن أنزلناه قرآن عربيا⁴ وبفضل هذه اللغة الغنية بمفرداتها استطاعت أن تكون صالحة للتعبير عن أعظم حضارة عرفها العالم خلال العصور الوسطى⁵.

أمّا عن النّحو فيقول ابن خلدون : "أعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام وكانت الملكة الحاصلة

¹ - رحيب كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي عاشور: الحضارة العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية القاهرة، المكتبة الجامعية، ليبيا 2008، ص 169.

² - إبراهيم سلمان الكردي: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية- مركز الإسكندرية للكتاب 1997- ص 247.

³ - أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2، دار المعارف، مصر، 1973، ص 12.

⁴ - من الخطأ اعتبار القرآن مجرد كتاب ديني يبشر بعقيدة جديدة لكنه ظاهرة حضارية كبرى روحيا، فكريا، اجتماعيا، سعيد عبد الفتاح عاشور، سعد زغلول: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، ط2، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1986، ص 26.

⁵ - نفسه، ص 54.

للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد مثل الحركات التي تعيّن الفاعل من المفعول من المجرور...¹ ويضيف قائلاً:

"وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى، أو يحاط بها، وطرق التعليم فيها مختلفة، ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة وتكلم عن المفردات والجمال وسماه "بالمغني في الإعراب"² ويبدو أن هناك تداخل بين هذه العلوم فنجد الأديب هو النحوي واللغوي وأحياناً يجمع بين العلمين معاً وهذا ما نلمسه ونجده عند المغاربة بكثرة كما مرّ بنا سابقاً، ومثل ما سنقف عليه فيما بعد وتفسير ذلك هو الإقبال الكبير للبربر على الدراسات النحوية واللغوية³.

وابتداء من القرن الخامس أخذت هذه العلوم تنمو وتزدهر وسجل إقبال كبير عليها من قبل الطلبة خاصة بالمغربين الأقصى والأوسط. لقد شجع الموحدون علم اللغة والنحو⁴ كباقي مواد الدراسات اللغوية والأدبية، فإلى جانب منحهم العطايا والهدايا لهذه الفئة من الناس، فقد حرصوا على اختيار الكتب للتدريس التي تتماشى وطبيعة الدولة الموحدية وهذا التشجيع والتحفيز كان يفرض دعم حركة التأليف والكتابة وبالتالي المساهمة في تطوير الحركة العلمية بالمغرب الأوسط.

¹ - عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 598.

² - المصدر نفسه، ص 599.

³ - إبراهيم حركات: ج1، المرجع السابق، ص 153.

⁴ - فكان أول من أصل ذلك وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ونصر بن عامر، وعبد الرحمان هرمز فوضعوا للنحو أبواباً وأصلوا له أصولاً فذكروا عوامل النصب والرفع والجزم: الزبيدي: المصدر السابق، ص 11، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 599.

ولذلك ستعرف اللغة العربية نشاطا لا يقل أهمية عن الذي عرفته العلوم الدينية خلال فترة بني عبد الواد للتخلي عن الازدواجية في اللغة الذي ساد خلال فترة القرن 6 هـ و12م أي البربرية والعربية. فكانت المجالس اللغوية تقام لدراسة النحو والعروض والبيان وتقام من أجل ذلك المناظرات بين الأدباء وعلماء اللغة والنحو.¹

ونصل إلى أن هناك ارتباط وثيق بين تطوّر اللغة، وتطوّر العلوم الدينية من تفسير وشرح الأحاديث، فهي تساهم بقسط وافر في ازدهار العلوم اللسانية بشكل واسع. وهنا لابد من الإشارة إلى أهمية العوامل الخارجية في تطوير اللغة العربية واللسانية ونقصد من ذلك ما حدث في المغرب الإسلامي ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجري، حيث اجتاحت مغربنا الإسلامي والأوسط القبائل الهلالية والتي نجحت في مواصلة نشر اللغة العربية والإسلام في جميع أنحاء المغرب الإسلامي لاتفاق أساليبيهم وتجانسها مع الحياة البربرية في بلاد المغرب.²

ويشاطر سعد الله هذا الرأي إذ يرى أن الهلاليين كانوا خيرا وبركة على المنطقة، بل وأفادوها بالوجود العربي بالمفهوم الحضاري . فقد اختلطوا بالسكان في يسر وسهولة ولم يكن هدفهم تأسيس دولة على حساب أهالي بلاد المغرب الأوسط.³

وبذلك أقول أنه ابتداء من نهاية القرن الخامس الهجري بدأت اللغة العربية تتمكن من سكان المغرب الأوسط بفضل امتزاج البربر بالهلاليين.

أما العامل الثاني الذي ساهم في إثراء الجانب الحضاري في المغرب الأوسط، فيعود على تلك الهجرات المتتالية للأندلسيين على أرضنا بالمغرب الأوسط، فحظ هذه المنطقة كان

¹ - عبد العزيز فيلالي، المصدر السابق، ص 452.

² - مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصر الموحدين وبني مرين: 524 876 هـ/ 1130-1472، مطبعة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982، ص 263.

³ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 8.

كبيراً¹ خاصة تلمسان وبجاية التي خضعت بعض الوقت للحفصيين وحتى هؤلاء ساروا على أنقاض الموحديين من حيث الاهتمام بالجانب الثقافي، فالأندلسيين حملوا معهم الكثير من العلوم والفنون والآداب التي نشرت في حواضر وبوادي المغرب الأوسط. فراجت أسواق العلوم الأدبية² وحظيت الدراسات اللغوية باهتمام كبير من طلبة وكتاب وشعراء المغرب الأوسط.

وحتى نهاية القرن الخامس الهجري - لم تستطع المؤلفات المغاربية في هذا المجال أن تسيطر على الأوضاع الثقافية ببلاد المغرب على الأقل في المؤسسات الثقافية خاصة في مجال التدريس وبحلول القرن السادس ثم السابع أصبح ذلك ممكناً وبدأ الاهتمام بالمؤلفات النحوية والأخرى التي تخص اللغة والأدب فتحوّلت بجاية، تلمسان، وهران، جزائر بني مزغنة وورجلان إلى مراكز وحواضر لبث العلوم على يد علماء أجلاء برزوا في المغرب الأوسط.³ تركوا آثارهم في هذا المجال وجماعات أخرى رحلت من الأندلس إلى تلمسان وبجاية، والبعض الآخر انتقل من المغرب الأوسط إلى الأندلس والمشرق لطلب العلم في هذا الغرض نذكر منهم عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن السطاح المتوفى سنة 629 هـ. 1231م فقيه لغوي ونحوي. سكن بجاية ومنها انتقل إلى الأندلس لطلب العلم، وإبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله موسى أديب وشاعر⁴.

¹ - محمد الطمار: تاريخ، المرجع السابق، ص 66.

² - حاجيات: الحياة، المرجع السابق، ص 149. بلعربي خالد: الدولة، المرجع السابق، ص 336.

³ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 155.

⁴ - عمار هلال: العلماء، المرجع السابق، ص-ص: 28-29.

ومن المؤلفات النحوية التي كانت تتداول في بلاد المغرب الإسلامي والأوسط خاصة. "الألفية في النحو" ليحي بن عبد المعفى الزواوي من جزائر بني مزغنة ت 628 هـ. تلميذ أبي موسى الجزولي.¹

وكتاب "الموضح في علم النحو" لمحمد بن حسن القلعي ت 673 هـ² وكتاب جمل الأمل والمتأمل الجمل لابن الدراج السني المولود بتلمسان ونشأ بها ت 693 هـ.

وكتاب سيبويه³، والإيضاح لأبي علي الفارسي، والجمل للزجاجي، وكتاب القانون لأبي موسى الجزولي والمقتصد للزمخشري⁴، وكتاب تقييد على كتاب المفصل، تأليف ابن فتوح الحفزي عبيد الله بن محمد البجائي الأندلسي ت 662 هـ⁵ كتب ابن مالك، كتب ابن هشام، الكافية لابن الحاجب ومضرب أبي عصفور.

وبعد هذا العرض البسيط، أستعرض بعض الذين برزوا في هذا لمجال والذين ساهموا في دعم لحركة العلمية بالمغرب الأوسط فنقول أن دراسة النحو خلال القرنين 6 و7 هـ. قد شاعت وراجت.

¹ - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص 88. ابن خلكان، ج2، المصدر السابق، ص 88، ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص 170.

² - يقول عنه الغبريني لزمتم عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام وقرأت عليه النصف من كتاب سبويه وقانون أبي موسى الجزولي وجملة من الأصالي ومن زهر الآداب ومن المقامات عنوان الدراسة

³ - رابع بونار: المرجع السابق، ص 314، حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص 156.

⁴ - عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 208.

⁵ - الغبريني: المصدر السابق، ص 159.

محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله المغربي البيجائي لأشيري (557 هـ - 645 هـ) النحوي¹ الذي يكون قد درس على يد الجزولي وصاحبه إلى الأندلس² ولازمه الكثير وأخذ عنه، كان معلما بالنحو عارفا بعلمه درس بالمغرب الأوسط.³

كما برز خلال هذه المرحلة ابن دحية ت 633-1235م. ظل ينتقل بين تلمسان وبجاية حيث ألف كتابه في النحو المسمّى "الصارم الهندي في الرد على الكندي"⁴ يذكره عبد الله كنون ضمن أهل النحو. كما نصادف الفقيه أحمد جعفر أحمد الليلي. استقر ببجاية لفترة عالم في اللغة والنحو وأصول الدين، عاش خلال القرن السابع الهجري.⁵

ونبقى ببجاية حيث نجد أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي الإشبيلي اللغوي والنحوي درس في بجاية ثم بإفريقية⁶.

ومن وهران نجد علي بن عبد الله ناشر بن المبارك الوهراني⁷ ت 615 هـ / 1224 م م أبو بكر المفسر والنحوي واللغوي والشاعر ، شرح "شواهد الجمل للزجاجي" في النحو وشرح "المعلقات السبع" وإعرابها⁸ ت 615 هـ 1224م ونبقى دائما في المغرب الأوسط مع أبو بكر بن عمر بن علي بن سالم القسنطيني، النحوي الذي يعد من كبار أئمة العربية.⁹

¹ - عبد المالك المراكشي: السفر 8، المصدر السابق، ص ص: 356-357.

² - الحافظ جلال لدين عبد الرحمان السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- مطبعة عيسى الباي، مصر، ص 264.

³ - ابن الأبار: ج2، التكملة، المصدر السابق، ص 168. علي عيسى، المرجع السابق، 356.

⁴ - عبد الله كنون: ج1، النبوغ، المرجع السابق، ص 142.

⁵ - إبراهيم حركات: ج 1، المرجع السابق، ص 142.

⁶ - نفسه، ص 141.

⁷ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 350.

⁸ - الصفدي: المصدر السابق، ج2، ص 172.

⁹ - السيوطي: بغية الوعاة، ج1، المصدر السابق، ص 470.

كما يعد محمد بن صالح الكنوني: الذي ولد سنة 624 هـ من أعلم الناس فهو خطيب بارع ونحوي يذكره الغبريني بأن له شعر.¹

ومن الذين اهتموا بهذه العلوم إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري المولود سنة 615 فهو فقيه وأديب² لغوي كما تفوق في علم العروض، انتشر إسمه وعرف في كامل المغرب الأوسط.³

ومن المعاصرين له نجد، محمد بن عبد الله بن عبد العزيز. بن عمر أبو عبد الله التلمساني المولود سنة 606 هـ⁴ من شيوخه محمد منداس السابق ذكره، وعبد الرحمان بن الزيات الذي استقر بمصر ومن العلماء الذين اشتهروا بالمغرب الأوسط خلال الفترة الحفصية أبو الحسن زين الدين أبو زكرياء يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الذي كان متضلعا في علوم النحو والعربية من شيوخه أبي موسى الجزولي وهو أيضا شرح أبيات سبويه توفي بالقاهرة سنة 628 هـ. 1231م.⁵

كما يذكر اسم يوسف بن يخلف ضمن علماء المغرب الوسط وشيوخها في النحو واللغة والذي عاش خلال القرن السابع الهجري، كان يدرس للطلبة في بجاية شعر أبي تمام والمنتبي، ودواوين امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والنابعة الذبياني⁶، ومن المعاصرين

¹ - محمد الطمار: المرجع السابق، ص 178. الغبريني: ض، الصدر السابق، ص 322.

² - خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 336.

³ - الحفناوي، المرجع السابق، ص 13، ابن مريم، المصدر السابق، ص 56.

⁴ - عبد العزيز فيلاي، المصدر السابق، ص 335.

⁵ - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 167.

⁶ - شوقي: الدولة والإمارات، المرجع السابق، ص 91.

له. **عبد الله النفزي**، الشاطبي نزيل بجاية وتوفي بها 642 هـ 1244م هو من شرح المفضل للزمخشري حين كان يدرسه لطلبته.¹

وإلى جانب هؤلاء نجد كوكبة أخرى من النحويين واللغويين الذين كان لهم دور أساسي في قيام نهضة حضارية وفكرية بالمغرب الوسط. **كمعمر بن موسى يوسف المشدالي** النحوي الذي نشأ في بجاية خلال نهاية القرن السابع الهجري²، و**أحمد بن هلال العروضي أبو العباس الأديسي** واللغوي انتقل إلى بجاية من جزائر بني مزغنة³. و**الحسن بن علي بن طريف التاهرتي** عالم النحو والأديب، درس النحو بسبتة، توفي عام 501 هـ.⁴

بالإضافة إلى عدد كبير من العلماء في مختلف الميادين كالجغرافيا والفلك والحساب، وكان الاهتمام بالطب والأدوية على رأس العلوم العقلية، حيث نعثر في تراجم الغبريني وغيره أسماء لأطباء برزوا في المغرب الأوسط. نذكر منهم: أبو القاسم محمد بن محمد الأمزي الأندلسي⁵ الذي هاجر إلى بجاية حيث امتحن تعليم الطب للطلبة وله رجز نظم فيه بعض الأدواء⁶ وبقي ينتقل بين المغرب الأوسط والأدنى حتى توفي سنة 674 هـ. 1275م.

كما نجد الطبيب أبو عبد الله محمد بن يحيى عبد السلام التندلسي⁷ الطبيب الذي عاصر أبو القاسم الأندلسي عالج الكثير من المرضى. دخل تلمسان إبان الفترة الزيانية فقد كان مزاولا ومعالجا⁸، وفي نفس الفترة وجد طبيب آخر من قلعة بني حماد¹ يسمى عمر بن

¹ - شوقي: الدولة والإمارات، المرجع السابق، ص 92.

² - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 301.

³ - ابن الأبار: التكملة، ج1، ص 19.

⁴ - السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ص 269.

⁵ - الغبريني: المرجع السابق، ص 101.

⁶ - نفسه، ص 101.

⁷ - الغبريني: المرجع السابق، ص 294.

⁸ - شوقي أبو طيف: المرجع السابق، ص 87.

بن علي البذوخ أبو جعفر الذي كان خبيراً بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة فهو طبيب
ماهر.²

¹ - نفسه، ص 87.

² - عادل نويهض: المرجع السابق، ص 362.

الخاتمة:

لقد حاولت في هذا البحث التطرق إلى أهم العوامل و المظاهر العلمية و الفكرية التي ميزت المغرب الأوسط خلال القرنين (6 و7هـ) (12،13م) متجاوزا أحيانا الإطار الجغرافي للموضوع، فوجدت أن حواضر وبادي المغرب الأوسط قد ازدهرت فيها العلوم المختلفة العقلية والنقلية، وعرفت أوج قوتها بهذه المنطقة التي فتح بها باب الاجتهاد الذي كان مسدودا في عهد المرابطين، في علم الكلام وسائر العلوم العقلية وحتى التصوف أخذ مكانه في هذه الفترة. ولم تكن تختلف عن باقي حواضر العالم الإسلامي. صحيح لم تظهر في مستوى القاهرة أو مكة أو القيروان أو فاس، لكونها لم تحظى بدراسات شاملة وافية خاصة في جانبها الحضاري. و بالمقابل نجد قلعة بني حماد و بجاية وتلمسان،. قد تعدت شهرتهم بلاد المغرب الأوسط بل وتحولت إلى حواضر ومنابع لمختلف العلوم و انتقل إليها عدد كبير من الطلبة، وزارها العلماء و الفقهاء و الأدباء منهم من استقر بها وبعضهم مر بها ، وفي كل الحالات فإن عدد الشيوخ الذين درسوا بهذه الحواضر كان كبيرا لا يمكن حصره ويكفي أن نستعرض مثلا التراجم الواردة في عنوان الدراية أو بغية الرواد وغيرهما لنعرف أهمية وحجم بجاية العلمي و الثقافي ومدى مساهمتها في نشر العلوم و دعم الحركة العلمية بالمغرب الأوسط، ومثلها كانت تلمسان وباقي الحواضر الأخرى التي مازالت تحتاج إلى المزيد من البحث و الدراسة لإعطائها حقها الحضاري و التاريخي، ورفعها إلى مستوى أهم حواضر العالم الإسلامي التي كانت موجودة خلال الفترة التي أدرسها

بعد الانتهاء من هذا العرض الذي تناولت فيه الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرن (6 و7 هـ) (12،13 م) مستعرضا ومحلا ومناقشا مختلف القضايا والأوضاع الحضارية والعلمية للمغرب الأوسط وصلت في النهاية إلى النتائج التالية:

- استمرارية النهضة الفكرية التي عرفها المغرب الأوسط خلال الفترة المرابطية والحمادية.

- لقد أحدثت ثورة ابن تومرت، و من جاء بعده تغيرات جذرية على نمط الحياة الفكرية والعلمية و العقائدية في المغرب الأوسط، زادت ازدهارا ورقيا مع الزيانيين كانت أهدافها تكوين دولا قوية و مهابة.
- اهتمام و تمسك الموحديين و الزيانيين بالنهضة العلمية و الثقافية و العمل على المحافظة على الموروث الحضاري السابق.
- تحول بجاية و تلمسان و ندرومة و وهران و غيرها، إلى حواضر ثقافية بالمغرب الأوسط طيلة الفترة المدروسة بلغت في رقيها وازدهارها القيروان، و فاس، و مصر.
- لقد كان أثر التصوف كبير كظاهرة دينية و إجتماعية بالغ الأهمية في نشر و توسيع و ترسيخ مختلف العلوم و المعارف وسط مجتمع المغرب الأوسط.
- الإشارة إلى أهمية التعليم كوسيلة في نشر و ازدهار الحركة العلمية بالمغرب الأوسط والمغرب الإسلامي ككل .
- رغم الاختلاف و التباين بين المتصوفة و الفقهاء، إلا أن نتائج ذلك كانت تكثيف المنتج الفكري و العلمي و ظل الاختلاف بعيدا عن الصراع، لتحكم الخلفاء و الولاة في أمور البلاد و حسن تسييرها.
- لقد كان أثر المذهب المالكي واضحا في تطور العلوم، و الآداب، خلال الفترة المدروسة، من خلال حرية التفكير و مناقشة القضايا المختلفة التي تمتع بها الناس في ظل المذهب المالكي.
- كان للتنافس الشديد بين سلاطين المغرب الأوسط والدويلات المجاورة والأندلس والمشرق على تقريب أهل العلم وتشجيعهم، أثره على دعم واستقرار العلماء وتطوير الحركة العلمية بالمغرب الأوسط.

- تحوّل المغرب الأوسط إلى مركز إشعاع فكري و حضاري لعدد كبير من طلبة المغرب الإسلامي الكبير و دول جنوب الصحراء.
- استقرار و إقامة الكثير من أهل العلم و الأدب بحواضر المغرب الأوسط كدليل ومظهر للأهمية العلمية و الحضارية لهذه المنطقة في العالم الإسلامي.
- بروز ظاهرة الرحلة العلمية كعامل مساعد في نقل ونشر مختلف العلوم و المعارف، من المشرق و الأندلس إلى بلاد المغرب الإسلامي من خلال الجلوس و الاحتكاك بعدد كبير من العلماء و المتصوفة، كما بينا ذلك سابقا، فكان الجلوس إليهم للتزود بالعلم و المعرفة، وفي كثير من الأوقات الحصول على الإجازات التي زادت من مكانة هؤلاء العلماء والأدباء وتضاعفت معارفهم و علومهم.
- يبدو أن العلوم الأدبية قد نالت حظا أوفر من الاهتمام من قبل المغرب الأوسط، و التي كانت أكثر من ضرورية لارتباطها بالعلوم النقلية و التي كانت تحتاج إلى الدراية ومعرفة اللغة و النحو لإدراك معاني القرآن و فهم سوره، إلى جانب الحديث و الفقه لتبليغ ذلك إلى الطلبة و المريدين.
- جل العلماء و الأدباء الذين استعرضناهم أو الذين لم نذكرهم جمعوا بين عدة علوم فنجد الواحد منهم أديب وشاعر وفقه ومؤرخ وفيلسوف وطبيب و.... ونادرا ما نجد له اختصاص واحد.
- فالجمع بين العلوم كان ظاهرة هذه الفترة التي درسناها ليس فقط بالمغرب الأوسط، بل في باقي بلدان المغرب الإسلامي و المشرق و الأندلس.
- لم تمنع الصراعات و الحروب التي ميزت فترة القرنين (6 و 7 هـ) (12،13 م) بالمغرب الأوسط، في ظل الدويلات التي عاشت متجاورة، فقد استمر التواصل والتبادل العلمي والثقافي بين أقطار المغرب الإسلامي و الأندلس.

- رغم أن ابن تومرت جمع بين الظاهرية و المالكية، و أخذ من التشيع ما يخدمه، فإن أهل المغرب الأوسط ظلوا متمسكين بالمالكية التي إستمرت إلى ما بعد القرن السابع.
- تمكن خلفاء ابن تومرت من فرض وحدة سياسية بين بلدان المغرب الإسلامي والأندلس نتج عنه تأثيرات اجتماعية و ثقافية و علمية كبيرة زادت ملامحها بعد سقوط الأندلس إذ لاحظنا إقامة عدد كبير من الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط.
- لقد مثلت تلمسان عاصمة الزيانيين أعظم مركز حضاري و علمي بين حواضر المغرب الإسلامي، وظلت منبرا و معبرا لرجال العلم و الأدب و السياسة منذ الأدارسة إلى غاية الدولة الزيانية.
- لقد تميز ملوك و سلاطين الدولة الزيانية بمرونة وبساطة وتقريبهم وتقريبهم أكثر من المتصوفة و أهل الأدب و العلم.
- بالرغم من التجاذب و الصراعات و التباين بين سياسات حكام دويلات المغرب الأوسط عبر الأزمنة إلا أن أهله ظلوا محافظين على شخصية المكان وانتمائه العربي والإسلامي.
- و الخلاصة أن أهمية العلم لا تقدر بثمن، فهناك آيات و أحاديث تدعو إلى طلب العلم و ترغيبه و تمجده و تحفظ للعلماء و طالبي العلم مكانتهم و هذا شرف عظيم كيف لا ونحن نجد أن الله عز و جل قد قرن اسمه بالعلماء: "الآية18 من سورة آل عمران".
- و ورد في الأثر أن الملائكة تدعو و تستغفر لطالبي العلم و أهل الذكر فمكانة و أهمية العلم عند الله تعالى تظل قائمة إلى يوم الدين، حتى أن فضل العالم على العابد كفضل القمر على باقي الكواكب.

والحضارات الإنسانية قامت و لا تزال. بالعلم و المعرفة تقوم الحضارات الحالية، وما بلغه المسلمون من رقي حضاري في العصور الوسطى لدليل على ذلك، و ما أحوجنا نحن المسلمين إلى ذلك و أصبحنا نحن نشوق إلى ذلك الماضي المجيد .

وأخيرا أقول لقد حاولت جاهدا أن أجمع ما أمكن من المعلومات حول مغربنا الأوسط لتأكيد مكانته الحضارية عبر العصور مشيدا بأبناء هذه البلاد في دعم الحركة العلمية خلال الفترة التي درستها أو قبلها أو بعدها، و اكتشفت تمسك و حرص هؤلاء على النهوض بهذه البلاد والحفاظ على هوية شعبها وانتماءه الحضاري العربي والإسلامي، ومع ذلك فقد بقي الكثير مغمورا و مجهولا. نتمنى التقيب عنه مني أو من غيري في المستقبل، فهي أمانة ودعوة الى كل من يكن حبا و إخلاصا لهذا البلد والوطن.

نسب المهدي:

و هو على ذكره غير واحد من المؤرخين في دولتهم محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رماح بن يسار بن العباس بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين توفي يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان المعظم سنة أربع و عشرين و خمسمائة.

مفاخر البربر لمؤلف مجهول

دراسة و تحقيق: عبد القادر بوباية

دار أبي رقرق للطباعة و النشر الرباط ط1 2005، ص 207.

بيعة المهدي:

ثم بعد ذلك رحل إلى تينمل، فبايعوه تحت شجرة الخروب، فأول من بايع المعصوم الخليفة عبد المؤمن بن علي، ثم أبوه إبراهيم، ثم بعده عمر أصناك، ثم عبد الواحد الشرقي، ثم عبد الله المحسن الونشريسي المكنى بالبشير، وبعده أبو موسى الصمودي، وبعده الفقير المؤلف وبعده أبو محمد وسنار وبعده عبد الله أهلاط وبعده أغوال وبعده يبورك إيسمكين، وميمون الصغير، وميمون الكبير، ويحي المسمع و عبد السلام أغيي، ومسلم الجناوي، و مكرار وملول بن إبراهيم و أولاده، ثم سائر الموحدين.

البيدق: اخبار المهدي بن تومرت ص ص 34-35.

لقاء الغزالي و ابن تومرت:

" ... أخبرني الحاج الصالح المسن فلان من أهل فاس قال : كنت في حلقة أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى التي حلقتها للتدريس فجاء ذات يوم رجل كث اللحية على رأسه كرزي صوف و هو محتب بكساء، فدخل المدرسة وحيها بالركعتين ثم أقبل إلى الشيخ أبي حامد رحمه الله تعالى فسلم عليه فقال له: من الرجل؟ فقال رجل من أهل المغرب الأقصى فقال له: دخلت قرطبة؟ قال : نعم، قال: فما فعل فقهاؤها و كيف حال إخواننا في الله تعالى؟ فقال: بخير، قال: هل انتهى إليكم كتاب الأحياء؟ قال: نعم، فماذا قالوا عنه؟ فوجم الرجل وخجل ولازم الصمت حياء. فعزم عليه الشيخ ليقول له ما طراً فقال له: القوم جهال مقلدون لم يعرفوا قدره ورفعوا إلى السلطان العدو و الأندلس في شأنه و انه ينبغي أن يحرق فأمر بإحراقه، فجمعت النسخ التي في البلاد منه و أحرقت في كل بلد، قال : فتغير وجه أبي حامد و مد يده للدعاء و الطلبة يؤمنون، فقال في دعاءه: " اللهم مزق ملكهم كما مزقوه و أذهبت دولتهم كما حرقوه، فقام رجل من الحلقة كان يقال له في ذلك الوقت أبو عبد الله السوسي فقال : أدع الله أيها الإمام أن يجعل ذلك على يدي، فتغافل عنه أبو حامد رحمه الله، فلما كان يعد جمعة أو نحوها إذا بشيخ آخر على شكل الأول فسأله الشيخ أبو حامد فأخبره بصحة الخبر المتقدم، فدعا بمثل دعائه الأول فقال له المهدي: على يدي إن شاء الله فقال اللهم اجعله على يده فقبل الله دعاؤه فخرج أبو عبد الله بن تومرت من بغداد وصار إلى المغرب وقد علم أن دعوة الله لا ترد.

من كتاب المن بالإمامة : لابن صاحب الصلاة، ص، ص. 72-73.

وصية ابن تومرت:

وذلك أن ابن تومرت قبل موته بأيام يسيرة استدعى هؤلاء المسمين بالجماعة و أهل خمسين و هم كما ذكرنا من قبائل متفرقة لا يجمعهم إلا اسم المصامدة فلما حضروا بين يديه قام وكان متكئا، فحمد الله بما أهله وصل على محمد نبيه صل الله عليه و سلم ثم أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم و يذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم و العزيمة في امرهم... ثم قال: "... فانقرضت هذه العصاية نضر الله وجوهها، وشكر لها سعيها وجزاها خيرا عن امة نبيها و خطبت الناس فتنة تركت الحليم حيران و العالم متجاهلا مداهنا، فلم ينتفع العلماء بعلمهم، بل قصدوا به الملوك، و اجتلبوا به الدنيا و أمالوا وجوه الناس إليهم...".

"... كونوا يدا واحدة على عدوكم فإنكم إن فعلتم ذلك هابكم الناس و أسرعوا إلى طاعتكم و كثر أتباعكم و أظهر الله الحق على أيديكم، و عليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة و اللين بالعنف و أعلموا مع هذا انه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا على الذي صلح عليه أمر أولها. وقد اخترنا لكم رجلا منكم و جعلناه أميرا عليكم ، هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله من ليله و نهاره و مدخله و مخرجه و اخترنا سيرته و علانيته فرأينا في ذلك كله ثباتا في دينه متبصرا في أمره، و أني لأرجوا ألا يخلف الظن فيه و هذا المشار إليه هو عبد المؤمن فاسمعوا له و أطيعوا ما دام سمعا مطيعا لربه، فإن بدل أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره ففي الموحدين أعزهم الله بركة و خير كثير و الأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده.

فبايع القوم عبد المؤمن و دعا لهم ابن تومرت ومسح وجوههم و صدورهم واحدا واحدا فهذا سبب إمرة عبد المؤمن رحمه الله، ثم توفي ابن تومرت بعد عهد يسير و اجتمع أمر المصامدة على عبد المؤمن.

المعجب: ص ص.146-147.

العلم:

أعز ما يطلب و أفضل ما يكتسب، و أنفس ما يدخر، و أحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير هو أعز المطلب و أفضل المكاسب ، و أنقى الذخائر و أحسن الأعمال .

و بيان ذلك أن ما خلق الله في العالم العلوي و الوسطي و السفلي معنى يفصل به بين النفي و الإثبات و الحق و الباطل سواء. و الذي يستعين به طالب العلم على فتح ما إنغلق و كشف ما التبس إخلاص النية، و اغتنام الفوائد و الحرص على الزيادة و الرغبة إلى الله في الهداية و التوفيق و العلم نور في القلب تتميز به الحقائق و الخصائص ، و الجهل ظلام في القلب تلتبس به الحقائق و الخصائص و طرق العلم منحصرة في ثلاث : الحسن و العقل و السمع.

من كتاب: أعز ما يطلب لمحمد بن تومرت ص 33.

و أما الخمسون فهم:

أما من قبيلة هرغة فستة رجال: أبو مروان عبد الملك بن يحيى و أبو زيد عبد الرحمن بن سليمان و إسحاق و لم أجد إسم أبيه و أبو زكريا يحيى بن يمور و يعزى بن مخلوف و أبو زيد عبد الرحمن بن داود.

و أما من قبيلة تتمل فأربعة عشر وهم: أبو عمران موسى بن سليمان القاضي و أبو عبد الرحمن وسواجات بن يحيى و أبو بكر بن يزمارن و أبو محمد عبد العزيز، لا أدري إبن من و علي بن يامصل و الحاج موسى و يحيى أغوات و عبد الله بن ينسال و القاسم بن محمد و يوسف بن مخلوف و أبو علي يونس.

و أما من قبيلة من هنتائة فثلاثة: أبو يعقوب يوسف بن واندوين وداود بن عصام و أبو محمد بن وحدان.

و أما من جدميوة فرجلان: أبو محمد يعيش و أبو حرب.

و أما من جنفيسة فأربعة: أبو إسماعيل و أبو زيد عبد الرحمن بن رحو و عبد الله بن الحاج و أبو سعيد يخلف بن الحسين.

و أما من القبائل فرجل واحد: وهو عبد الرحمن بن ينومر.

و أما من هكسورة فثلاثة: إسحاق بن يونس و عبد الله بن عبيد الله و أبو عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن بندوس.

و أما من صنهاجة فثلاثة: أبو محمد الجراوي و يحيى بن وسنار و إسحاق بن محمد.

و أما من الغرياء فخمسة: أبو يعقوب اللمطي و أبو زكرياء يحيى الدرعي و عبيد الله بن يوسف الزناتي و سليمان الجزولي و إبراهيم بن جامع.

إبن القطان المراكشي : نظم الجمان ، ص،ص 84،85.

إحراق كتاب الأحياء:

في أول عام ثلاثة و خمسمائة عزم علي بن يوسف عن إجماع قاضي قرطبة أبي (عبد الله محمد) علي بن حمدين وفقهائها على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بالأحياء فأحرق رحبة مسجدها على الباب الغربي على هيئته بجلوده بعد إشباعه زيتا وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس، ونفذت كتبه إلى جميع بلاده أمرا بإحراقه حيثما وجد و أخذت منه نسخا من أيدي أصحابها كان معول الغزالية عليها منها كتاب بن ياسين، توعده علي بن يوسف على إحضاره. فأحضره له وفقد الكتاب المذكور ومنها كتاب ابن العربي حمله مع نفسه إلى الجزيرة الخضراء ثم أمر نجله في الماء.

فحل معظمه وفقد سائرهم و توالى الإحراق على ما إشتري منه ببلاد المغرب بقية ذلك العام.

من كتاب المن بالإمامة لإبن صاحب الصلاة ص 71.

رسالة المهدي إلى جماعة الموحدين الرسالة المنظمة:

فهي إلى جماعة الموحدين المؤمنين بمهدويته و عصمته وبتكفير غيرهم نص

الرسالة:

"... بسم الله الرحمن الرحيم صل الله على محمد و آله وسلم إلى جماعة أهل التوحيد وفقهم الله لما يحبه و يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو و نشكره على آلائه ونعمه و نصلي على محمد نبيه ورسوله والذي نوصيكم به تقوى الله و العمل بطاعته و الاستعانة به و التوكل عليه.

كتبنا إليكم هذا الكتاب بعدما اتصلت بنا أخباركم وقيامكم في نصره الحق واجتهادكم على إحياء السنة و تآلفكم و تعاونكم على إظهار الحق و اجتماعكم على إخماد الباطل والضلال و جهاد المجسمين و المفسدين فحمدنا الله تعالى على ذلك وشكرناه إذ من علينا بالإخوان على إظهار الدين و إحياء السنة امتثالاً لقول الله تعالى: "واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثرتهم" فنبه على أن كثرة الإخوان و الأنصار منة منه عظيمة لأن بأنصار الحق يظهر نور الحق وجمال الدين و به يهدم الباطل و الضلال حتى تمتحي آثاره ورسومه، وتبقى بعده أنوار الحق مشرقة و أعلامه واضحة.

فلما كان الحق ينصر و الدين لا يظهر إلا بأيدي الحق و المجاهدون عليه عظم الله أمر المجاهدين و بين فضلهم و أخبر أن الجهاد بالأموال و الأنفس تجارة تنجي من عذاب أليم...".

لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص409.

رسالة من عبد المؤمن إلى أهل تلمسان وهي من إنشاء الكاتب أبي عقيل بن عطية.

من أمير المؤمنين أيده الله بنصره و أمده بمعونته إلى الطلبة الذين بتلمسان وجميع من فيها من الموحدين أدام الله كرامتهم بتقواه سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد فالحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء على العموم و الإطلاق وجمعت عصمته أهل الاجتماع على طاعته و الاتفاق، وتمت نعمته تماما على أبلغ وجوه الانتظام و الاتساق، و الصلاة على محمد نبيه المبتعث لتتميم مكارم الأخلاق و على آله الطاهرين وصحبه المتوارزين. و الرضا عن الإمام المعصوم و المهدي المعلوم علم الأعلام و ذخيرة الإيمان و السلام و بدر الكمال و التمام... . وهذا كتابنا إليكم كتب الله لكم فيما خولكم النماء و الزيادة. و بسط في أرجائكم و متعلقات رجائكم اليمن و السعادة من حضرة بجاية حرسها الله عن أصول ترتب صلاحها على أفضل وجوده... وقد تقدم إعلامكم واصل الله سروركم و ضاعف شكوركم بما كان من صنع الله تعالى في فتح هذه البلاد التي يسر مرامها بحوله و إقتداره و نور ظلامها بأضواء هذا الأمر السعيد و أنواره و صير باطحها و آكامها من مواطئ أوليائه و أنصاره... . و الله نسأل بشكر هذه النعم المتظاهرة عونا ممدودا و حولا بمعاهد المعونة الربانية معقودا و قوة تلقي من حمدتها إلى كل جديد منها جديدا بمنه و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المرجع: عبد الله كنون : النبوغ المغربي. ص ص 416،417.

رسالة المأمون الموحدي من إنشاءه في الإعلان بإبطال دعوة المهدي وعصمته:

من عبد الله إدريس أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين إلى الطلبة و الأعيان و الكافة.
ومن معهم من المؤمنين و المسلمين أوزعهم الله شكر نعمه الجسام، ولا أعدمهم طلاقة أوجه
الأيام الوسام. والذي نوصيكم به تقوى الله و الاستعانة به و التوكل عليه، ولتعلموا أننا نبذنا
الباطل و أظهرنا الحق وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم الناطق بالصدق وتلك بدعة قد
أزلناها، و الله يعيننا على القلادة التي تقلدناها، كما أزلنا لفظ العصمة عن لا تثبت له
عصمة و أسقطنا عنه وصفه ورسمه... . و إذا كانت العصمة لا تثبت عند العلماء
للمصاحبة فما الظن بمن لا يدري بأي يد يأخذ كتابه، أف لهم قد ظلوا وأظلوا وسقطوا في ذلك
وزلوا اللهم أشهد أننا تبرأنا منهم تبرأ أهل الجنة من النار ونعوذ بك من أمرهم الرتيث وفعلهم
الخبيث لأنهم في المعتقد كفار والسلام على من اتبع الهدى واستقام.

المرجع: عبد الله كنون : النبوع المغربي ص، ص 421/422

نص الرسالة من عبد المؤمن إلى ابنه يعقوب

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده أعزكم الله وجعلنا وإياكم من الشاكرين لنعماءه، إن من الواجب الحتم المفترض العزم على من لزمه شكر النعم لمسديها (ممهّد الآلاء لمهديها) أن يقدر أولاً النعمة بكاملها ويغمر خاطره بتفصيل إجمالها ويحضر في ذهنه بهجة جمالها ويسرح عين اعتباره في مناقل أحوالها حتى يفيض على باطنه نورا إشراقها وتهمي ينباع قوله بها لا غيادقها وتتبارى له نفحات الشكر في ميدان استباقها وهو الفتح الذي برز في الأعجام والأعراب وأضحى نسيج وحده في الأشباه والأتراب وعقم عن مثله الزمن السالف وخلت هن وصف نظير له الكتب والصحائف، يتأكد بمحله وجوب الإعتبار ولا يزال موقعه يعظم بزيادة الإستيضاح والإستبهار وقد أبررت لكم صوره وتليت عليكم آياته وسوره ووراء ذلك من تفاصيله مطلعات لا تنتهي إليها الأوصاف وغايات لا تحيط بيعها الأكناف فاجعلوا لأنفسكم حظاً من الإعتمال في وزنه بميزانه وقدره على حقيقة كمهه وكيانه واعلموا أن هذه الجمرة التي أطفأ الله لهيبها والجمرة التي أبادها الله وأذهبها وقطع بحبله القوي وسببه المتين حولها وسنمها هي شوكة الأمة التي لا تنزل للأمم صالبة بنيرانها والجن والإنس مستعيزين من شياطينها ومردة كل طائفة كتحيرة من تمردها وطغيانها قد دوخت الملوك والممالك واستحفت المسارح والمسالك...".

رسائل موحدية مجموعة جديدة، تحقيق أحمد غزاوي، منشورات علمية، كلية الآداب و

العلوم الإنسانية، القنيطرة.

إن الرحلة في طلب العلوم و لقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم.

و السبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما ينتحلونه به من علم المذاهب و الفضائل تارة علما وتعلّما و إلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشر و التلقين أشد استحكاما و أقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها و الاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلطة في المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الظروف فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم و تعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها ، فيجرد العلم عنها و يعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه إلى الرسوخ و الاستحكام في المكان و يصحح معارفه و يميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة و التلقين و كثرتهما من المشيخة عند تعددهم و تنوعهم، و هذا لمن يسر الله عليه طرق العلم و الهداية ، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم ، لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال " و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".

المصدر: ابن خلدون، المقدمة، ص 592.

صفات المعلم وطريقة ضربه للصبيان:

القابسي: و ينبغي ان يكون المعلم مهيبا لا في عنف، لا يكون عبوسا مغضبا ولا مبسول مرفقا بالصبيان دون لين، و ينبغي أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم ولا يجعل شيئا من ضربه لقبضه ويريح قلبه من غيظه، فإن فعل فإنما ضرب أولاد المسلمين وليس من العدل وصفة ضربه ما لا يؤلم ولا يتعدى إلى التأثير المستبشع أو الموهن المضر... ولا يضره على رأسه ووجهه، و يتجنب الضرب بالعصا و اللوح.

المصدر: الونشريس، المعيار. ج8، ص 250.

الأدب الشعر النثر	الفلسفة	علم الكلام	الفقه	الحديث	التفسير	علم القراءات	التصو ف	العلوم العلماء
X				X			X	أبو مدين شعيب
							X	أبو عبد الحق بن عبد الرحمان الإشبيلي
							X	أبو عبد الحق بن عبد الرحمان الإشبيلي
							X	لشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الطائي
						X	X	ابن الحجام
							X	أبو العيش الخزرمي التلمساني
			X	X			X	أبو الحسن علي بن حرزهم
			X		X	X	X	أبو الحسن بن علي المسيلي
	X						X	محي الدين بن عربي
			X				X	أبو العباس أحمد بن الحسن بن الغماز البلنسي
X			X				X	يوسف بن محمد بن يوسف أبو العقل
X							X	أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد
X								محمد بن الحسن التميمي القلعي
				X	X	X	X	أبو الحسن علي بن عبد الله بن خلف الأنصاري

						X	أبو بكر يحيى بن محمد الأشبيلي
						X	علي بن محمد بن يوسف الباطري
						X	محمد بن عبد الله بن محمد المعارفي القلعي
				X		X	أبو محمد يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي
						X	محمد بن عبد الرحمان التيجيني أبو عبد الله
			X	X		X	أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني
						X	ابن عضاء محمد بن عبد العزيز

تعليم الصبيان في المساجد لا يجوز:

سئل الونشريسي رحمه الله عن مساجد بلدة اتخذها قوم يعلمون فيها الصبيان وبعض هذه المساجد لا يستطاع الصلاة فيها لكثرة من بها من الصبيان، لا يصلي فيها جماعة في سائر الصلوات، ومن الناس من يقف عن الصلاة لما يتقي أن يصيب الحصر من النجاسات؟ وكيف بهم إن احتجوا أنهم إن خرجوا منها ضاعت وسرق ما بها من الحصر فهل يكن لهم عذرا أم لا؟.

فأجاب لم يجعل الله المساجد ليكتسب فيها الأرزاق و الذي سألت عنه ووصفته، الواجب على تلك أهل البلدة أن يمنعوا مساجدهم من مثل هذا، وآباء الصبيان ليخرجوا عن المساجد إلى بقاع يصلح فيها التكسب، ولا يضرروا بالمسلمين، فإن كان المعلم أبي فلينزع الصبيان من عنده آباؤهم و إن اعتصم المعلم بأحد فليس يعصمه إلا ظالم ومن قال المعلم أولى من حق الصلاة ومن حق المسجد فهذا غلط وجهل ممن فعله ومن استحق انه ظالم في فعله فهو مردود الشهادة تجتنب الصلاة خلقه، و أما العذر بحرز المسجد فإن المساجد لا تسرق و إنما يسرق ما فيها وليس لعذر ما فيها يمنع من الصلاة فيها، يكنس و يصلي على الأرض ومن يتطوع بخلف الكسوة يؤجر إن شاء الله... وليس على هذه المعايير تسقط حرمة المسجد و بالله التوفيق.

وسئل ايضا هل يجوز تعليم الصبيان في صحت المسجد أو في رحابه او في مسجد كان يحكم فيه بعض القضاة. فأجاب لا يجوز للمعلمين إقراء الصبيان لا في المسجد ولا في صحنه ولا في كل موضع يحكم له فيه يحكمه وسواء كان عامرا أو خرابا، إذ خرابه لا يسقط حرمة وامنعوا المعلمين عن ذلك أشد المنع.

المصدر: الونشريسي، المعيار. ج7ص83.

إن الشدة على المتعلمين مضرة لهم.

و ذلك أن إرهاق الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة و من كان مرياه بالعسف و القهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر و ضيق عن النفس في انبساطها و ذهب بنشاطها و دعاه إلى الكسل و حمل على الكذب و الخبث و هو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه و علمه المكر و الخديعة لذلك و صارت له هذه عادة و خلقا، و فسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع و التمرن و هي الحمية و المدافعة عن نفسه أو منزله و صار عيالا على غيره في ذلك، بل و كسلت النفس عن اكتساب الفضائل و الخلق الجميل فانقبضت عن غايتها و مدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين، و هكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة القهر ونال منها التعسف و اعتبره في كل من يملك امره عليه. ولا تكون المملكة الكافلة له رفيقة به، وتجذ ذلك فيهم استقراء وانتظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى إنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالحرص ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث و الكيد وسببه ما قلناه فينبغي للمعلم في متعلمه و الوالد في ولده ان لا يستبد عليهما في التأديب . المقدمة : ص 490

وقال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين و المتعلمين " لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاث أسواط شيئا" و من كلام عمر رضي الله عنه : " من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله"، حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب و علما بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له فإنه أعلم بمصلحته وما حسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لولده قال:خلق الأحمر:بعث إلي الرشيد في تأديب ولده محمد الأمين فقال : " يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمره قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرأه القرآن وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن ...، وقومه ما استطعت بالقرب و الملاينة... ".

المصدر: ابن خلدون : المقدمة، ص،ص 490-491

السكوت عن أجره المعلم:

وسئل عن المعلم يعلم على أن ما أعطي أخذه وإن لم يعط سكت.

فأجاب: إن علم أن ما أعطاه اخذ و إن لم يعطه سكت و لم يطلبه فلا بأس به، و إن كان لا بد من الطلب فالواجب بيان الأجرة.

المصدر: الونشريس، المعيار. ج8، ص 246.

وسئل عن المعلم لا يشترط شيئاً فيجري في الشهر الدرهم و الدرهمان، أيقضني له بالحدقة. (حفظ القرآن).

فأجاب يحملون على حال البلد وسنتهم إلا أن يشترطوا شيئاً فله شرطه و أما الحدقة فليس فيها شيء معروف على قدر الرجل وحاله.

المصدر: الونشريس، المعيار. ج8، ص 247.

وسئل عن يستأجر ليعلم ولده القرآن بحدقة و الإدراك يختلف جدا في الصبيان فهو من الغرر، فكيف إن أختيره فوجده بعيد القهم ايفاسخة:

فأجاب: بان قال: نعم له أن يفاسخه ولم يقعد معه عمره يعلمه.

المصدر: الونشريس، المعيار. ج8، ص 248.

الأدب الشعر النثر	النحو	التاريخ	الفقه	الحديث	التفسير	علم القراءات	التصوف	العلوم العلماء
						X	X	أبو عبد الله القرطبي
X	X					X		أبو عبد الله الشاطبي
						X		أبو عثمان بن سعيد
						X		أبو العباس بن خضر الصدقي
						X		سعيد بن علي بن زاهر
		X	X			X		أبو العباس المعافري
			X			X		أحمد بن محمد بن حسين بن محمد الخرجي
			X			X		إبراهيم بن يحيى التجني
						X		عبد الله بن محمد الفهري
						X		عبد السلام بن علي أبي عمر بن سيد الناس
				X		X		إبراهيم بن يوسف بن محمد وجيه الدين البيوتي
						X		علي بن محمد التمساني
			X			X		محمد بن محمد الحسين الخنشي
						X		الحسن بن عبد الله أبو علي الراشدي
						X		عتيق بن محمد أبو بكر الردائي
					X			أبو الحسن التيجني الحرالي

					X			أبو محمد الكبير بن عيسى
			X	X	X			أبو يعقوب بن يوسف السدراتي
X	X		X					أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي
X	X				X			علي بن عبد الله بن المبارك
X	X	X		X	X	X		أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي
			X					عبد الرحيم بن علي بن إسحاق القرشي

الأدب الشعر النثر	النحو	التاريخ	الفلسفة	علم الكلام	الفقه	علم الحديث	التفسير	العلوم العلماء
					X		X	يحيى بن محمد بن موسى التجبى
X		X		X				أبو محمد عبد الحق إبراهيم المرسي
				وعلوم أخرى		X		يعقوب بن محمد الأغماتي
					X	X		الصقل موسى بن عيسى بن علي أبو عمران
					X	X		يحيى بن عيسى بن علي أبو الحسن
						X		ابن غزلون
				وعلوم أخرى		X		أبو محمد بن خليفة بن أبي عرجون
						X		موسى بن دجاج بن أبي بكر لأشيري
					X	X		عبد الله بن إبراهيم بن عيسى المتيجي
					X	X		أبو عمرو عثمان بن صاحب الصلاة
					X	X		عبد الله بن محمد الصنهاجي
					X	X		أبو عبد الله محمد بن علي أبي الرمامة
						X		جابر بن أحمد
					X	X		عبد الحق البجائي الإشبيلي
						X		موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشري

					x	x		يحي بن أبي بكر بن عصفور
						x		أبو بكر بن سعادة الإشبلي
						x		عبد الله بن مروان الوهراني

التاريخ	الفلسفة	علم الكلام	الفقه	الحديث	التفسير	القراءات	التصوف	العلوم العلماء
				X				يوسف إبراهيم اللخمي
X				X				محمد بن عبد الرحمان بن علي بن محمد الحسني
			X	X	X	X		أبو عبد الله بن عبد الحق بن سلمان اليعقري
	X		X	X				محمد بن علي بن حماد الصنهاجي
				X			X	أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف المظماطي
			X	X			X	صالح أبو عبد الله بن مرزوق التلمساني
			X	X				محمد إبراهيم الأيالي
				X				ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي
			X					حسين بن علي بن محمد المسلي
								أبو زكرياء الزواوي
			X					محمد بن عبد الله بن مروان أبو عبد الله الأندلسي
			X					أبو الخطاب بن الحسين بن علي بن دحية
			X					موسى بن حماد الصنهاجي
			X	X				ابن عرجون التلمساني
			X				X	أبو الحسن علي بن خيار البلنسي
			X					عبد الله بن محمد بن

								عبد الله بن علي الصنهاجي
			x					أبو الحسن علي بن عبد الرحمان
			x					يوسف إبراهيم اللخمي

العلماء	العلوم	القراءات	التصوف	الحديث	الفقه	علم الكلام	الفلسفة
أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أبي قنون					م ×		
حجاج بن سكاتة ابو يوسف					م ×		
عبد الله بن محمد الفهري					×		
محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد القبسي					ش ×		
أبو موسى بن عمران بن داقل التلمساني					×		
أبو الحسن بن عاي بن محمد المسيلي					م ×		
أبو الوليد يزيد بن ابي الحسن عبد الرحمن					×		
أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن عبد الله الأزدي					×		
صالح بن خلفي الأوسي الأنصاري					×	×	
محمد بن عبد الحق الأشبلي					م ×		
الطاهر عمارة بن يحي					×		
أبو الحسن علي بن يحي القاسم		×			×		
أبو مدين شعيب					×		
عبد الله بن محمد بن عبد الله					×		
عبد الله بن محمد بن جبل الهمزاني					×		
علي بن ابي نصر					×		
موسى بن حماد الصنهاجي					×		
صالح بن أبي صالح خلف بن عامر					×		
محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمزاني					×		
احمد بن عتيق بن الحس					م ×		
أبو الحسن عبد الله بن احمد بن عبد المجيد					×		

		م×	×			أبو محمد ابو فارس
		م×				محمد بن علي بن يخلف بن يوسف
		م×				الحسن بن يحيى البسكري
		×				محمد بن عثمان بن سعيد
	×	×				صالح بن خلف الأنصاري
	×				×	علي بن محمد بن خيار البلنسي
	×					محمد بن عبد الرحمان التجيبي
	×	×	×			ابراهيم بن يوسف
	×	×			×	محمد بن علي بن جعفر
	×	×				عبد الرحمن بن يخلفتن
×	×	×				محمد بن ابراهيم الصولي
	×	×				احمد بن ابراهيم التلمساني

العلماء	العلوم	القراءات	الفقه	علم الكلام	الفلسفة	التاريخ	النحو	الأدب والشعر والنثر
أبو محمد عبد الله الأغماتي						×	×	×
أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية			×			×		
أبو بكر محمد بن أحمد بن محرز البلنسي						×	×	×
أبو الحسن علي بن مؤمن						×		×
أبو عبد الله محمد التبلسي			×					×
إبراهيم الغساني						×		
أحمد أبو العباس الغبريني			×			×		×
أبو العباس الدرجيني						×		
عبد الوهاب بن يوسف			×		×			
ابن الرمامة			×		×			
أبو العباس أحمد بن خالد					×			
أبي القاسم بن أبي بكر اليميني			×		×			
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد		×	×				×	
أبو تالحسن النميري الشنري		×			×			×
يعقوب بن يوسف الزواوي			×					
محمد بن أحمد بن عمر التلمساني			×					
أبو القاسم أبي بكر			×		×			
إبراهيم بن أبي بكر التلمساني			×					×
أبو محمد عبد الكريم الأزدي			×					
إدريس أبو العباس			×					
أبو حسن بن بلقاسم			×					
أبو بكر محمد بن الحسن				×				
عبد الحق الإشبيلي			×	×				
محمد بن عبد الحق بن سلمان			×			×	×	
محمد بن حكيم بن محمد أبا جعفر				×				
أحمد بن عبد الله خميس			×	×				
حسن بن أبي زكون				×				
أبو علي حسن بن علي المسيلي				×				

الأدب	التاريخ	الفلسفة	الفقه	القراءات	العلوم العلماء
	X				أبو عمار عبد الكافي الوردجاني
	X				أبو عمر عثمان بن الخليفة السوفي
	X				أبو عمران بن الشيخ أبي الربيع سليمان
	X				أبو اسماعيل أيوب إسماعيل
	X				أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي
	X				أبو زكريا يحيى بن جعفر المزاتي
	X				محمد بن علي بن عيسى بن أبي بكر السنهاجي
	X				يحيى بن عباس بن أحمد بن أيوب القيسي
	X				عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي
	X				أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي
	X				أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبادة القلعي
	X				حسن بن عبد الله الأشيري التلمساني
					جابر بن أحمد القرشي التلمساني
	X				عبد الحق الإشبيلي البجائي
	X				محمد بن عبد الرحمان التيجيبي
	X				أبو محمد عبد الله بن يحيى الأغماتي
	X				أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية
	X				أبو بكر محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سليمان بن محمد
	X				أبو الحسن علي بن مؤمن بن علي الحضرمي بن عصفور

الأدب والشعر والنثر	النحو	التاريخ	الفلسفة	الفقه	الحديث	التصوف	القراءات	العلوم العلماء
×				×				يوسف بن محمد النحوي
×								أحمد بن عبد الجليل التدمري
×								أبو بكر محمد أحمد السلمّي
×	×							مصعب بن محمد بن مسعود
×				×				عبد المؤمن بن علي الكومي
×				×			×	أبو مدين شعيب
×							×	محمد بن أحمد بن محمد اللخمي
×								سليمان بن عبد الله الكومي
				×				أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان
×						×		حسن بن عبد الله بن الحسن الكاتب الأثري
×							×	سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني
				×				علي بن سعد بن مسعود الأنصاري أبو الحسن
×				×				ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى
×			×	×			×	أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس
×								محمد بن عبد الله حافي رأسه
×	×	×						أبو عبد الله محمد بن حماد
×								أبو علي حسن الفكون
×				×				أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام
×	×							محمد الأريسي
×	×							أبو الحسن علي بن محمد بن

								شعيب
×	×							محمد الحسن القلعي
×	×							عمارة بن يحيى بن عمارة
×		×		×	×			أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ابن محرز)
×	×							أبو الحسن زين الدين أبو زكريا
×				×				أبو بكر بن الخطاب
×				×				إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله
×		×		×	×			أبو الحسن عمر بن الحسن بن علي
×	×			×	×			أبو بكر محمد بن سيّد الناس

العلماء	العلوم	القراءات	التصوف	التفسير	الفقه	التاريخ	النحو	الأدب والشعر والنثر
إدريس بن يعقوب بن عبد المؤمن بن علي الكومي								×
أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز		×						×
مروان بن عمار البجائي								×
عيسى بن عمار البيجائي								×
أبو عبد الله بن دافال							×	×
أبو عبد الله الحلوي								×
ابن السطاح							×	×
محمد بن قاسم قبن منداس							×	
ابن دحية							×	
أحمد جعفر الليلي							×	×
أحمد بن عثمان بن عجلان							×	×
علي بن عبد الله الوهراني				×			×	×
أبو بكر بن عمر بن علي القسنطيني							×	×
محمد بن صالح الكنوني							×	×
إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري							×	×
محمد بن عبد الله بن عبد العزيز							×	×
يوسف بن يخلف							×	×
أبو عمار عبد الكافي		×			×			
أبو عمار بن السوفي						×		
أبو عمران بن الشيخ أبي الربيع						×		
أبو اسماعيل أيوب						×		×
أبو سعقوب يوسف بن إبراهيم						×		
أبو زكريا يحيى بن جعفر						×		
محمد بن علي بن حماد بن عيسى						×		×
يحيى بن عباس بن أحمد						×		

		×	×				عبد الله بن محمد بن عمر
×	×		×	×	×		أبو محمد عبد الحق الأشبلي
		×		×			جابر بن أحمد القرشي

قاعدة العدل:

اعلم يا بني أن الملك بناء والعدل أساسه، وإذا قوي الأساس دام البناء، و أن ضعف الأساس انهيار البناء، فلا سلطان إلا بالجيش ولا جيش إلا بمال ولا مال إلا من جباية، ولا جباية إلا بعمارة ولا عمارة إلا بالعدل فالعدل أساس ومن استعمل العدل حض ملكه ومن استعمل الظلم عجل هلكه.

المصدر: واسطة السلوك....ص 196.

قاعدة الشجاعة:

اعلم يا بني إن الشجاعة وصف محمود وبها يتفاخر الوجود وخصوصا في الملوك، فغنمها لمآثرهم كالوسائل في السلوك. وأصل الشجاعة الصبر في المواقف، وربط الجأش عند المخاوف ورأسها الحذر والتوقي، وسياستها الممارسة عند التقى....

اعلم يا بني إذا كان الملك شجاعا كان منصورا مطاعا ترهبه الأعداء و تطمئن به الأولياء، يعتقد به جيشه في مواقع الحروب ويخاف سطوته الطالب والمطلوب، فالشجاعة يا بني مملكة للمحاسن محبوبة في كل المواطن، فرب الشجاعة بالرعب منصور وفي زمانه معظم مذكور.

المصدر: واسطة السلوك،ص 210.

الباب الرابع:

في الفراسة وهي خاتمة السياسة:

اعلم ابني أن الفراسة قوة نفسانية و أسرار ربانية، يؤيد الله بها النفوس حتى ينقلب لها
المعلوم كالمحسوس و ينطبع في مرآتها كل خفي حتى كان الأمر جلياً...

ينبغي أن تكون فراستك في وزيرك و كتابك و جلسائك و قاضيك و مفتيك وصاحب
شرطتك و عمالك وصاحب أشغالك وقوادك وسائر أجنادك وعدوك. والإرسال المتوجهات من
قبلك إلى الملوك أمثالك و الكتب الواردة عليك من العدو و غيره.

المصدر: واسطة السلوك، ص 226.

الفصل الأول:

توصية ترشد إلى الاتصاف بالعدل و التحلي بالفضل حيث يقول فيها:

يا بني العدل سراج الدولة، فلا تطف سراج العدل بريح الظلم إذا عصفت نصفت وريح العدل
إذا هبت ربت.

ومن شروط الأمانة العدل في الأحكام و التجنب عن الحرام و الصبر في الشدائد و الجري
على أحسن العوائد، فإن صلاح الدولة بقواعدها و فسادها بخرق عوائدها.

يا بني البس ثياب العفة و ترد رداء الوقار و تتوج بتاج الحياء وتزين بزى السكينة وتقلد
بصارم العدل...

يا بني الصبر عند الشدة، و العفو عند القدرة، و أظهر المحبة لمن تحب ولا تقش البغض
لمن تكره.

يا بني أربعة لا يزال معها الملك، حسن التدبير في الأمور و العدل في الخاصة و الجمهور و الأخذ بالحزم، و الصبر في الأزم.

يا بني أربعة لا يثبت معها الملك: سوء التدبير و مخالفة النصيح و المشير، وخبث السريرة و النية، والجور على الرعية.

المصدر: واسطة السلوك ص 52.

الفصل الثالث:

توصية ترشد إلى حفظ المال لبلوغ الغرض و الآمال .

اعلم يا بني أن المال حرز الملك و به ينتظم انتقام السلك، فاحرز حرز مالك بقليل الثناء و تصرف فيه تصرف أهل العقل و الذكاء.

واعلم يا بني أن الثناء خير ما يفتني، فابذل مالك في الثناء فإنه خير من الغنا ولا تكثر فيه السرف فغنه يؤدي إلى التلف.

إن الجود ساتر العيوب غارس المحبة في القلوب، وقد يكون سببا لكثرة المال و محرز الكثير من جميل الخصال...

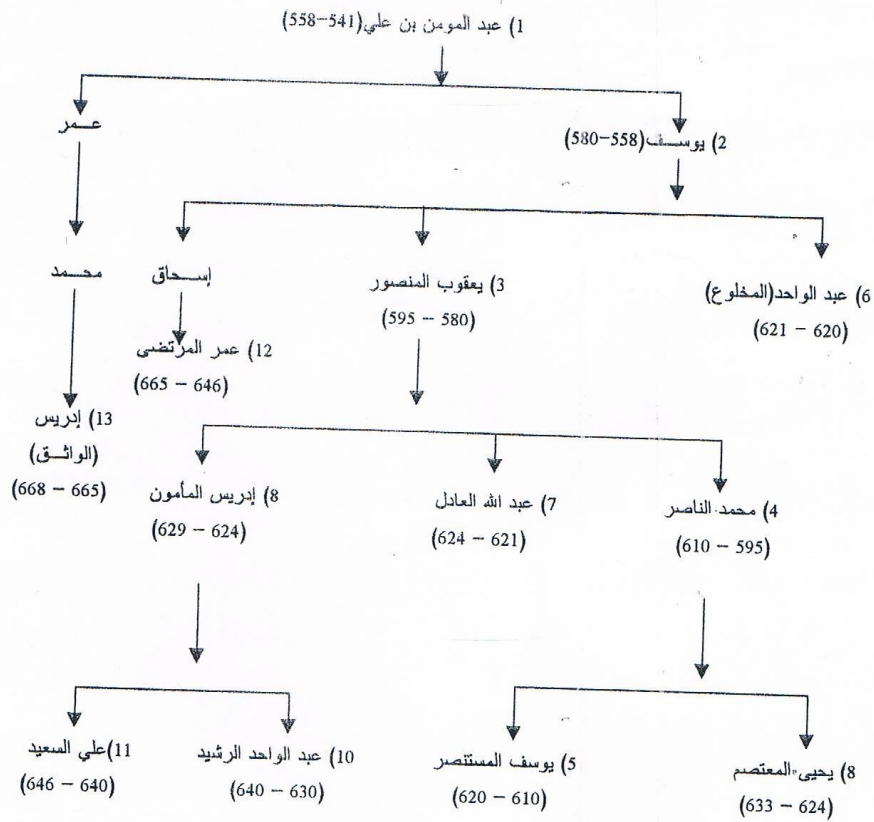
المصدر: من كتاب واسطة السلوك ص 62.

قاعدة السياسة:

اعلم يا بني إن أصل السياسة التدبير، ولا يكون التدبير إلا بفكر صائب سليم لأنه من تفكر تدبر و من تدبر تحذر، كاد الحذر أن " ينجي" من القدر و من حسنت سياسته عظمت رياسته و الفكرة مرآة تريك حسنك من قبحك، فلا تهجم على أمر إلا بعد فكرة ورؤية ولا تنفذه إلا عن بصيرة لأن من طال تفكره حسن تدبره و من ركب العجلة لم يأمن الكبوة و الزلة إلا في انتهاز الفرصة و إزالة الغصة.

المصدر: واسطة السلوك، ص 92.

جدول للخلفاء الموحدين



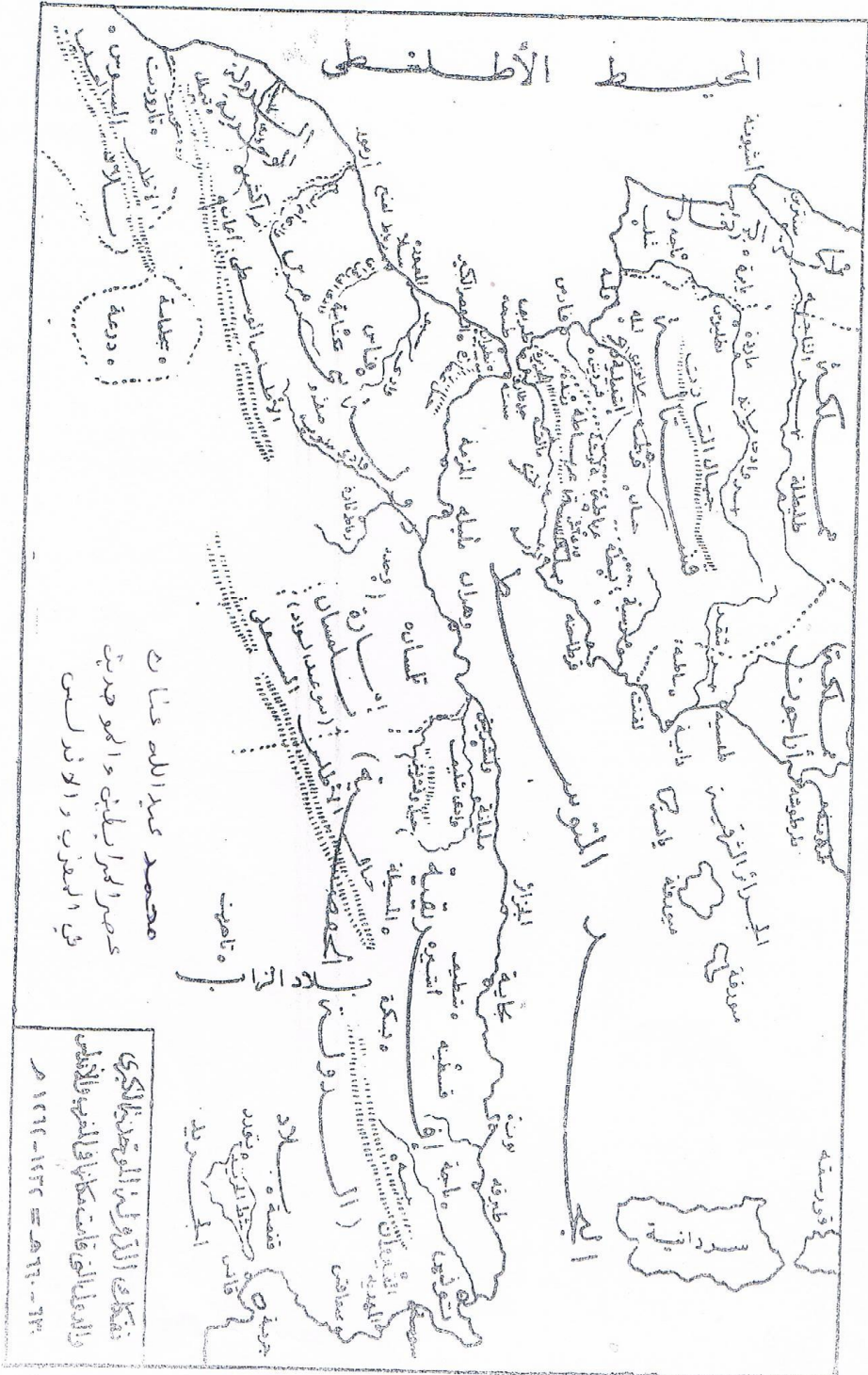
محمد بن عبد الله بن
عصر الجرافيت والموحدية
يا لعرب والاندلس

الرقم	اسم السلطان	تاريخ الحكم (هـ)	مدة الحكم (سنة)
01	أبو يحيى يغمراسن	681-633	48
02	أبو سعيد عثمان بن يغمراسن	702-681	21
03	أبو زيان محمد بن عثمان	707-702	05
04	أبو حمو موسى الأول	718-707	11
05	أبو تاشفين عبد الرحمن	737-718	19
06	أبو سعيد عثمان + أبو ثابت	753-749	04
07	أبو حمو موسى الثاني	791-760	31
08	أبو تاشفين بن أبي حمو الثاني	795-791	04
09	أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين	796-795	40 يوما
10	يوسف بن أبي حمو الثاني (ابن الزاوية)	796-796	10 أشهر

05	801-796	أبو زيان محمد بن أبي حمو الثاني	11
03	804-801	أبو محمد عبد الله بن أبي حمو الثاني	12
09	813-804	أبو عبد الله محمد بن أبي حمو الثاني (الواثق) ابن خولة	13
حكم شهرين	814-813	عبد الرحمن الثالث بن محمد بن خولة	14
حكم شهرين	814-814	السعيد بن أبي حمو الثاني	15
13	827-814	أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني (الأولى)	16
4	831-827	أبو عبد الله محمد (ابن الحمراء) بن أبي تاشفين (الأولى)	17
02	833-831	أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني (الثانية)	18
حكم 48 يوما	834-833	أبو عبد الله محمد بن الحمراء (الثانية)	19
32 شهرا	866-834	أبو العباس أحمد المعتم (العاقل)	20
24	890-866	أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي ثابت (المتوكل)	21
حكم أربعة أشهر وتوفي	890-890	تاشفين بن المتوكل	22
12	902-890	أبو عبد الله محمد السادس (الثابت)	23
07	909-902	أبو عبد الله محمد السابع	24
01	909-909	أبو زيان الثالث	25

14	923-909	أبو حو موسى الثالث (أبو قلمون)	26
دون حكم	912 وضعه الإسيان	يحيى بن الثابتي	26
01	924-923	أبو زيان أحمد الثاني الأولى	27
01	925-924	أبو محمد عبد الله الثاني بن المتوكل (الأولى)	28
01	926-925	أبو سرحان بن المتوكل	29
04	930-926	أبو محمد عبد الله الثاني بن المتوكل (الثانية)	30
19	949-930	أبو عبد الله محمد السابع	31
08	957-949	أبو زيان أحمد الثاني	32
05	962-957	مولاي الحسن	33

المراجع: عميد الجليل قريبات : التعليل بنامسان في العهد الزياتي
 ص 377 - 379



فهرس الأماكن

المنطقة	الصفحة
بجاية	-69-64-59-54-49-42-37-30-29-25-24-12-5-4 -147-144-131-127-108-99-97-91-85-79-78-77 -210-207-206-202-176-172-160-157-152-150 -274-267-266-261-225-22-215-214-213-212 .275
تلمسان	-40-39-38-37-31-26-21-20-19-17-14-12-7-6-4 -102-81-80-75-74-69-66-60-56-54-43-42-41 -207-206-205-199-197-178-129-126-124-108 -224-223-218-217-215-213-212-210-209-208 -249-247-246-243-239-237-236-230-226-225 .277-260-257-250
تيهت	.141-131-30-29-25-24
دلسي	253-169
ندرومة	.222-175-19
غرداية	23-22
ورجلان	.236-229-283-159-23-22
قسنطينة	.252-225-217-213-211-131-127-42-37-22
الونشريس	7
أجادير	197-7
بونة	152
وهران	.239-205-203-127-37-17-16-12
منطقة الزاب	15
أشير	172-24
تنس	177
مسيلة	.85-30-25-24
مليانة	24
قلعة بني حماد	.254-251 -225-216-176-171
المغرب الأوسط	-59-58-56-53-48-47-46 -43 -41 -35-31-30-25 -119-111-95-91-73-71-67-66-63-62-61-60 -217-216-214-149-140-133-132-131-129-128

-242-241-240-239-238-230-229-228-22-218 .276-275-270-261-258-254-252-251	
239-223-37	جزائر بني مزغنة
37	مليانة
37	عنابة
206-200-131	بسكرة
131	طبنة
169	متيجة
72	قطنيانة
168-78	مرسية
.249-213-145	سبتة
-150-146-88-64-34-33-30-26-14-13-12-11-3 -222-214-211-206-204-203-200-182-172-169 229-226	الأندلس
11	ملغة
257-249-61-14-1	غرناطة
176-11	قرطبة
.213-172-169-77-11	اشبيلية
156-151-97	بلنسية
242	الميرية
127-30	القبروان
130-5-4	المهدية
274-228-226-16-12	افريقية
135	المنستير
5	تونس
131	رقادة
156	المغرب الأدنى
.224-222-199-197-129-127-84-58	فاس
206-174-156-148-142-130-16-8-4	المغرب الأقصى
231-15	سجلماسة
-222-208-204-203-200-176-174-127-11-10-8 .258-252-234	مراكش

9-8	تینمل
9-1	إجلی
1	سوس
225-214-152-5	مصر
209-155	القاهرة
274-212-169-5-4-3	الاسكندرية
222-181-180	الحجاز
126	المدينة المنورة
180-3	العراق
30	البصرة
214	الشام
212	دمشق

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في اختبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار منصور للطباعة، الرباط 1972.
2. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972.
3. ابن الأبار: الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهرمسي، دار الفكر للصناعة و النشر، بيروت 1995.
4. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، صححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت 2003.
5. ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي الدمشقي، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق بريستراسم، دار الكتاب العلمية، لبنان 2006.
6. ابن الزيات: أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي: النشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق احمد التوفيق ط2، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1972.
7. ابن الصغير (القرن الثالث الهجري): أخبار الأئمة الرستميين تحقيق، محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
8. ابن القاضي: احمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي ثم الفاسي: جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الرباط 1973.
9. ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي الكتامي كان حيا سنة 650 هـ، 1282هـ: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب بيروت ط2 1990.

10. ابن باشكوال: خلف بن عبد الملك بن أبي جعفر احمد بن إبراهيم الغرناطي كتاب الصلة مع كتاب صلة الصلة، تحقيق شريف أبو العلاء العدوي، مكتبة الثقافة الدينية 2008.
11. ابن حزم الأندلسي: جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، مصر 1962.
12. ابن حزم الظاهري: أبو محمد علي بن احمد،ت456هـ: الفصل في الملك والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت 1996.
13. ابن حوقل النصبي كتاب، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت 1992.
14. ابن خلفون الأندلسي: أسماء شيوخ مالك بن انس، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ت).
15. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر ت 600هـ،691م وفيات الأعيان و أنباء الزمان، حققه إحسان عباس دار صادر بيروت 1977.
16. ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي: 610هـ-685هـ. الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، 1945.
17. -----: كتاب الجغرافيا، حققه وعلق عليه اسماعيل العربي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
18. ابن صاحب الصلاة: أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987.
19. ابن عبد الحكم: فتوح البلدان، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر(د.ت).
20. ابن عبد الحكم: فتوح البلدان، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة و النشر(د.ت).

21. ابن عذارى: أبو العباس احمد بن محمد المراكشي، كان حيا 712هـ: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت 1985.
22. ابن فرحون: الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين ت 799هـ: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن يحيى الديق الجنان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 1996.
23. ابن قنفذ ت810هـ/1407م: أبو العباس احمد بن حسن بن علي الخطيب الوفيات، حققه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983.
24. أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965.
25. ابن كثير، الحافظ: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، 701-774 هـ: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع. 1998.
26. ابن مرزوق: المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن تحقيق ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1989.
27. ابن مريم الملتى المديوني التلمساني: البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2014.
28. ابن مريم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد الشريف المديوني التلمساني ت 1014هـ، 1379م: البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908.
29. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين بن منظور ت . 711هـ، 1311م: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف القاهرة سنة؟.

30. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي: طبقات النحويين و اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 1973.
31. أبو حمو موسى الثاني الزباني 723-791 هـ، (1321-1389م) واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق محمد بوترعة، دار الشيماء للنشر والتوزيع، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر 2012.
32. أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، 376-465 هـ، شرح أبي يحيى زكريا الانصاري الشافعي ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر 2010
33. أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني، القيروان المعروف بابن دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية 1963 ص 107.
34. أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ت 781 هـ: المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدار البيضاء ط1 2008.
35. أحمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973.
36. الإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (673-745هـ) سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004.
37. الإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي 1995.
38. الإمام شهاب الدين: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي 1032-1089م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير بيروت، ط1، 1986.
39. البيهقي أبو بكر بن علي الصنهاجي ت 555هـ-1160م: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

40. التنبكتي أحمد: نيل الابتهاج بتطريز الديباج 963هـ/1036م، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989.
41. التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2004.
42. التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمد بوعياض المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.
43. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم، محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع 1994.
44. الزركشي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضي، المكتبة العتيقة تونس 1966.
45. الزركلي خير الدين: الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين لبنان، ط5، 2002 (8 أجزاء).
46. السخاوي: شمس الدين بن عبد الرحمن: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دراسة وتحقيق محمد عثمان، مكتبة ابن سينا للنشر و التوزيع، القاهرة، 1989.
47. السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمان: بغية الدعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الباي، مصر، (د.ت)
48. صاحب: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري: تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، 1979.
49. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك: ت 764هـ-1362م الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000.

50. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1982.
51. عبد الرحمن بن الجوزي: تلبيس إبليس، تحقيق: الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1989.
52. عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.
53. -----: المقدمة: طبعة جديدة و منقحة و مصححة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007.
54. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، 2007.
55. العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، تحقيق محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلالي بن الحاج يحي، النشرة الثانية، الدار التونسية للنشر ط2 1986.
56. الغبريني: أبو العباس أحمد بن محمد: المتوفى سنة 704 هـ-1304م. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط2، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1970.
57. الفاسي: محمد عبد الكريم بن المجدوب: موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.
58. القاضي عياض أبو الفصل اليحصبي السبتي، ت 544هـ- 1149م ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة بيروت، (د.ت).

59. القشيري عبد الكريم: بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم ت 465هـ-
1072م، الرسالة القشيرية.
60. لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، تحقيق، أحمد مختار العبادي، دار الكتاب،
الدار البيضاء، 1964.
61. -----: روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار
الفكر العربي بيروت، (د.ت).
62. -----: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: عبد الله عنان، ط2، مكتبة
الخانجي، القاهرة، 1973.
63. محمد بن تومرت (المهدي): أعز ما يطلب... تحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة
الغني للنشر، الرباط، 1997.
64. -----: أعز ما يطلب: تحقيق عمار طالبي، عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
65. -----: أعز ما يطلب، تحقيق، محمد علي المكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
ط1، 1990.
66. محمد ساعد السنجاري الأفكاني: إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد، تحقيق محمد
فاخوري، محمد كمال حسن ط1، مكتبة لبنان، 1998.
67. محمد سحنون: كتاب آداب المعلمين تقديم و تحقيق محمد عبد المولى، الشركة
الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
68. محمد يوسف الزباني: دليل الحيران و أنيس السهران في إختيار مدينة وهران، تحقيق
وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978.
69. المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأنصاري الأوسي:
الذيل و التكملة لكتابي الموصل و الصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت لبنان
1984 (8 أجزاء).

70. المراكشي: أبو محمد عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت 2000.
71. المقري: الشيخ أحمد بن محمد التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988 (9 أجزاء).
72. المقرئزي: تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئرية، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، دار الأمين القاهرة 1998.
73. الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب و الجامح المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981.
74. يحي بن خلدون أبي زكريا: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.

كتب الجغرافيا والرحلات:

1. ابن جبير: رحلة ابن جبير 539-614هـ / 1144-1217م، دار الصادر بيروت، د.ت.
2. البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت).
3. حسن الوزان: وصف إفريقية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
4. الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لندن مطابع هيدلبرغ، بيروت 1974.
5. العبدري: محمد العبدري البنسي: ت 720 هـ-1320م الرحلة المغربية، أو رحلة العبدري، تحقيق بن حدو، مطبعة البعث، قسنطينة، ط 1964.
6. كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق 1985.
7. مارمول كريخال: إفريقيا: ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنير، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرباط، 1984.
8. ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.

المراجع:

1. إبراهيم التهامي: الأشعرية في المغرب دخولها ورجالها و تطورها وموقف الناس منها: منشورات قرطبة ط2006،1.
2. إبراهيم بن محمد المغني: دليل الحيران على مورد الضمان في فن الرسم والضبط باعتبار قراءة الإمام نافع، لمحمد بن محمد الشريستي الخراز، دار الكتب، الجزائر (دت).
3. ابراهيم زعرور و علي أحمد: تاريخ العصر الأموي السياسي و الحضاري، منشورات جامعة دمشق 1995.
4. إبراهيم سلمان الكردي: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997.
5. ابن عساكر الدمشقي: تبين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979.
6. أبو العباس أحمد خالد الناصري: كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري و الأستاذ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954.
7. أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر الحديث، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007.
8. ابو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف: جزأين مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة بيروت 1985.
9. إحسان الهندي: الحياة العسكرية عند العرب، طبع وزارة الثقافة، دمشق 1964.
10. أحمد الشنواني: كتب إسلامية غيرت الفكر الإنساني، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2004.
11. أحمد بكير محمود: المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1990.

12. أحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ط2، دار الفكر العربي، القاهرة 1998.
13. أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام ط2، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر 2006.
14. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
15. إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.
16. اسماعيل زروخي: التيارات السياسية والدينية في الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007.
17. الإمام أبو زهرة محمد : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة 1996.
18. بحار إبراهيم بكير: الدولة الرستمية ط2، المطبعة العربية غرداية الجزائر 1993.
19. بشير رمضان التليسي و جمال هاشم : التاريخ الحضارة العربية الإسلامية ط2، دار المدار الإسلامي، ليبيا 2001.
20. بلشير عمر: جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الفكرية في المغرب الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9هـ (12-15م) من خلال كتاب المعيار للنشرسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009-2010.
21. بوداود عبيد: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع و التاسع الهجريين (13،15م)، دراسة في التاريخ السوسيوثقافي، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2002.
22. بوزيان الدراجي: أدباء و شعراء من تلمسان، ج2، دار الأصل للدراسات، 2011.

23. بوزيان الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993.
24. تهاوني محمد ابن علي ابن القاضي، كشف إصطلاحات الفنون و العلوم، مكتبة لبنان، الناشر ببيروت 1996.
25. التوزري عثمان : تاريخ التربية في تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 2006.
26. جعفر بن الحاج السلمي: الأصول الثقافية و التاريخية لهجرة المثقفين المغاربة الى الخارج: منشورات ضمن أعمال الملتقى الدولي حول الهجرة المغربية ال بالخارج، مطبوعات اكااديمية المملكة المغربية 1999.
27. جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين و الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، 2011.
28. الحاج محمد رمضان شاوش: باقة السوسان فيس التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بني زيان: ديوان المطبوعات الجامعية 2011.
29. حساني مختار: الحواضر والامصار الاسلامية الجزائرية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر 2011
30. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.
31. حسن الحسني عبد الوهاب: المنتخب المدرسي في الادب التونسي، ط2، المصلحة الاميرية، القاهرة ، 1944.
32. حسن السائح: الحضارة الاسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986.
33. حسن الواراكلي: المشيخة العلمية في المغرب و الاندلس، طبعة طنجة 1990.
34. حسن خضير أحمد: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، مصر، 1996.

35. حسن علي حسن: الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب و الأندلس، عصر المرابطين و الموحدين، مكتبة الخانجي، مصر 1980.
36. الحسين إسكان: تاريخ المغرب خلال العصر الوسيط (1-7هـ/7-13م) سلسلة الدراسات و الأطروحات رقم2، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، مركز الدراسات التاريخية، المملكة المغربية 2004.
37. حسين مؤنس: التاريخ و المؤرخون: دار المعارف، القاهرة، 1984.
38. ----- : فتح العرب للمغرب: نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)
39. محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية و تأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1987.
40. الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط: سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، مجموعة أساتذة، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحوث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007.
41. خالد الصمدي: مدرسة الفقه الحديث بالمغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن السابع الهجري- جذورها، آثارها، مناهجها، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2006.
42. خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية (633-681هـ)، (1235-1282م)، دار الألمعة للنشر و التوزيع، ط2011، 1.
43. خالد بلعربي: دراسات و ابحاث في التاريخ السياسي و الإقتصادي و الثقافي للمغرب الإسلامي في العصر الوسيط، حامل بيداغوجي قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس 2005، 2006.
44. خالد بلعربي تلمسان من الفتح الإسلامي الى قيام الدولة الزيانية 55هـ - 633هـ ، 675م-1235م، دار الألمعة للنشر والتوزيع، قسنطينة 2011.

45. ديب صفية: التربية و التعليم في المغرب و الأندلس في عهد الموحدين بين القرنين (6-7هـ/12-13م) نشر و توزيع مؤسسة كنوز الحكمة 2011.
46. رابح بونار: المغرب العربي تاريخيه و ثقافته ط2، دار الهدى عين مليلة الجزائر 2000.
47. رحيم كاظم محمد الهاشمي: و عواطف محمد العربي عاشور: الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية، القاهرة، المكتبة الجامعية، ليبيا، 2008.
48. رسائل موحدية، تحقيق أحمد عزوي، مجموعة جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، ط1، 2001.
49. رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
50. زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والاخلاق: دار الجيل للنشر و التوزيع بيروت (د ت).
51. سالم الخليل الراشد: الرباط والمرابطة، دار الجائزة للنشر و الطباعة، الجزائر، 2011.
52. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، المنصور الموحدى 580 هـ-595 هـ، 1184م-1199م، منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه الإسكندرية 2005.
53. سعيد أجديرا: التعقيد الفقهي و المذهب الظاهري، إصدارات أمنية للإبداع الفني والتواصل الأدبي، الدار البيضاء، 2012.
54. سعيد عبد الفتاح عاشور: سعد زغلول دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ط2، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1986.
55. سلامة محمد سليمان: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت 1985.
56. سلسلة إصدارات جمعية الموحدين ندرومة: عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري: دار الرسالة للنشر و التوزيع 2011.

57. شاكِر مصطفى: التاريخ العربي و المؤرخون ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
58. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر سوريا 1954.
59. شوقي ضيق: عصر الدول و الإمارات، ط1، دار المعارف القاهرة 1995
60. الشيخ بن قرية: الميئذنة المغربية الاندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
61. -----: تاريخ مدينة المسيلة و قلعة بني حماد في العصر الإسلامي، منشورات الحضارة، ط1، 2009.
62. -----: أبحاث ودراسات في تاريخ و آثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2011.
63. الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرن (6-7هـ / 12-13م)، دار الهدى، عين مليلة 2005.
64. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ليبيا 1983.
65. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق الجزائر، ط1، 1980.
66. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الوفاء للطباعة و النشر، مصر، 1981.
67. عبد الحليم محمود: أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله دار المعارف، القاهرة 1985.
68. عبد الحليم محمود: أبو مدين الغوث حياته، دار المعارف، القاهرة 1985.

69. عبد الحميد حاجيات: أبو موسى الثاني، حياته و آثاره ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
70. عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
71. عبد الحميد حاجيات: دراسات حول التاريخ السياسي و الحضاري لتلمسان و المغرب الإسلامي ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع 2011.
72. عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج2، شركة الأمة للطباعة و النشر، الرويبة 2010.
73. عبد العزيز الفيلاي: بين الدولة الاموية في الاندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982.
74. عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية-الجزائر 2002.
75. عبد العزيز نبوي: محاضرات في الشعر المغربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.
76. عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي والإجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985.
77. عبد الله كنوثة: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1961.
78. عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا 1995.
79. عبد المنعم الحنفي : الموسوعة الصوفية ، دار الرشاد، القاهرة، 1992.
80. عثمان الكعاك: معجم التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي 2003.
81. عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة حتى 1954، دار الألمعة، ط1، 2011.

82. عد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير ج2، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1981.
83. عز الدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991.
84. عصام الدين: تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة القاهرة 1990.
85. عصمت عبد اللطيف دنش: دور المرابطين في نشر الإسلام في عرب إفريقيا (430-515هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.
86. عطا الله و آخرون: الجزائر في التاريخ، ج3 - العهد الإسلامي - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
87. علي إبراهيم كردي: أدب الرحل في المغرب و الأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2013.
88. علي أحمد: الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري: دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق 1989.
89. علي عبد الفتاح: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل و دراسة، مكتبة وهبية، القاهرة، 1995.
90. علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، 2008.
91. عمار هلال : العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (13، 3 هـ) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (د ت) 1995.
92. عمر بن ميرة، الثقافة والفقہ والمجتمع، نماذج من المغرب الأوسط، جذور للنشر، الرباط، 2006.
93. عمر فروخ: تاريخ الادب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1997.

94. الغنای مراجع عقيلة: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ليبيا 1988.
95. فتحة محمد: النوازل الفقهية في المجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي حتى القرن 6هـ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999.
96. فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، دار الفضاء للطباعة والنشر، مصر، 2007.
97. فيصل بدير عون: علم الكلام ومدارسه، مكتبة القاهرة، 1982.
98. قسطنطين رزيق: نحن والتاريخ، مطالب وتساؤلات في صناعة التاريخ وضع التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1959.
99. كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوي المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب 1996.
100. لخضر بولطيف: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، 510-668هـ / 1116-1269م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الو.م.أ، 2009.
101. لخضر عبدلي: التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد، دار النديم للنشر والتوزيع 2011.
102. مبارك محمد الملي: تاريخ الجزائر القديم و الحديث مكتبة النهضة الجزائرية 2011.
103. مجموعة أساتذة: التيارات السياسية و الدينية و تأثيرها على نظم الحكم في بلاد المغرب و الأندلس، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2007.

104. مجموعة من الأساتذة: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954، سنة، 2007.
105. محمد الرشيد ملين: عصر الموحدين: الحياة السياسية و الفكرية و الدينية في المغرب من سنة 580هـ، 595هـ، المطبعة الملكية الرباط 1996.
106. محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية، دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، دار كرم الله للنشر والتوزيع، 2011.
107. محمد حسن العيدروسي: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة 2008.
108. محمد الصوفي: نشاط عبد المؤمن بن علي في التطبيق السياسي والعمراني في العصور الوسطى، الملتقى الثاني حول تاريخ ندرومة، 1988.
109. محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
110. -----: تلمسان عبر العصور: دورها في سياسة و حضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2007.
111. -----: تاريخ الادب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط2، 2010.
112. -----: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، 1984.
113. محمد العروسي المطوي: السلطة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.
114. محمد الفاضل ابن عاشور: الثقافة الإسلامية بين المرابطين و الموحدين، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، أكتوبر 1969.
115. محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع و الثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987.
116. محمود المنوني: العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين، ط2، دار المغرب للتأليف و النشر، الرباط 1977.

117. -----: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر الدار البيضاء ط1، 1989.
118. -----: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، ط2003، 3.
119. محمد أيت حمو: ابن خلدون بين نقد الفلسفة و الإنفتاح على التصوف، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 2010.
- 120.
121. محمد بلفراد: أعلام في بجاية في القرن السابع الهجري، مجلة الأصالة ع19، السنة الرابعة مارس- أبريل 1974، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.
122. محمد بن رمضان شاوش، الغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر الى آثار أدباء الجزائر، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2011.
123. محمد بن عبد الرحمن الخلفي: المغرب و مقدمة ابن خلدون، أو ذيل على المقدمة، جمعية البحث التاريخي و الإجتماعي، القصر الكبير، الرباط 2008.
124. محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
125. محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978.
126. محمد جابر الأنقاري: التفاعل الثقافي بين المغرب و المشرق في إثار ابن سعيد المغربي، دار الغرب الإسلامي ط1، 1992.
127. محمد عبد الله بن بيه: الاثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الاندلس الخضراء 2000.
128. محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس مكتبة الخانجي القاهرة 1990.

129. محمد خرماش: دور المراكز التقليدية في الإشعاع الثقافي بالمغرب، مجلة الحضارة الإسلامية، ع2، أبريل 1996، المعهد الوطني للتعليم العالي الحضارة الإسلامية، وهران 1996.
130. محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007.
131. مختار جبار: شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية، تقديم عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1998.
132. مراجع عقيلة الغناي: قيام دولة الموحدين، منشورات جامعة قاد يونس، بنغازي، 1988.
133. مصطفى أبو ضيف احمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
134. مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصر الموحدين و بني مرين 524-876هـ/1130-1472م مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982.
135. مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة: كشف الظنون في أسامي الكتب و الفنون ج1 دار الكتب العلمية، بيروت 1982.
136. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر، بيروت، 1986.
137. الملي مبارك : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تقديم و تصحيح محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب (د.ت).
138. نخبة من الأساتذة: مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا جمع وتحقيق محمد بوزواوي: القافلة للنشر و التوزيع، الجزائر 2011.

139. هويثي ميرندا أمبروسيو: التاريخ السياسي للأمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكدير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ط2004،1.
140. يحي بوعزيز: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، 1995.
141. يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.
142. يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ ومدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط والمساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر و التوزيع،2009.

المراجع المترجمة:

1. إبراهيم الأبيديسي تاريخ المجتمعات الإسلامية، ترجمة فاضل حتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 2011.
2. ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1981.
3. بروكلمان كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1973.
4. تاديوس ليفتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، 2000.
5. جورج مارسلي: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991.
6. جوزف هورس: قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات بيروت، ط1، 1982.
7. روجي لي تورنو: حركة الموحدين بالمغرب، ترجمة أمين طيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1982.
8. شارل أندري جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، الدار التونسية للنشر 1978.
9. عبد القادر جغلول: مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط، ترجمة فضيل الحكيم ط1، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت 1983.
10. مارغوليوث: دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، 2001.

1. Alfred bel : la religion musulmane en berbère, librairie oriental, paris 1938.
2. Alfred bel .la religion musulmane en berberie. Excuse d'histoire et de la sociologie religieuse,librairie oriental, paris, 1938, tome1
3. Alfred bel .la religion musulmane en berberie.librairie oriental, paris, 1938, tome2
4. Charles Andres julien : histoire de l'Afrique du nord des origines a 1980, imprimerie a dyon, quetigny, cotobre 2000.
5. Charles Andres julien : histoire de l'Afrique du nord, T.R SEND, Alger 1975.
6. Chems eddine chitour : l'éducation et la culture en Algérie des origines a nos jours, ENAG édition distribution 1999.
7. George marçais, Tlemcen, édition de TELL, Blida 2003.
8. Mahfoud kaddache : l'Algérie medivale SNED, Alger,1980.
9. S. GSELE. G. Marçais. G. Yver, histoire d'Algérie ancienne, librairie, fume. Bovin, éditeurs. Paris, 1929.

الرسائل الجامعية:

1. بسام كامل وعبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني: 633،962هـ ، 1235،1555م. رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ جامعة النجاح نابلس فلسطين سنة 2002.
2. بوعلام صباحي: الحياة الثقافية بالمغرب في ظل الدويلات الأولى من القرن الثاني للهجرة إلى اواخر القرن الثالث للهجرة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة دمشق، قسم التاريخ 1988.
3. الجيلالي سلطاني: الشعر الديني على عهد الموحدين، رسالة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي القديم، كلية الآداب و اللغات و الفنون قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة وهران 2001-2002.
4. الحسين إسكان: جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7-9هـ/13-15م، رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط 1987-1988.
5. الحياة الثقافية بالمغرب الاوسط في عهد بني زيان، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2004-2005.
6. سبع قادة: المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ و علم الإسكان، جامعة، وهران، 2003-2004.
7. شفيق لامية: مجالس العلم و المناظرة بالمغرب و الاندلس على عهد المرابطين والموحدين، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2011-2012.
8. شوقي نواره: الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، قسم التاريخ 2007-2008.

9. الشيخ يوسف بن قربة: مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي من القرن الخامس إلى الثامن الهجري، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات جامعة وهران، 2010-2011.
10. عبد الرحمن الاعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان و الممالك، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2007-2008.
11. عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط و الاندلس خلال العهد الزياني: جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، تلمسان، 2007-2008.
12. عبد الكريم شباب: صورة من المجتمع في المغرب الاوسط خلال القرنين (8،7 هـ)، (14،13م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن ابن خلدون، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، سنة، 2003-2004.
13. عفيفي محمد إبراهيم: مظاهر الحضارة في بلاد المغرب منذ إنتقال الخلافة حتى منتصف القرن السادس ، رسالة ماجستير مرقونة، كلية الآداب ، قسم التاريخ، القاهرة، 1980.
14. علي عشي: المغرب الأوسط في عهد الموحدين، دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534-633هـ / 1139-1235م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية و الإسلامية، تاريخ و علم الآثار، جامعة باتنة سنة 2011-2012.
15. محمد إحدادن: الحياة الادبية و الثقافية في المغرب الأوسط حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب و اللغات قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر 2005، 2006.
16. محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1986-1987.

17. محمد بن معمر: العلاقات السياسية و الروابط الثقافية بين المغرب الاوسط والأقصى من نهاية القرن 2هـ إلى أواسط القرن 6هـ- أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001-2002.
18. محمد بن إسماعيل السيد أحمد: ترتيب العلوم المحمدية أبي بكر، ت 1145، جدة، 1985 رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الملك عبد العزيز.
19. محمد واكدي: قضية النقد والصنعة في النقد الادبي في الجزائر خلال القرن الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير، كلية الآداب و اللغات و الفنون، قسم اللغة الفرنسية و آدابها، جامعة وهران، 2005-2006.
20. محمد شريف سيدي موسى، الحياة الفكرية في بجاية من القرن السابع الهجري الى بداية القرن العاشر الهجري: (13،16م) رسالة ماجستير قسر التاريخ، جامعة الجزائر 2001،2002.
21. نور الهدى الشريف: الأدب الصوفي في المغرب و الأندلس في عصر المرابطين أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط 2000-2001..

المجلات والمقالات:

1. الجيلالي كريم: الرباطات والرباطات بالمغرب من خلال كتاب التصوف لابن الزيات الشادلي، مجلة دعوة الحق، ع 395، مطبعة الأمنية، الرباط 2010.
2. خالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالمغرب الإسلامي من التأسيس الى نهاية القرن السابع مجلة الحضارة الإسلامية وهران ع8، أبريل 1996.
3. عائشة تازي: المد الشيوعي في بلاد المغرب و رد فعل البربر 297-362هـ، مجلة عصور جديدة ع7-8، جامعة وهران 2012-2013.
4. عباس الجراري: الموحدون ثورة سياسية و مذهبية، مجلة المناهل ع1، وزارة الشؤون الثقافية 1973.
5. عبد الحق الطاهري: إبن تومرت و المذهب المالكي: مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط.
6. عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان مجلة الأصالة ع26ن جويلية أوت 1975، عدد الصفحات 374.
7. عبد الحميد حاجيات: تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط مجلة الحضارة الإسلامية ع1، 1993.
8. عبد القادر بوبايا: طرق التدريس، مجلة عصور الجديدة، العدد2 يصدرها مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، جامعة وهران.
9. عبد الكريم التواتي: دراسات في الأدب المغربي، مجلة دعوة للحق عدد نوفمبر 1983 إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط.
10. عبد الله عنان: مدرسة بجاية الاندلسية و أثرها في إحياء العلوم بالمغرب الاوسط، مجلة الاصاله ع 13، أبريل 1973، مطبعة البعث قسنطينة 1973.
11. عبد الهادي حسين: موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسينية ع2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1981.

12. علي سامي النشار: أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ع1، السنة الأولى 1953.
13. محمد باي بلقاسم: الجذور التاريخية لرواية ورش في بلاد المغرب، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2007.
14. مسعود العيد: المرابطون و الطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سرتا ع10، 1988.
15. مصطفى مغزاوي: التطور العقيدي في المغرب الإسلامي منذ الفتح إلى نهاية القرن الحادي عشر، مجلة عصور جديدة ع7-8، جامعة وهران 2012-2013.
16. المهدي البوعبدلي: أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ، مجلة الأصالة ع26، جويلية-أوت 1975.
17. المهدي البوعبدلي: جوانب من تاريخ بونة الثقافي و السياسي عبر العصور، مجلة الأصالة، ع34، 1976.
18. المهدي البوعبدلي: مراكز الثقافة وخزائن الكتب عبر التاريخ، مجلة الأصالة، ع26، قسنطينة، الجزائر، 1972.

الملتقيات:

1. عبد الحميد حاجيات: تطور الحياة الفكرية في الجزائر في عهد الموحدين، الملتقى الوطني الثاني حول تاريخ مدينة ندرومة و ضواحيها، من 03 الى 06 نوفمبر 1998، جمعية الموحدين 1998..
2. عزمي طه السيد: الفلسفة والدين في مدينة الفارابي الفاضلة، أعمال الملتقى الدولي، الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، مارس 2010.
3. محمد المختار إسكندر: صفحات مشرقة ومجهولة من أكبر شخصيات ندرومة في القرن السادس الهجري: عبد المؤمن بن علي، الملتقى الثاني حول تاريخ ندرومة، جمعية الموحدين، نوفمبر، 1988.

فهرس الموضوعات

أ مقدمة

الفصل الأول: مظاهر الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين

6 و7هـ - (12-13م)

- 02 (1) نشأة الدولة الموحدية.
- 13 (2) قيام دولة بني عبد الواد.
- 23 (3) استمرارية نهضة القرن الخامس الهجري.
- 29 (4) سياسة الدولتين الموحدية والزيانية.
- 29 أ. الدولة الموحدية.
- 35 ب. الدولة الزيانية.
- 40 (5) انتشار التصوف وأثره في الحركة العلمية.
- 47 (6) الحركة التعليمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7هـ / (12-13م).
- 52 (7) الرحلة العلمية.

الفصل الثاني: التيارات الفكرية بالمغرب الأوسط خلال القرنين

6 و7هـ / (12-13م)

- 58 (1) تيار التصوف الإسلامي.
- 58 أ. تيار التصوف بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7هـ / (12-13م).
- 65 ب. عينات من التصوف بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7هـ / (12-13م)...
- 77 ت. ملامح التصوف عند بعض الشعراء.
- 87 ث. الصراع بين فقهاء التصوف وفقهاء السلف.

الفصل الثالث: المؤسسات العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرنين

6 و7هـ / (12-13م)

- 100 (1) الكتاب مؤسسة التعليم الأولى.
- 103 أ. منهج الدراسة بالكتاب.
- 108 ب. المعلمون داخل الكتاتيب.
- 112 (2) المساجد.
- 118 (3) الرباطات.
- 118 أ. تعريفها ونشأتها.
- 121 ب. دورها الفكري.
- 125 ج. موارد الأريطة.
- الفصل الرابع: العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرنين 6 و7هـ / (12-13م).

- 130 (1) علوم القرآن.
- 130 أ. القراءات.
- 139 ب. التفسير.
- 145 (2) علم الحديث.
- 161 (3) علم الفقه.
- 194 (4) علم الكلام والعقائد.

الفصل الخامس: العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال القرنين

6 و7هـ / (12-13م).

- 202 (1) علم التاريخ.
- 212 (2) علم الفلسفة.
- 218 (3) العلوم الأدبية.

223 أ. الشعر
244 ب. النثر
250 ج. النحو واللغة
259 الخاتمة
265 الملاحق
307 قائمة المصادر والمراجع
338 الفهارس